
رواية
سنية زايد
دماء النور
آخر الدماء
ساحر الكتب


ساحر الكتب



سنية زايد

دماء النُّور

«ما اغُتصب بسفك الدماء لا يُسترد إلا بسفك الدماء»

رواية



عصير الكتب للنشر والتوزيع



الإهداء

إلى

أمي..

أُحبك

زوجي..

أدامك اللّٰه بقلبي



إلى أُولَئِك الذَّين ظَلُّوا بجواري حِينمَا تسَاقط الجمِيع، يُخبرونني دومًا أنَّ كل شيء سيكُون بخيرٍ مَهْمَا كَان الوَضْعُ سيئًا، مَنْ يَبْقون معنَا للنِهَاية مَهْمَا طَال الطرِيق؛

«سَمر مُحمد _ أفنَان عُمر _ سَمر صَلَاح».

أُحبكم وكَفَى.



«البعض يُحارب لأجل حاضر، والبعض لأجل مُستقبل، منا من يُحارب لأجل وطن، والبعض لأجل حياة، أما نحن فنُحارب لأنهم لم يتركوا لنا خيارًا آخَر سواه!!»

سنية زايد



الأول

متجولة الأحلام!



في زمن لم يأتِ بعد أو أنه رحل! ما همنا من معرفة الزمان!! لن يُغير شيئًا من مُجريات القدر! كل ما لدينا خطوط كثيرة تداخلت وتقاطعت لتُشكّلَ سبيلًا في الحياة، ونقطة قالوا عنها سلفًا أنَّها البداية! لكن أحقًا كانت البداية! أم أنها لا زالتْ هناك قابعةً بين العدم! بأي حال تظل البداية قبل النهاية نقطة في الظلام مجهولة، داخل الكتاب مستورة، عن العيون محجوبة، وكل العروش بالدماء دومًا موصومة، وسُبلنا للوصول وحدها نقاط الحياة المعلومة!

تسمع صوت دقاتها المُتباعدة تُسابق أنفاسها المُولية الفرار بجزع، كلتاهما تُحاولان اللحاق بقدميها اللتان تركضان دون توقف! لم تُفكر بشيءٍ في تلك اللحظة سوى أن تظل تُطلق قدميها للريح بكل طاقتها، فتُوقن بداخلها أنها إن توقفت ستكون نهايتها! المكان مُظلم من حولها، لم تكن تعلم بأي اتجاه تعدو ولا أي طريق يجب أن تتخذ لكنها تركض! ينهمر العرق على جبينها كشلال اندفع بين حناياها، تشعر أنها هرولت لدهرٍ في ذلك الطريق الوعر، ربما لا ترى موطأ قدمها في الظلام، لكنها تشعر بقسوة الأرض غير المُمهدة تحتها، تتعثر بجذوع أشجار مُتيبسة في طريقها، تثب فوقها دون تفكير، حواف الأغصان تصطدم بذراعيها ووجهها، تلك المنحدرات التي تهبطها والمرتفعات الضئيلة التي



تصعدها، انحناءات الطريق المُتقطعة، كأنها داخل غابة أو ربما هو مُجرد طريق محفوف بأشجار! هي لا تعلم ولا ترى بسبب كل هذا الظلام الدامس من حولها، لكنها تعلم جيدًا أين تضع قدمها! جزء بداخلها يحفظ المسار! والأهم لدى عقلها الآن أنه لا مجال للتوقف ولا للحظة واحدة كي تعلم أو تعي ما الذي يحدث! فوقع خطواتهم خلفها لا يُعطيها أي خيار!

صدى حناجرهم يشُق الظلام، وتهتز له الأرض تحتها، يُلاحقها من كل اتجاه، تشعر به خلفها ومن جانبيها وحتى أمامها! كل ما يُدركه عقلها تلك اللحظة أنها إن توقفت هلكت، ويصرخ بداخلها **«أليس لهذا الطريق نهاية!»** لكن الإجابة جاءتها مُباغتة صادمة، لتخرج من العتمة إلى ضوء رغم خفوته لكنها أجفلت منه فوضعت يدها على عينيها تتحاشاه، والذي ألفته سريعًا كضوء القمر لكنه أكثر شُحًا، إلا أنه كافٍ لترى هذا الخلاء المُمتد أمامها لبضعة أمتار عبرتهم في أقل من لحظات، وأجبرت بعدها قدميها على التوقف دون تفكيرا وقد وصلت لنهاية الطريق! لتجد نفسها تقف على حافة جُرف وأسفلها هاوية!

أمعنت النظر بالأسفل داخل هذا الظلام القاتم لعل عينها تصطدم بالقاع لكن ما من قاع! فلا تلمح لها نهاية، عينها تنتقل بين تلك الهاوية وبين الطريق خلفها



لتجدهم أصبحوا على مرمى بصرها، هدأت خُطاهم حين وجدوها توقفت، فأيقنوا مثلها أنها النهاية، ظلوا يتقدمون نحوها فهزت رأسها ساخرة، علمت أنها باتت بين فكي المقصلة وافتر ثغرها عن ابتسامة حانقة، انحنت تُمسك أنفاسها قبل ركبتيها، ولا زالت تهز رأسها بذات النظرة الساخرة، التفت بجذعها قليلًا للخلف ونظرت للهاوية ثم عاودت النظر أرضًا، اعتدلت وسارت نحوهم بخُطى يائسة، ثم توقفت للحظة في منتصف المسافة بينهم وبين الحافة، دارت بعينها وسطهم فلم ترَ منهم شيئًا فجميعهم مُلثمون حتى قائدهم بالمنتصف، والذي توقف ورفع يده في الهواء وقبضها بقوة ليتوقف كلٌّ بموضعه.

وصدح السكون الصارخ بالمكان، لم يعد سوى صوت الأنفاس اللاهثة تندفع بالصدور المُنهكة من شدة الركض، وصهيل الخيول التي راحت ترقُب هذا الهدوء الحذر تتوق لكسره، تبسمت لقائدهم بيأسها وهي ترمي حافة الجُرف بنظرة عاتبة، وبادلها إياها بأخرى ظافرة بانتصاره رغم أنها لم ترها!

لكنها شعرت بها تخترق لثامه، فكلاهما يعلم أنه لم يعد لها من سبيل، أحنت جسدها مُجددًا وأمسكت ركبتيها، تُحاول تنظيم أنفاسها المُبعثرة، ظلت بذلك الوضع للحظة طالت، هبط فيها قائدهم عن صهوة



جواده وسار خطوتين للأمام، رفعت رأسها واعتدلت بوقفتها، سحبت نفسًا آخَر وسحبت معه كلَّ ما تبقى لها من قوة، فثُوقن أنه سيكون نفسها الأخير ولن يتشبع صدرها بشيء بعده، مشى نحوها خطوتين أُخريين وقد فتح ذراعيه على امتدادهما، في إشارة أن لا مهرب لها بأي اتجاه، وبالفعل خطت نحوه خطوة والثانية والثالثة ليغمره حماس أنفاسه التي راحت تعلو وتهبط تُعلن عن سعادته المُتراقصة بصدره، ليتوقف فجأة وقد تجمد في موضعه! حين توقفت خطوتها الرابعة واستدارت للجهة الأخرى وركضت بكل استطاعتها في الاتجاه المُعاكس! ليرتج صوته بصرخة هزت أرجاء المكان وهو يراها تعدو نحو الحافة! استدارت وانطلقت دون تفكير وابتسامتها الساخرة تحتل جبينها وعقلها يصرخ «ربما أكره الظلام لكنني أكره الخوف أكثر» وقفزت داخل هاوية الظلام!!!

•••

انتفضت من نومها فزعة، العرق يُبلل كل ذرة بها، جسدها كله يرتعش كأن إعصارًا جارفًا يضربه، يكاد قلبها يتوقف من الذعر، تتلفت حولها بتمعن لتتأكد أنها بغرفتها، يدها تُطبق على الغطاء تتمسك به من هول السقوط، انتزعت من جوارها كوب ماء، جرعت الكثير لتروي ظمأها، شعرت بحلقها جافًا يجرحها كالأشواك،



جرعت المزيد والمزيد بنهم حتى أغرقت ثيابها، تشعر بلهُاثها لا زال يُلازمها كأنها ركضت لأميال حقًا وليس مجرد كابوس مُريع! تهمس لنفسها بصوت مُضطرب وقد وقعت عينها على نافذتها والتي أعلنت عن شروق فجر جديد **«كابوس مُخيف وانتهى سيا.. على الأقل لليلةٍ!»**

التفتت إلى جانبها لتقع عينها على المنبه بجوارها وقد قاربت الساعة السادسة صباحًا، همت مُثقلة من التعب تشعر بجسدها يُؤلمها، لكن روحها أكثر تألمًا، وعقلها يتمزق بين كليهما، تُعاود الهمس لنفسها وهي تضع قدميها أرضًا وتسند كوعيها إلى ركبتيها ورأسها لكفيها **«تبًا.. تلك المرة كان الأمر حقيقيًا إلى حد مُفزع»** فتحت نافذتها، استنشقت الكثير من الهواء، نظرت للسماء **«متى يتوقف هذا الكابوس يا إلهي لقد صار الأمر مُؤلمًا!»** اتجهت إلى الحمام غسلت وجهها وعادت لارتداء ملابسها الرياضية، أخذت هاتفها وزجاجة مياه وغادرت بهدوء كي لا تُوقظ أمها.

مشت عدة خطوات بطيئة حتى وصلت إلى ممر الأشجار، ممر يربط بين البنايات في خط مُتعرج بتلك المنطقة العمرانية الجديدة، التي انتقلت للعيش فيها نزولًا على رغبة والدتها منذ خمس سنوات خلت! لا زالت تتذكر اليوم الذي عادت فيه من المدرسة لتجد



أمها قد رتبت كل أمتعتهما للمغادرة والتي لم تكن كثيرة على كل حال، فلم تكن المرة الأولى التي ينتقلون فيها، ربما الثالثة أو الرابعة على قدر ما تُسعفها ذاكرتها، وكالعادة لم تسألها عن رأيها ولم تُعطها الفرصة للرفض أو الاعتراض، رحلت دون أن تُودع أي شيء، أصدقاءها جيرانها مُعلميها حتى غرفتها وذكرياتها، لم تُمهلها الوقت لوداع أي شيء على الإطلاق، لا زالت تذكر جيدًا **«الآن يا سيا.. سنُغادر الآن»** لكن على غير العادة بررت أمها لاحقًا انتقالهما بأن المنطقة كانت مُزدحمة وشعبية والجميع يدُس أنفه في شؤونهما، وهي تُريد لها حياة أكثر رُقيًا، والأهم أكثر أمانًا! هذا ما أكدته مرارًا وتكرارًا، وهو ما يتوفر في بيتهما الجديد داخل تجمع سكنيٍّ هادئ، يحوطه سور كبير وتُوجد على مداخله حراسة، وداخله حراسة! غير أن من أهم مميزاته في رأي أمها أن تلك الفيلا الصغيرة التي استأجرتها مُنفصلة عن البيوت المحيطة بها، فكل بيت تحوطه حديقته الخاصة، وهذا يُعطيها مساحة أكبر من الخصوصية التي تتُوق لها!

وقفت لحظات ببداية الممر أخذت نفسًا عميقًا، عبثت بهاتفها ثم وضعت سماعتي الأذن داخل أذنيها وأغمضت عينها، لتبدأ سيمفونية بيتهوفن الخالدة **«الحرب»** موسيقاها المفضلة، وأطلقت قدميها للهواء



وأخذت بالركض، فرضت أمها عليها الجري منذ كانت صغيرة! حتى أنها نسيت منذ متى أجبرتها على فعل ذلك، ربما منذ ولدت وهي تُجبرها عليه كل صباح!

في البداية كانت تتذمر فلم تكن ترغب في مُغادرة الفراش كأي طفلة في سنها، لكن مهما تذمرت وأعلنت رفضها بادعاء النوم أو المرض، كان لدى أمها دومًا طريقة لإيقاظها، حتى أنها كانت تُضاعفه كعقاب لها على أي خطأ ترتكبه، أو محاولة فاشلة للهرب منه، فترسخ بداخلها يقين بأنها تتلذذ بهذا كعقاب مُجحف لها! لكن بعد ذلك تحول الأمر لأكثر من مهمة ثقيلة أو عقاب مُؤلم، خاصة منذ انتقالهما إلى هذا المكان، صار شيئًا لا تستطيع التوقف عنه، كلما ضاق صدرها أو اختنقت بأفكارها، أنهكت عقلها بالجري حتى تزيح كل شيء عن كاهلها، أنهت دورتها الأولى وعادت لنقطة البداية لكنها تلك المرة وعلى غير عادتها لم تتوقف! فكانت قد اعتادت بعد كل دورة من الخمس دورات أن تتوقف للحظات تلتقط أنفاسها وتجرع بعض المياه، لكن تلك المرة لم تفعل! ربما لأنها لم تنتبه أنها عادت إلى حيث بدأت، فكلها مُستغرق مع تلك الموسيقا التي ربما حفظتها عن ظهر قلب، لكن اليوم لها وقع مُختلف داخل روحها، تصدح بشكل لم تألفه من قبل، تواكب كل نغمة فيها حلمها الذي بات يتكرر بذات التفاصيل!



فهذا الأسبوع الثالث منذ زارها أول مرة وأخذ بالتكرار يوميًا، لكنها لم تنتبه سابقًا أن لا شيء يتغير قيد أُنملة!

ذات المكان الأشبه بالغابة والظلام، والعيون، صوت الأنفاس اللاهثة، الرجال والحافة، وذات السقوط، حين وصلت لتلك النقطة عاود عقلها القفز في الهاوية، فأغمضت عينها وروحها تصرخ «**كل شيء يُعاد كأنه فيلم سينمائي يُعرض أمامك كل ليلة.. كيف يحدث هذا!**»

توقفت فجأة دون أن تنتبه أنها ركضت لأكثر من سبع دورات مُتتالية، انحنت تلتقط أنفاسها، اصطدمت عينها بسوار ترتديه بيدها اليُمنى، تعلقت عينها به وبصوت حانق «**تبًا لك.. ما هي فائدتك!!**» امتدت يدها تحاول نزعه عن معصمها، قاطعها رنين هاتفها ليُعيدها من ضيقها، لتتنفس وهي ترى صورة أمها تُضيء على شاشته فانتبهت أن الساعة تخطت السابعة، حتى أنها لا تعلم كم دورة ركضت، لكنها باتت تعلم أنهم أكثر من المعتاد فقدماها تؤلمانها.

تنظر نحو الشاشة بغير رضا، حين أجفلها صوت جاء من قُبالتها «**حبيب مُزعج؟**» رفعت رأسها باتجاه الصوت، لتجد فتاة بالعشرين تُقاربها في السن، خمرية اللون متوسطة الطول والوزن، تكاد تُضاهيها بكليهما لكنها أكثر بياضًا، ذات عيون سوداء واسعة، كما أن



شعرها قصير جدًا فلا يُغطي رقبتها، ترتدي ملابس رياضية، أنهت سؤالها وهي تقترب منها وتُمسك هي الأخرى بزجاجة ماء، لتهز سيا رأسها نفيًا وهي تجرع بعض المياه:

- أمي.. يبدو أنني تأخرت عن موعدي.

- يقولون أن الأمهات يقلقن سريعًا!

لتُحرك رأسها بنظرة مُستغربة، حين مدت الأخرى يدها بالسلام وهي تبتسم....

- عفوًا على وقاحتي.. أنا هي دلين أسكن بالفيلا المُقابلة لك يا...

- سيا.

- سيا! وأنا من قلت أنني وحدي صاحبة الاسم الغريب هنا.

ضحكت سيا ضحكة هادئة، لتستطرد الأخرى بنظرة ودود....

- منذ جئت وأراكِ كل يوم تخرجين للجري، وكنت أود لو نتشارك ذلك، فيبدو أنكِ تحبينه مثلي، لم أشأ أن أتطفل عليكِ.. لكن ما باليد حيلة فأنا جديدة هنا ومن الصعب إيجاد أحد بسني يُشاركني اهتماماتي.

- ما من تطفل.. هذا شيء يُسعدني.

وقبل أن تُزد إحداهما حرف عاود هاتفها الرنين



لترفعه بنظرة مُستسلمة، فابتسمت دلين بتفهم.....

- لا مهرب لكِ.. إذًا أراكِ غدًا.

- إن شاء الله.

ظلت دلين على وقفتها للحظة ثم ركضت بالاتجاه الآخر، بينما ارتدت سيا على أعقابها إلى المنزل تحاول التخلص من حلمها وإزعاجه المتواصل لها، لتبتسم بسخرية «**إنه مُجرد حلم.. توقفي عن هلعك، كل هذا إرهاق زائد، يبدو أن أمك أورثتك رُهاب خوفها الدائم بشكل سيفقدك صوابك يومًا**» فتحت باب المنزل لتجد أمها تقف أمامها عاقدة ذراعيها وحاجبيها بضيق.

امرأة طويلة ممشوقة القوام لا يمكنك أن تزيد عمرها عن عمر ابنتها!! لها جمالها وجاذبيتها الخاصة، ذات عيون بنية وبشرة خمرية تميل للاسمرار، وشعر أسود يتخطى كتفيها، عندما تراها لا تُصدق أنها تخطت منتصف الأربعين، تقدمت نحوها قبلتها في جبينها بنظرة معتذرة....

- آسفة يا أمي.. يبدو أنني لم أنتبه على الوقت.

رفعت حاجبها بغير رضا، لتعاود هي تقبيلها بحنان أكبر....

- هيا زهرتي.. أنتِ لن تغضبي مني ولا زلنا في أول اليوم!



أمالت رأسها بابتسامة اعتلتها، وهي تُناديها بزهرتي تدليلًا لاسمها «زهرة» أشارت نحو مائدة الطعام وقد تلألأت عينها بنظرة راضية....

- هيا أسرعي.. سيبرد طعامك.

عاودت تقبيلها، وأسرعت إلى الدور العلوي، أخذت حمامًا، ثم بدلت ملابسها، وأسرعت بالنزول، تناولت بضع لُقيمات، وأسرعت بالخروج وهي تنظر بساعتها، فقد تأخرت عن موعد مُحاضرتها الأولى، ابتسمت لأمها لتُقابلها بأخرى مُستنكرة لخروجها مُسرعة، وقفت زهرة لحظات بالشرفة تنظر إليها وهي تُغادر، عادت للداخل ورفعت الأطباق عن الطاولة، قامت بغسلها سريعًا وهي تُدندن بلحن حزين، رتبت كل شيء في موضعه، صعدت إلى الأعلى، اتجهت إلى غرفتها وارتدت ملابسها، أخرجت شيئًا من أسفل وسادتها، وأخفته داخل كُمها الأيمن وغادرت!!

•••

وصلت سيا إلى جامعتها، تدرس بالفرقة الثالثة من الآداب قسم لغات شرقية، لا تعرف لما اختارت هذا القسم، وكانت دومًا تسأل نفسها بسخرية **«ما هي تطلعاتك من وراء هذا الاختيار!!»** لكن أمها شجعتها على هذا الأمر كثيرًا، جلست في آخِر القاعة لا تهتم لأحد ولا تنتظر أن يهتم لها أحد، فليست تلك الفتاة



الاجتماعية، لها بعض الزملاء والأصدقاء لكن ليس لديها أصدقاء مُقربون، هذا ما حرصت عليه أمها دومًا!

فلا زالت كلماتها تطن بأذنها منذ أول يوم دخلت به مدرسة في حياتها «**لا أصدقاء مُقربين تحت أي ظرف ولا أي مسمى، كوني دومًا وحدك، الوحدة لا تؤلم بينما الأصدقاء يفعلون، الوحدة قوة بينما الأصدقاء ضعف، الوحدة لا تخون بينما الجميع -وأولهم الأصدقاء والأقربون- يخونون**» حاولت دومًا الالتزام بتلك القاعدة، خلا بعض الأشخاص المُحببين إلى نفسها رغم تأفف أمها، لكنها تؤكد أنهم ليسوا على تلك الدرجة من القرب الذي تخشاه.

تنهدت وهي ترى انعكاس وجهها في النافذة القريبة منها، لديها وجه مستدير وعينان بلون البندق وشعر بني يتخطى كتفيها، غالبًا ما تعقفه للخلف، ليست سيا بالفاتنة لكنها تُعد جميلة ببشرتها الخمرية المائلة للبياض، صاحبة طول متوسط ووزن أقل من متوسط، ربما بسبب كثرة ممارستها للرياضة، اقترب عيد مولدها الحادي والعشرون، لكنها لا تشعر بأي حماسة لذلك، تشعر بقلق لا تدري له منبعًا يفيض بأرجائها، عادت تشرد بحلمها ويدها تعبث بكتبها، لعله كان السبب لكمدها الخفي في الفترة الأخيرة، أفاقت على صوت فتاة تجلس إلى جانبها...



- هل هذا المكان شاغر؟

التفتت نحوها وأومأت إيجابًا، لتجد دلين تبتسم لها...

- لم أتوقع أن أراكِ بتلك السرعة!

- دلين!!!

- آخِر ما كنت أتوقعه أن نكون معًا في ذات الصف! أعتقد أنني أكثر حظًا مما اعتقدت!

- وأنا كذلك.

- لا تُخبريني أنكِ جديدة هنا مثلي؟

أومأت نفيًا ولا زالت مبهوتة من تلك المصادفة، تبسمت دلين بنبرة ودود....

- هذا جيد على الأقل ضمنت ألا أتوه هنا، هذا بالطبع إن سمحتِ أن نصير أصدقاء؟

وقبل أن ترد بشيء استطردت الأخرى بحزن...

- آسفة لتطفلي عليكِ للمرة الثانية.. لكنني جديدة هنا، تعلمين بالبيت وهنا، بل والمدينة كلها، وأشعر بمعاناة كبيرة بسبب تلك الوحدة.

- أليست عائلتك تُرافقك؟

- كلا أنا وحدي.. وأشعر بالخوف والوحدة والضيق، وهذا خليط سيئ.

أسبلت عينها بتعاسة، أبدت سيا نظرة مُشفقة عليها....



- أعتقد أنه لا يوجد أسوأ من ذلك.

- هل تقبلين بي صديقة؟ وإن كنت أُضايقـــــــ....

- كلا.. كلا.. مُطلقًا.. هذا أمر يُسعدني.

قاطعتها دون أن تفهم لماذا فعلت! لتحتضنها دلين بغتة، اندهشت للحظة، تركتها وهي تردد بذات النظرة المبتهجة، وابتسامة لم تفهم سيا معناها...

- سنقضي وقتا ممتعًا معًا.. أعدك بذلك.

دلف المُحاضر، وركزت عينها عليه، بينما ظلت دلين تُتابعها خلسة للحظات، ثم انتبهت للمحاضرة حتى انتهت، اتجهت دلين نحو المصعد أشارت إليها سيا بأنها ستتخذ السلم، وحين تساءلت عن سبب ذلك تعللت بأنه أحد تمارينها الرياضية، لم تُرد إخبارها أنها تتخذ السلم سبيلًا لأنها تخشى المصعد، والأماكن الضيقة والمغلقة وأيضًا المظلمة، فتتجنب جميعها قدر استطاعتها، تبعتها دلين دون اكتراث للمصعد أو السلم، وغادرتا إلى مقهى الكلية معًا.

•••

بعد عدة ساعات عادت إلى المنزل مُرهقة، تحمل بعض الأكياس بيدها، نادت على ابنتها لكنها لم تلقَ ردًا، فعلمت أنها لم تعد بعد، وضعت زهرة ما بيدها فوق طاولة المطبخ، اتجهت نحو غرفة فتاتها للتأكد، تبسمت بارتياح حين وجدت كل شيء كما تركته،



دخلت إلى غرفتها أغلقت الباب من الداخل بالمفتاح!

نزعت عنها سترتها ألقتها إلى حافة السرير، نزعت حذاءها ومشت خطوات هادئة باتجاه الحائط المُلاصق لسريرها، وفي تلك الزاوية التي يلتقي بها الجدار الذي ترتكن إليه خزانة الملابس والجدار الذي يرتكز إليه السرير، أوغلت النظر بالزاوية الضيقة، ثم أغمضت عينها وفردت ذراعيها في الهواء أمامها وبنبرة هامسة **«بسم رب الأرباب، خالق العوالم ورافع السماوات..»** ثم راح صوتها ينخفض بكل ما تلاها من كلمات حتى لم يعد يصل إلى أذنها!! والتي تزامنت مع حركة يديها الخفيفة، لتهب هبة هواء رقيقة حركت بضع من خصلاتها التي تطايرت على وجهها، لتفتح عينها وتنظر للأسفل وقد ظهر من العدم في الزاوية الخاوية صندوق أسود متوسط الحجم!

تبسمت من جانبها وهي تجلس على ركبتيها أمامه، ويدها تتلمس النقوش المحفورة فوقه، لعدة أهرامات مقلوبة يتوسطها قرص الشمس وفي منتصفه صقر فرد جناحيه على امتدادهما! سحبت مُفتاحًا مُعلقًا بقلادة حول عنقها، فتحت الصندوق، وقد زادت نظراتها سعادة امتزجت بشغف كبير، وهي تمد يدها بجانبه من الداخل وتُخرج قطعة حريرية صغيرة وضعتها بكفها، فتحتها برفق وتلمست بداخلها أربع قطع من أحجار



سوداء مُتفاوتة الأحجام، غير متساوية الأطراف كأنها قطع مُتكسرة من قطعة أكبر!! يلتمع داخل كل منها ضوء خافت باللون الأزرق، أخرجت من داخل جيب بنطالها قطعة تشبههم وضعتها في وسطهم، وابتسمت بتنهيدة ارتياح وهي تُردد لنفسها **«لقد اقتربنا كثيرًا، قطعتان ويكتمل المفتاح»**

تربعت أرضًا وهي تُطبق عليهم وتضمهم إلى صدرها بقلق **«استغرق الحصول عليكم أكثر من عشرين عامًا والكثير من الدماء، ولم يعد أمامي سوى أقل من عام لإيجاد القطعتين الباقيتين، وأعلم أن اللّٰه لن يخذلني»** عاودت لفهم بحذر داخل قطعة الحرير وأعادتهم إلى موضعهم برفق مُتناهي، وأخرجت من طرف كمها خنجرًا ذا قبضة من العاج المُذهب والموشى بالكثير من النقوش الغريبة، أبرزها رأس صقر تحتل الجزء الأكبر منه! سحبت منديلًا من جوارها، مسحت عن نصله دماءً عالقة به! ثم لفته بقطعة حريرية أخرى من داخل الصندوق ووضعته بذات الرفق، لتنتبه على الباب الخارجي يُغلق، وصوت فتاتها يُناديها من الأسفل، فأغلقت الصندوق مُسرعة، وأعادت وقفتها وحركة يدها وتمتمتها ليتلاشى الصندوق مجددًا وتعود الزاوية فارغة! ألقت المنديل داخل سلة المهملات، وقفت أمام المرآة عدلت من هندامها،



وأعادت المفتاح داخل قميصها، وهمت بفتح الباب وابتسامتها تعتليها لتكون فتاتها وصلت الدور العلوي، ابتسامة رائقة احتلت جبينها وهي تفتح ذراعيها لتستقبلها بضمة.

•••

توالت الأيام كما توالت الأحلام التي تُزيد أرق ليلها ونهارها، وزادت أعباءها، فقد أصرت أمها على أن تُنهي بعض الدروس المتأخرة في لعبة **«الشيش، وركوب الخيل، وغيرها»** حاولت أن تعترض لكثرة تلك الأمور وتزامنها مع اقتراب امتحاناتها، لكن أمها -وكالعادة- لم تقبل أي رفض أو حتى تأجيل، توطدت علاقتها بدلين أكثر في تلك الفترة، فصارتا لا تفترقان حتى أن أمها -وعلى غير العادة- لم تُبدِ ملاحظاتها على قربها منها، خاصه مع تجاهل سيا تعليقاتها بالبداية.

في ذلك اليوم ومع رياح الصباح الباردة بقسوة، ودلين تنتظرها بالخارج تمشتا قريبتين، حينما وصلتا بداية الممر كانت في عالم آخر، لتتساءل دلين...

- ما بكِ؟ تبدين شاردة.. أم أنك لم تنامي جيدًا!!

هزت رأسها بوجوم، لتُعاود الأخرى باهتمام....

- ماذا هناك؟

- لا شيء هام.. مجرد حلم يؤرقني تلك الفترة.

- أي حلم هذا؟



بدأتا بالجري الهادئ، راحت تقُص عليها النقاط الهامة من حلمها، لتهتف دلين فجأة....

- أنتِ تتجولين بأحلامك!!

- كلا أنا لا أسير وأنا نائمة.

- لا أعني أنك تسيرين وأنتِ نائمة، بل أعني أن روحك مُتجولة في الأحلام.

لتهز رأسها بعدم فهم، فاستطردت دلين....

- لدى روحك القدرة على التجول بأحلامك.

- لا أفهم شيئًا!

توقفت دلين وقد أنهت دورتها الأولى، جرعت بعض الماء، وصلت إليها وفي عينها نظرة منتظرة، لتستطرد وهي تعطيها الزجاجة....

- الأمر بسيط.. أنتِ شخص يمكن لروحه التجول بأحلامه، يمكنك الانتقال من مكان لآخَر في حلمك.

- عفوًا! وهل ينتقل أحد من مكان لآخَر وهو نائم؟!

- هل تعرفين ما هي الموتة الصغرى والموتة الكبرى؟

- ما الذي تتحدثين عنه!!

- اعتبريني مجنونة ولتُسايريني في الأمر.

زفرت بغيظ، لتلكزها دلين في كتفها وهي تهتف بمزاح....

- هيا ما الذي تخسرينه؟ لنعتبرها لعبة.. هيا سايريني.. هل تعرفين الفرق؟



- الصغرى هي النوم، والكبرى هي الموت.
- أحسنتِ.. هل تعرفين أين تذهب الروح بكلتيهما؟
- بالموت.. القبر على ما أعتقد.
- مُخطئة يا صديقتي.. الجسد هو من يذهب إلى التراب أو القبر، أم الروح فتذهب إلى عالم آخر، لا أحد يعرف تمامًا أين أو ماذا يحدث لها! جميعها اجتهادات، فلم يعد أحد من الموت سابقًا ليُخبرنا.

غمزت بطرف عينها، ثم استطردت...

- أما بالموتة الصغرى أو النوم فدعيني أُخبرك ما الذي يحدث، حينما تنامين يسكن جسدك بالكامل وتغادره الروح وتبدأ بالتنقل بين العوالم، والأزمنة والأماكن، يمكنها أن تذهب حيثما تشاء، وربما تكوني سمعتِ سابقًا بأن من يموت في حلمه يموت في الحقيقة، لأنه ببساطة إن تأذت الروح في تجوالها، فإن الجسد يتأذى كذلك ربما ليس أذى حرفيًا، لكنك إن استيقظتِ تشعرين بالتعب والإجهاد والكثير من الوجع غير المُبرر بأجزاء متفرقة، فهذا يعني أن الروح تأذت في تجوالها أو بذلت مجهودًا كبيرًا، وإن لم تستيقظي هذا يعني أن الأذى كان جسيمًا، مما أدى إلى سكتة دماغية أو قلبية مُفاجئة، وأحيانًا تضل الروح طريق العودة إلى الجسد، وتظل عالقة بالعالم الذي وصلت إليه



وبالحالتين يحدث الموت.

- تريدين القول بأنني حينما أنام فإن روحي تترك جسدي وتتنقل في الكون!!

نبرتها بدت ساخرة أكثر من كونها مشدوهة، لتُكمل دلين....

- وإن كان بنبرتك بعض السخرية، لكن هذا تحديدًا ما يحدث، وتلك الأحداث التي تتعرضين لها، أو لنقل الأحلام التي ترينها، هي أشياء حقيقية تعيشها روحك وتخوضها لكن في عالم آخر، لنقُلْ في عالم موازٍ، وفي بعض الأوقات تكون أحداثًا لم تحدث بعد، أقصد شيئًا بالمستقبل، لذلك فبعض الأحداث عند حدوثها بالفعل، تشعرين وكأنكِ عشتِها سابقًا، والعكس صحيح فربما تكون شيئًا حدث في الماضي ربما بذات التسلسل والأحداث الحقيقية، وربما بأحداث مُغايرة ومختلفة عما حدث.

- لكن هذا لم يكن يحدث لي سابقًا!

- هي مسألة لا يحكمها قوانين أو قواعد، تختلف باختلاف قوة الروح وقدرتها على التنقل بين العوالم والأبعاد، قدرتها على احتمال الانتقال في المكان والزمان، ويبدو أن تلك القدرة باتت أقوى لديكِ الآن فظهرت.



- أتعنين أنه لا يمتلك الجميع قدرة التنقل!
- الجميع يمتلك قدرة التنقل داخل محيط عقله وحدود وجوده، لكن ليس الجميع يمكنه الترحال خارج حدوده، وعلى حسبما رويتِ لي فإنك تنتقلين خارج كليهما.

أمالت رأسها بعدم استيعاب، لتقف دلين وتُمسكها من كتفيها....

- ببساطة يا صديقتي البعض منا يكونون مختلفين، يختلفون عن غيرهم في كل شيء، يستطيعون فعل أشياء لا يفعلها الآخرين، وأعتقد أنك مختلفة يا سيا.

تركتها خلفها وراحت تُكمل الركض، بينما ظلت هي على وقفتها، فمنذ صغرها تشعر بأن شيئًا داخلها غير مُكتمل، في روحها شيء مفقود! راحت تترسخ الفكرة في عقلها مع مرور السنوات، لكن في الفترة الأخيرة خاصة تشعر أنها غريبة الأطوار! لكن هذا لا يُفرحها على العكس إنه يُخيفها وبشدة، فليست الأحلام فقط كل ما يُقلق عقلها! فهناك أشياء لم تتفوه بها لأحد! باتت تحدث لها منذ زارها حُلمها الأول!! ظلت للحظة مُطرقة حتى نادتها دلين تحثُها على مواصلة الركض.

•••

بعد يومين.. انتفضت زهرة من نومها قُبيل بزوغ



الفجر، على صوت صراخ ابنتها في الغرفة المجاورة! هرولت إليها لتجد جسدها يرتجف بشدة كمن أصابه مسٌّ! يكاد صوت صراخاتها المُتواصلُ يشق صدرها ويُوقف قلبها ويُسمع الكون، العرق يُبلل جسدها بالكامل، بُهتت زهرة للحالة التي كانت عليها! أيقظتها بوجل، انتفضت مذعورة لتجد أمها تنظر إليها بهلع، ضمتها لصدرها وراحت تُهدأ من روعها....

- سيا يا صغيرتي.. اهدئي حبيبتي.. أنتِ في حضن أمك.

ظلت تنتفض بارتياع، تتلفت حولها تتفحص المكان كعادتها لتعلم أنها عادت إلى الواقع، أطبقت ذراعيها حول أمها تتشبث بها، تُمعن النظر بكفيها تتأكد أنها لا تُغطيها الدماء!! أعطتها أمها كوب الماء، جرعته بنهمٍ لتروي ظمأها، مسحت شعرها وهي تضمها ثانية، لم تستطع أن تفه بحرف، ظلت تنظر لكفيها بخوف اجتاحها، لقد كانت تلك المرة تفوق كل ما رأته سابقًا، ويكاد فزعها أن يُوقف نبضها، ربتت أمها على كتفها وهي تُتمتم ببضع كلمات لم تُغادر شفتيها، ثم رددت.....

- لا بأس صغيرتي.. كابوس وانتهى.. وأنتِ معي هنا.

- صار حقيقيًا لدرجة مُخيفة!



راحت تُهدهدها وتحتضنها، لتتلعثم هي بصوت مُختنق....

- تلك المرة.. كل تلك الدماء.

صمتت وقد جف حلقها، وعينها مُعلقة بكفيها، لا زالت ترى فيهما الدماء، لتُبعدها أمها عن حضنها بروية مُضطربة، وبلعثمة تُغلف نبرتها....

- دماء!!

هزت رأسها إيجابًا، ثم انحنت ووضعت وجهها بين كفيها بثقل راح يجثو فوقها، لتتساءل زهرة بتوجس....

- ما الذي رأيته في هذا الحلم؟

- في كل مرة كل شيء يكون مظلمًا، صوت ما يناديني، يهمس باسمي فأتبعه، لأجد نفسي داخل مكان يُشبه الغرفة لكن أكبر من أي غرفة رأيتها سابقًا، مظلمة لكنني أستطيع رؤية يدٍ تمتد نحوي تحاول الوصول إليّ! وقبل أن أمد يدي نحوها، يُغلف السواد كل شيء اليد والجدران وكل اتجاه، سواد حقيق يُعمي العين، ومن وسطه تظهر عيناه تتوهجان، ككرتين من نار، تتقدمان نحوي، أسمع وقع خطواته وتكون مخيفة كما عيناه، ثم أركض خارجًا وهم يتبعونني.

فغرت أمها فمها بذهول وقد تصلبت حدقتاها



وتجمد جسدها، وأصابعها مُطبقة على بعضها تكاد تُهشمها، شاحبة كأن الدماء جفت بين عروقها! لتردد بتلعثم صوتها الذي ارتجفت نبرته وخفتت.....

- والليلة.. ماذا رأيتِ؟

حركت رأسها بأنها لا تعلم، لتُحثها أمها أن تُكمل، فمسحت بين عينيها....

- لا أعرف ربما كنت في ذات الغرفة أو غيرها، بها ضوء بسيط لم أُميز سوى كونها تبدو كقاعة كبيرة لم أرَ إلا منتصفها، والذي كانت تحتله طاولة كبيرة لم أرَ مثلها من قبل في حجمها وهيئتها، مبنية من حجارة أو شيء من هذا القبيل، سطحها يُشبه قرص الشمس وقوائمها تماثيل لصقور ضخام، أقف فوقها والدماء في كل مكان، وجثث كثيرة على الأرض من حولي لا أُميز ملامح أي منها، وأغلبهن من النساء، لكن بداخلي كنت أعرف أنني أعرفهن، كن جميعًا مذبوحات، والدماء تسيل نهرًا يجري من داخل الغرفة إلى خارجها.

- وماذا بعد؟

- يدي المُغطاة بالدماء تقبض على سيف تقطر منه دماء، وفجأة أُغلق الباب وكنت بالداخل وراح الظلام الدامس يعُم المكان، وظهر هو من العدم بعينيه المشتعلتين، بيده سيف أسود نصله



مشتعل.

همت واقفة لتقف أمها خلفها....

- هل قتلتِهِ؟

- أعتقد أنه من كان سيقتلني يا أمي إن لم توقظيني.

هوت أمها إلى حافة السرير من خلفها، لم تتحرك من مكانها، لم تلاحظها سيا التي جذبت منشفتها وذهبت إلى الحمام، ظلت كثيرًا جامدة في مكانها، عقلها يكاد يُغادرها، يرفض تصديق شيء يصرخ بداخله! رفعت عينها لترى ضوء الفجر يتسلل من أسفل النافذة، تذكرت شيئًا! انتفضت من موضعها مُسرعة، طرقت باب الحمام عدة طرقات مُتعجلة....

- أنتِ لم تعبثي بالسوار، أليس كذلك؟

بعد لحظات فتحت سيا باب الحمام، تضع رأسها داخل المنشفة وترفع يدها اليُمنى نحو أمها التي تقف مُتحفزة أمام الباب، لتُمسك بمعصمها تتفقد السوار الذي يلتف حوله، عتيقٌ جدًا من معدن أسود اللون لكنه يبدو رغم غرابة شكله وأحجاره الملونة التي ترصعه أنيقًا، والتي تملؤه إلا من جزء صغير منه، حُفر به قرص الشمس، وبحدة...

- أنتِ لم تعبثي به؟

أزاحت المنشفة عن رأسها بنفاد صبر.....



- أقسم لك لم أقترب منه، ولم أحاول حتى لمسه، لأني أعلم أن هذا لن يُجدي نفعًا على أي حال، فقد حاولت كثيرًا في الماضي.

تحركت من أمامها، وبصوت حانق مسموع لأمها...

- يبدو أنه لم يعد يعمل، لعله فقد تأثيره، لم يعد يستطيع حمايتي من أي شيء.

هوت إلى أقرب كرسيٍّ لها وهي تُتمتم بصوت مُختنق لم تسمعه ابنتها **«آه لو تعلمين من ماذا يحميكِ»** ظلت على شرودها وخفوتها المُفاجئ، فلم تنتبه على صوت ابنتها يُخبرها أنها خرجت لتجري كعادتها، بعد قليل ذهبت إلى غرفتها، جلست في الزاوية ساكنة، الظلام يغمر المكان كما يغمرها خوف ورهبة لم تستطع محوهما من داخلها، شيء بداخلها ينتفض من الذهول والخوف! عندما عادت سيا لم تُجب نداءها فاعتقدت أن أمها عادت للنوم رغم أن هذا كان غريبًا فغادرت إلى جامعتها، حينما سمعت زهرة صوت الباب الخارجي يُغلق همت واقفة ارتدت ملابسها، أخرجت خنجرها من خزانتها وأخفته داخل كمها وغادرت.

•••

في المساء توقفت كل ذرة فيها بموضعها، كما توقفت يداها حيث مكانهما داخل الحوض، لم ترفع



زهرة عينها عن الطبق الذي تركته ينزلق داخل الماء، ازدردت ريقها بصعوبة وهي تتلفظ بالتجاج خافت....

- ما الذي تقصدينه يا حبيبتي؟

- أنا فقط أتساءل لماذا لم أُصب يومًا بمكروه؟ أو يحدث لي شيء!!

هزت كتفيها بحيرة، فالتفتت أمها بنظرة مُتعجبة وهي تُجفف يديها....

- وهل تُريدين أن تُصابي بمكروه؟

- كلا يا أمي.. ليس هذا ما أقصده.... أنا فقط...

اختلاجات وجهها تنم عن فوضى عارمة تعبث بداخل عقلها المُشوش، جلست أمها بينما اتكأت سيا إلى جانب الطاولة بمُقابلها وبصوت مشدوه....

- ألا تجدين الأمر غريبًا بعض الشيء، إنني قد بلغت الحادية والعشرين ولم أُصب بمكروه طوال حياتي!! لا أذكر أنني ذهبت إلى الطبيب يومًا.

- ربما لأنني أمٌّ جيدة أُحافظ على صحة ابنتي!!

توترت نبرة أمها التي باغتها السؤال، تنهدت بخيبة أمل....

- أعلم يا أمي... لكن...!

- ما من لكن يا سيا.

امتعضت زهرة في محاولة يائسة للهروب، غادرت المطبخ فتبعتها وهي تهتف....



- ألا تتذكرين ذلك اليوم حين كنت صغيرة، سقطُ من فوق الدراجة أنا وابنة الجيران كُسرت ساقاها، بينما أنا لم أُصب بأي أذى!!!

لم تُجب وتقدمت في طريقها فوقفت سيا أمامها....

- وماذا عن تلك المرة التي سقطُ بها من فوق الدرج ولم أُخدش حتى؟ وتلك المرة..

- لأن الله يرعاكِ... والسوار يحميك.

قاطعتها بنبرة حانقة إلى الحد الذي لم تره سيا من قبل! أغمضت عينها تُحاول السيطرة على غضبها....

- توقفي عن هذا الهراء يا سيا... أرجوكِ.

تقدمت خطوة لكن ابنتها وقفت أمامها تمنعها العبور، فثورتها المصطنعة للهروب لم تُجدِ نفعًا، ولم تُوقف شلالات الأسئلة في عقلها، رفعت زهرة حاجبيها مبهوتة من ردة فعلها، رفعت يدها بالسوار بينهما.....

- قلتِ لي إن هذا السوار صنعته لي عرافة وأنا صغيرة لأنني كنت لا أنام ولا أكف عن الصراخ.. ليمنع عني الكوابيس والأحلام المُزعجة، لكن كيف له أن يمنع عني الأمراض!! أنا لا أُصاب حتى بنزلة بردا!! ألا تجدين أن هذا شيء غير طبيعي يا أمي؟!!

صرخت في الجزء الأخير بسخط لم تعد تستطيع كبحه، لتهرب زهرة بعينيها....



- لا أعرف... كل ما أعرفه أنها قالت أنه سيبعد عنك كل الشرور.
- أريد نزعه يا أمي.
- هل فقدت عقلك!!

احتدت أكثر، لتزفر سيا بنبرة قاطعة....

- لم يعد ذا فائدة، فالكوابيس تُهاجمني كل ليلة أشدّ من سابقتها.

ثم مدت معصمها نحو أمها بنبرة صارمة....

- انزعيه عني الآن.
- هذا لن يحدث... وإياكِ والعبث به يا سيا، هل تفهمين؟

لم تنتظر إجابتها وأولتها ظهرها والسخط والضيق يضربان داخلها، عُلقت عين سيا بهذا السوار الذي لم يُغادر معصمها منذ وعت على هذه الدنيا، حاولت بكل طريقة ممكنة وهي صغيرة حتى تتخلص منه، لكنها لم تستطع يومًا نزعه أو حتى كسره! بل إنها في كل مرة كانت تُحاول لم يكن ليُخدش حتى!! كثيرًا ما كانت تشعر أنه صار جزءًا لا يتجزأ منها!! لكن كم باتت تكرهه وتكره نفسها معه فحتى كوابيسها ما عاد يستطيع منعها عنها!!

•••



الثاني

خبايا الماضي



في تلك الليلة حين خلدت سيا للنوم كان حُلمها في أوجّه وعلى الجهة الأخرى وبين امتداد الحياة والموت، والسُحب المُسافرة في العوالم، انتفض من نومه بصرخة هزت الجبال من حوله لتنتفض الدماء بين عروقه، عيونه لاهثة من الخوف المُستبد بروحه، صوت أنفاسه الساخطة يكاد يصمُّ الكون من حوله.

دُفع باب غرفته بُغتة ودخل الكثير من الحرس المُدججين بالسيوف والخناجر، بكامل ملابسهم الحربيَّة التي تُشبه جنود العصور الوسطى، راحت مجموعة منهم يحيطون بفراشه، وتنتشر البقية داخل القاعة الشاسعة يفتشون كلَّ ركن وزاوية، لم يجدوا شيئًا، كانت فارغة من كل شيء عدا أثاثها الفخم حد البذخ، تتدلى في وسطها ثُريا من الكريستال الملون، تلك الأرائك الكبيرة الوثيرة والمُغطاة بأقمشة من الحرير والقطيفة، وفراشه الضخم العالي الذي يتوسط القاعة بمفارشه الحريرية، وأعمدته المُذهبة، وهو بطوله الوافر ومنكبيه العريضين، وجسده القوي ببنيانه ما زال ينتفض غضبًا وحنقًا، الشرار يتطاير بين تقاسيمه الخمرية الجامدة وعينيه السوادوين بنظراتهما الحادة الساخطة تبثُّ داخل من يُمعن النظر فيهما الخوفَ، وصوت لهاثه الحانق يطغى على سكون الليل، وخوفٌ ما احتبسه داخله عنوة، فمثله لا يُطلق



خوفه خارجًا سوى لعنات تُصيب من يقف في وجهها، هبَّ من مكانه وألقى بغطائه الحريري أرضًا، وصرخ بحراسه صرخة أفزعتهم....

- آتوني بالكاهن الأكبر الآن!

وقبل أن يُلقي بعباءته المزركشة بماء الذهب فوق كتفيه، كان الحراس يهرولون في ممرات القصر، يمسكون بالكاهن الذي يتعثر بملابسه والتي لم يكن قد انتهى من ارتدائها وكل ما فيه ينتفض رهبة، فصراخ مولاه قد وصله قبل حراسه، دخل إلى القاعة وهو محنيّ الرأس والجذع، وعلى بعد خطوات من الفراش الذي لا زال واقفًا بجواره مُكفهر الوجه، هبط الكاهن على ركبتيه لا يستطيع رفع عينه أو رأسه، تقدم مولاه خطوتين ثقيلتين نحوه، رمقه بنظرة من الجحيم، وبصوت أجش حانق أوقف نبض كاهنه....

- ألم يُفتح الباب بعد؟

ازدرد الراكع ريقه، حاول الإمساك بحروفه....

- إنه يا مولاي زارا....

- هل فتحته؟

ماج زارا بسخط جفل له الكاهن وكل من كان بالقاعة ليزداد ركوعه....

- مولاي...

وقبل أن يُزيد حرفًا انتزعه من عنقه، رفعه عن



الأرض وهو يقبض على حنجرته التي كادت تتهشم بين قبضة زارا الغاضبة، والتي استعرت بسخط يتوهج بوجهه، ينظر في عين كاهنه لتزوغ نظراته من شدة قبضته على أنفاسه التي قارب أن يلفظها وهو يحاول التكلم...

- لم يأتِ الموعد بعد، لكنه اقترب كثيرًا يا مولاي.

ظل على نظرته المُلتهبة لحظات كاد يفقد فيها كاهنه أنفاسه، أرخى قبضته فسقط الأخير أرضًا، كاد يغيب عن وعيه، لكنه لم يسمح لنفسه بذلك، كان يعلم أنه لو غاب عنه الآن لن يسترده أبدًا، ظل يتحسس عنقه يحاول استعادة أنفاسه تحت قدم مولاه، تحركت خطواته في حركة دائرية حول المُلقى أرضًا بصوت احتدت نبرته....

- لا يهم ماذا تفعل لفتحه.

- أمرك مُطاع... لكن...

التفت نحوه مولاه بُغتة، فصُعِق لنظرته وبُترت الحروف بفمه، وترجرجت كل ذرة بداخله، ثم أطبق سيده ثانية على عنقه....

- أريد هذا الباب مفتوحًا قبل اكتمال القمر التالي.. هل تفهم؟

أومأ الكاهن إيجابًا ودموع الجزع تنضح بعينه، أرخى قبضته عنه، وجمت نبرته وقد اعتدل واقفًا **«لقد**



رأيتها.. كانت هناك» تحامل كاهنه على نفسه واقفا خلفه وبتوجس....

- من هي يا مولاي؟

- سيسيليا... بدت أصغر، لكنها كانت هناك داخل «القاعة المحرمة» تقف فوق المذبح الأعظم والدماء تُقطر من سيفها وتغمر القاعة.

- عفوًا يا مولاي.. لكنها ذكرى غابرة.. أضغاث حلم من الماضي السحيق.. أنت هو زارا العظيم المتربع وحدك وإلى الأبد على عرش السديم، والملكة سيسيليا ماتت منذ أمد بعيد.

لم يفه بشيء، عقله عاد يستعر صخبًا، فما رآه لم يكن حلمًا! حينما بدأت تزوره الأحلام، اعتقدها ذكرى غابرة ليهمس عقله **«سيسيليا لم تكن هناك، لم تمت يوم إلكاي! تبًا لك زارا إنها لعنة رُهانا التي ألقتها عليك بعد أن طعنت نفسها، أفق يا أحمق، أنت كسرت اللعنة إلى الأبد وقبل أن تحدُث، أنت أحق بالعرش من الجميع لذلك حصلت عليه»** التفت نحو الباب بُغتة تسارعت خُطاه حتى عبره، والكاهن من خلفه وحراسه في صفين من حوله.

فتح الحُراس الباب المُقابل لباب قاعته فدخل بخُطى مُتلهفة، قاعة فسيحة تُضاهي غرفته في المساحة، يقع سرير يُشبه سريره في منتصفها بأطره



المُذهبة، وتدلي ثُريتها، بدت مهجورة منذ زمن، لها نوافذ كبيرة جدرانها مليئة برسوم لنجوم وشلالات والكثير من الطيور، إلا جدار واحد كان أسودَ اللون مُعتمًا مُقابلًا للشُرفة الرحبة، تباطأت خطاه أمامه، توقف وعينه مُعلقة بظلامه وكل ما فيه يترقب!

أمعن النظر به ولا يرى شيئًا! همس بصوت خافت **«عين الرؤية»** وبداخله ألف صوت مُتناحر **«لقد فقدت عقلك، انطفأت العين منذ ليلة إلكاي، لقد حرصت أنت على ذلك، كيف لها أن تُضيء الآن بعد كل تلك السنين! يا لك من معتوه! كابوس أخرق سيُفقدك صوابك»** انتشله صوت كاهنه المُتزعزع، من صراعه المُحتدم.....

- عفوًا يا مولاي... لكن العين انطفأت منذ زمن.

لم يتحرك من مكانه، تلمست أنامله الجدار الأدهم، افتر ثغره عن ابتسامة ارتياح زفرها وزفر معها فزع أحمق سكنه، رمى الجدار نظرة أخيرة دون اكتراث وخرج يتبعه حراسه، أمامه ثلاثة من كل جانب، كما من خلفه.

تقدم داخل ردهة رحبة، في الطول والارتفاع، سقفها تغطيه رسومات بدت كالسماءِ المُتناثرة في صفحتها الزرقاءِ نجومٌ وكواكبُ وأقمارٌ خلابة الجمال، وعلى امتدادها في كلا الجانبين غرف كثيرة، أمام كل منها



يقف حارس يرتدي كامل عتاده الحربي، يتراصون في صفين مُتقابلين لا يفصل بين كل منهما سوى امتداد الحائط بين باب وآخر، وكلما اقترب من أحدهما وضع يده على قبضة سيفه وأحنى رأسه، انحرف يمينًا ومرافقوه حوله، وخلفه كاهنه الذي يتعثر في خطواته في محاولة للحاق بخطوات زارا المُنفرجة، يرن صدى وقعها بأرجاء القصر الساكن، وصل لسُلم كبير مؤطر على جانبيه بإفريز ضخم البنيان، يعتلي أوله وأخره من الجوانب أربعة صقور ضِخام بديعو النَّقش، ليصل بعده إلى ردهة أخرى أكبر من سابقتها، سقفها مُزخرف بنقوش لخمسة أهرامات مقلوبة قاعدتها للأعلى، غير مُنتظمة الحواف، يُميز كل منها معالم جغرافية مختلفة، إحداها يشقها نهر طويل يقطعها نصفين، وعلى جانبيه وادٍ ويعلوها سيف تلتمع قبضته بوهج أزرق، وآخَر بدت قاعدته المقلوبة مليئة بالمروج الخضراء والحدائق المُعلقة فوق بعضها والكثير من المباني التي تشبه المعابد الصغيرة ويعلوها نجمة ذهبية ينصع قلبها بالبياض الخاطف، وثالث تملؤه سلاسل جبلية صغيرة وتلال خلابة الجمال وفوقها يُحلق صقر كبير بجناحين تحوطها، والرابع هرم أسود مليء بالكهوف وأرضه غير مستوية، فيه الكثير من الشلالات تعلوها شعلة من لهب تتوهج بلون أحمر دموي، والأخير فيه غابة مُترامية



الأطراف ومبانٍ كثيرة صغيرة، ويُميزه بناءان ضخمان مُتقابلان يعلو أحدهما قرص الشمس كأنه يحتل الهرم كاملًا، وفي نهايته هناك هرم سادس لكنه بدا دخيلًا على اللوحة! لا يشبه غيره في براعة تصميمه ودقة نقوشه حتى قدمه فبدا حديث الرسم، بدا وسطهم كمن أُقحم داخلها عنوة! سطحه صحراء شبه جرداء خلا عن بعض المناطق التي تُشبه الواحات تعلوه عين تتوهج داخلها النيران، بينما كانت الجدران على طول جانبي الردهة تملئها صور لمناظر طبيعية بين جبال وكهوف ومروج ووديان وشلالات مياه بدت جميعها حقيقية وطبيعية حد الإبهار، في نهاية الممر جدار كبير يحتله باب تميز عن كافة أبواب القصر بحجمه المهول فيحتل الجدار بالكامل لونه أحمر بلون الدم!! تملؤه نقوش من سيوف كثيره وشُعلات لهب متفرقة، ونجوم وصقور بمختلف الأحجام، ويتوسطها جميعًا نقشٌ واحد كبير لم يتكرر في أي موضع آخر، وحده فقط ينتصف الجميع كما ينتصف الباب، قرص الشمس قُسم نصفين على ضفتيه، وأمام الباب وعلى جانبيه يقبع تمثالان كبيران مُتطابقان في الشكل والنقش والألوان، لغزال بريٍّ مُمددٍ أرضًا وبجواره امرأة تُمسد على رأسه ترتدي عباءة تتوهج بلونها الأبيض الصافي يغطي وجهها قلنسوة، فلا يظهر منها شيء، في اتجاهين مُتقابلين



ينظر كلٌ منهما للآخر.

حينما اقترب من الباب تمهل الخطى، توقف الجميع، رجع مرافقيه إلى الخلف خطوات، ووقفوا في صف واحد خلف ظهره، وبحركة عسكرية التف الجميع للجهة المُقابلة ظهرهم جميعًا للباب إلا هو وكاهنه، الذي تراجع خطوتين، بينما تهدج زارا بخطوتين نحوه، بنظرات ملأتها الرهبة والتعظيم، فكم كان يخشاه أكثر مما يتمناه! وضع كفه بتوجس عليه، لمس أطراف قرص الشمس بلونه الدموي، أسند رأسه إليه يُناجيه! ظل على وقفته لحظات طالت، التفت فجأة إلى كاهنه الذي أرخى رأسه أرضًا.....

- إن لم أعبر إلى غرفة العرش قبل اكتمال القمر التالي، سأُعلق رأسك على هذا الباب، ورأس كل من تجري فيهم دماؤك.

ركع الكاهن أرضًا وهو لا يجد موضعًا فيه للتنفس وليس للحديث، التفت زارا ليمينه لتقع عينه على غرفة صغيرة بدت دخيلة على الردهة والبناء بأكمله! يقف على بابها وحدها خمسة من حراسه! مضى إليها فقبض الحراس على سيوفهم وأحنوا رؤوسهم، ودفع اثنان منهم الباب دون أن يتحرك أيٌّ من مكانه، دلف وحده وأغلق الحارسان الباب ثانية!! راح يُجرجر الكاهن قدميه فيُوقن أن نهايته دانية، فقد ذبح زارا عددًا لا



يُحصى من كُهانه على هذا الباب الدموي الملعون، ظلت كتيبة مُرافقيه في موضعهم، لا يعلم أحد ما يقبع داخل تلك الغرفة!! التي استيقظوا يومًا من نومهم فوجدوها في هذا المكان، ولا يدخلها أحد سوى مولاهم!!!!!

•••

في الصباح التالي وبعدما غادرت ابنتها إلى جامعتها، غادرت زهرة منزلها، وصلت إلى مكان ناءٍ خارج المدينة، ركنت سيارتها وأخذت نفسًا عميقًا، وهي تُلقي نظرة مُتفحصة لذلك المبنى القائم وحده وسط هذا الخلاء! يشبه مخزنًا مُهملًا من عشرات السنين! تحسست ما في داخل كمها للحظة، شعرت ببعض ارتياح رغم أنه واهٍ، تعلم أنه هنا وفي هذا المكان تحديدا لن يحميها، إلا أنه أفضل من لا شيء على الإطلاق!!

أطبقت غطاء الرأس لسترتها على رأسها وغادرت السيارة مُتجهة نحو المبنى، تفحصت جدرانه حتى استقرت عينها على منتصفه، حيث تقبع بوابة حديدية قديمة وضخمة تتشح بالسواد، ضغطت الجرس على الحائط، لحظات وجاءها صوت ضعيف واهن يتساءل من بالباب، لترفع ذاك الغطاء عن رأسها وتنظر للأعلى نحو إحدى كاميرات المُراقبة الموضوعة فوق البوابة، لتنتابه قُشعريرة سرت بجسده المحنيّ لحظة وقعت



عينه عليها على الشاشات أمامه، فافتر جانبه عن ابتسامة ارتياح **«ها قد أتت أخيرًا.. خشيت ألا تصل في الموعد المُناسب»** ظل للحظة على شروده أعاده صوتها......

- هيا يا آصف أنت لن تتركني أقف على الباب كثيرًا!

عاودت النظر إلى الكاميرا وقد رفعت حاجبيها بنظرة ذات معنى له، ليزدرد لعابه وهو يتصنع عدم الفهم....

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

- نحن لن نتحدث من خلف الأبواب.

- أُفضل أن تكون بيننا الأبواب.

ثم تمتم بسخرية **«الكثير منها في الحقيقة»** فلا زال يتذكر لقاءاتهما في الماضي، ولم يكن ينتهي أي منها لصالحه!! أمالت رأسها باستسلام....

- كما تشاء يا صديقي القديم.

وقبل أن يرد بشيء اتخذت طريقها نحو الجدار الجانبي، يُتابعها بعينه، وقفت تنظر حولها، عينها تُفتش عن شيء! ابتسمت وخطت خطوة والتقطت عصا مُلقاة جانبًا، حرك رأسه بابتسامة ساخرة، رسمت هي دائرة صغيرة من حولها ونظرت نحو الكاميرا، لتظل بقايا ابتسامته على وجهه، وقفت داخلها وأغمضت عينها، فحرك رأسه وهو يلتفت للجهة الأخرى بكرسيه......

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا يا رونا؟



- بالتأكيد لم أشتق إليك يا آصف.

ظلت تنظر نحو ذاك العجوز الذي يجلس أمامها، بدا كمن تخطى المئتين من عمره بهذا الجسد الهزيل، وتلك الخطوط التي حفرت في وجهه ووديانًا من التجاعيد، وشعره الأبيض المُشعث، هم واقفًا وهو يُحاول أن يسند جسده إلى حافة الطاولة، ويتحرك بصعوبة فلم تعد عظامه المُنهكة قوية كما في السابق لتحمله، وبنظرة هادئة كما صوته....

- لماذا أنتِ هنا؟ اتفاقنا ألا يذهب أحدنا للآخَر مهما...

لم يُكملها فتلك النظرة الساخطة التي التمعت في عينها أسكتته، التمع العرق بين تقاسيمه وعاود جلوسه وعينه بدت مُشتتة، أمعنت النظر فيه، اختلف كثيرًا عن آخِر مرة رأته فيها، زاد هِرَمًا فبدا أكبر وأكثر مرضًا!!

لكنه لا زال ذا هيئة وقورة، ونظرة ثاقبة تلمحها بعينيه السوداوين الغائرتين بين نهر السنين الراحلة، ولته ظهرها وعينها تجول في تلك المساحة الواسعة، مخزن مهجور ليس فيه سوى أريكة ومكتبة كبيرة، وتلك الشاشات على الطاولة أمامه وبعض عُلب الطعام المُلقاة في كل اتجاه، التفتت نحوه لتجده يُبحر بالنظر إليها، فلم يرها منذ ثلاثين عامًا وأكثر، لكنها لا زالت كما عهدها رونا القوية الجميلة الهادئة، تنهد....



- لقد آن الأوان.. أليس كذلك؟

- لو كان آن ما كنت لتكون جالسًا حيث أنت الآن يا آصف!!

انبلج ثغرها ببسمة ساخرة، غمرها ارتياح بعد أن وجدته، وقد أمضت الفترة الماضية تبحث عنه في كل شبر من الأرض، جلست على الكرسي المُقابل له.....

- حدث شيء لا أفهمه.

حرك رأسه بأنه يعلم، رفعت حاجبيها دهشة، ليُزيد من ذهولها....

- الحلم هو ما أتى بك إلى بابي يا رونا؟

- لا زلت لديك شهوة لكشف الخبايا!

- في الماضي كانت شهوة واليوم باتت لعنة.

صمت لحظة ومسحة حزن احتلت جبينه......

- لا يهم هذا الآن.. أنتِ أتيتِ لأجل متجولة الأحلام.

جحظت عيناها عن آخرهما، بعد لحظة وبذات الهيئة المشدوهة....

- متجولة!! هذا ما كنت أخشاه.

- لنقل أن البنت سرٌّ أمها.

تراجع في كرسيه وهو يهز رأسه تأكيدًا بانهزام حفر على وجهه سنواتٍ جديدة من الهرم، لتنتفض هي بكرسيها....

- كيف يحدث هذا!! إن السوار لا يُفارق معصمها!



- السوار لا يُقيدها.

هزت رأسها بعدم استيعاب، وقد أغرقتها دهشتها، ليهم واقفًا بروِيّة وهو يزفر بشقاء، وتتبعه هي بالوقوف يُوليها ظهره.....

- هو فقط يحجبها عن العين.

- إن لم ترها عين الرؤية فهذا يعني أنه يحجبها عنه! فكيف لها أن تعبر إلى هناك؟ كلانا يعلم أن هذا لم يكن حلمًا، لقد عبرت إلى الداخل يا آصف، وقابلته وجهًا لوجه!

- أعلم.. لكن الأمر لا يسير بهذا الشكل، السوار يمنعها من الظهور على الجدار فقط، لكنه لا يُطفئ شمعتها، لم يعد بإمكانه أن يُقيد ما يجري في دمائها.

- لكنه حجبها واحدًا وعشرين عامًا!!!

- كلا هو فقط كان يحتوي توهجها.. وإن كان هذا عامها الحادي والعشرون كما لا زالت تُسعفني ذاكرتي فهذا يعني أن الدماء بداخلها تنتفض، ومع كل يوم يُقربها من يوم عيدها يُقربها من اكتشاف حقيقتها، وفي اليوم المنشود شمعتها سوف تتوهج داخل المعبد، فلا شيء بعد ذلك يمكن أن يحتويها، أو يحول بينهما.

التفت نحوها وأمسك بذراعها يستند إليها



واسترسل....

- السوار لا يمكنه منع ذلك هو فقط يؤجله، وكلانا يعلم ذلك وينتظره، إنه اليوم المنشود.. منذ دهر أو أكثر.. كلانا لم يعد يتذكر.

- لكنها ليست جاهزة له بعد.

حرك رأسه بيأس، لتهتف وقد مادت الأرض بها فاتكأت لجدار يقبع جانبها.....

- لابد أن هناك شيئًا يمكننا فعله؟

- لا شيء يمحي سطور القدر، وهذا قدرها إما أن تسفك الدماء أو يُسفك دمها.

- افعل شيء يا آصف لأجلي.

زادت خطوة نحوه ودمعة ترقرقت بعين كليهما....

- لأجل رُهانا وسيسيليا.

أغمض عينه بوجع وقد عادت به السنوات للخلف أزمانًا!! تقدم خطوة حتى صار قُبالة الجدار مُباشرة جال بعينه اليائسة فيه، وضع كلتي يديه عليه، مسده برقة وقد أغمض عينه، وبعد لحظة ضغط الجدار، فصدر عنه صوتُ حفيفٍ خفيفٌ، وهبط موضع يديه قليلًا داخله، دفعه برفق ليزداد الصوت، تراجعت خطواتٍ للخلف، انفتحت هوّة صغيرة داخل الجدار وظهر داخلها صندوق، صندوق أسود صغير الحجم، يُشبه الصندوق بمنزلها كثيرًا لكنه يختلف بنقوشه،



والرسوم الغريبة لأشكال هندسية وحيوانات ونباتات، جميعها باللون الأزرق، مد يده ونزع قلادة يرتديها حول رقبته يتدلى في آخرها مفتاح من ذهب، رأسه كالدائرة التي تحوي بداخلها ما يشبه خمسة أهرامات مقلوبة غير أنها ليست مُستقيمة الأضلع بالكامل، وينتهي طرفه بثلاثة مثلثات متتابعة، وضعه داخل فتحته ويده الأخرى فوق الصندوق، وأغمض عينه وتلك اللحظة التي أدار بها المفتاح، حرك شفتيه بشيء لما يُغادرهما، ليصدر بعدها الصندوق صوتًا وينفتح، أمسك بداخله قطعة من الحرير الأسود تُغلف شيئًا ما!! حمله إلى المنضدة بخطوات ثقيلة، وضعه عليها وجلس إلى الكرسي وجلست إلى جواره، راح يُزيح أطراف قطعة الحرير بحرص، حتى انكشف داخلها كتاب أسود يحمل ذات النقوش والرسوم، ويتوسطه قرص الشمس وبداخله نجمة وحيدة ذهبية، نظر لها نظرة ذات معنى وهو يضع كلتي يديه فوق الكتاب.....

- هل حقًا تريدين فعل ذلك؟

هزت رأسها إيجابًا دون تردد، ليسترسل وهو يضع يده فوق الكتاب...

- القدر بيد من سطره ونحن ليس لنا به من حول ولا قوة.

أمالت رأسها تأكيدًا، ليبدأ بالتمتمة وهو يُطبق كلتي



يديه على الكتاب «**باسم رب الأرباب، خالق العوالم ورافع السماوات، واهب الحياة والموت، باسط الضوء والظلام، ومُسير كل الأكوان، لتكن مشيئتك فوق كل مشيئة وتدبيرك فوق كل تدبير، أرشدنا بلمحة من نورك وسط الظلام...**» وانخفض بعدها الصوت وزادت تمتمته، لحظات وانفتح الكتاب فجأة وغلفتهما سحابة كثيفة من الضباب الأبيض، لم يعد أي منهما يرى الآخر، وريح خفيفة تهبُّ من حولهما، لم تعد ترى رونا أي شيء حولها سوى الضباب، بدت بعيدة في الزمان والمكان، واقفة في الفراغ فلا أرض تشعر تحتها ولا ترى في الأفق سماء، فقط يحوطها ضباب رقيق!!

توقفت وقد خُيّل إليها أن الضباب راح يتشكل أمامها لما يُشبه أهراماتٍ مقلوبة غير متساوية الأضلاع أو الأشكال، تُشبه تلك الموشى فوق المفتاح والصندوق، تشكل فوق أحدها المروج الخضراء وحدائق كثيفة، سكنت فوقها نجمة كبيرة فتحركت شفتاها رُغمًا عنها «ريوف» وبجواره تشكل آخَر بذات الهيئة يقطعه نهر ووادٍ فسيح وبحيرات شتى تحتله في كل جانب وفوقه التمع سيف التردد بذات النظرة التي راحت تترقرق بها الدموع «دريا» لتزداد واحدًا جديدًا وبرزت منه الكثير والكثير من كتل تشبه سلاسل الجبال وفوقها تُحلق الصقور لتخونها دمعة



وتنزل على وجنتها بنبرة ملأها الحنين «تليد» ليخطف عينها رابع تشكل بجوارهم كأنه كهوف بجوار كهوف وفوقها شعلة لهب تتوهج وبصوت خاوٍ«دهام» ليظهر بجوارهم خامس أكبر به المروج وغابة كبيرة أمامها يشمخ بناءان متواجهان يعتلي أحدهما قرص الشمس لتمد يدها نحوه بصوت منكسر «روكان» ظلت تدور حول نفسها داخل دائرتهم التي حاصرتها، تتبع عينها بدهشة خيطًا رفيعًا من ضباب ربطهم جميعًا!!

ليأتيها بغتة صوت آصف عاتيًا صارمًا كأنه ارتد مئتي عامٍ للوراء «**ما اغْتُصب بسفك الدماء لا يُسترد إلا بسفك الدماء! مع حلول القمر الأخير في الخريف الحادي والعشرون، عندما يحتل النجمان موضعهما بالسماء ويرتقي القمر عرشَه في المنتصف، ينكسر القيد وتسقط الحواجز، وتُسفك الدماء على أعتاب الخيانة، ويدور القدر وينكسر القفل!! ويسطع نجم النُّور وسط سماء العتمة، وتتوهج دماؤها داخل المعبد لن يحجبها شيء، ولن يحتويها شيء، بات يراها وتراه**».

تمتمت رونا «**مستحيل**» ليأتيها صوته غليظًا قاطعًا «**ذُبح المستحيل بنصل الغدر على مذبح الخيانة، ودنا اللقاء بينهما أقرب من قريب، تراه إثمًا يُطاردها ويراها شبح الماضي البعيد! ستسيل الدماء بالسديم**



نهر مُتصل لن يجرؤ أحد على الهروب، الجميع بات بالخيط موصولًا، مَن هربوا في الماضي على تخاذلهم سيُحاكمون، ودماء الهجين ستُشعل الأتون جحيم مُستعر، وحدها سوف تحكم المستحيل» ظل يُردد بصوت بدأت تتثاقل نبرته ويُصيبه الوهن **«ما اغْتُصب بسفك الدماء لا يُسترد إلا بسفك الدماء!»** راح يندثر صوته تباعًا، وبعد لحظات تبدد الضباب واختفى كل شيء، وعم السكون وسقط أرضًا من التعب، ركضت نحوه ساعدته على النهوض، أجلسته إلى أريكته القريبة، تبسم من جانبه، فبادلته إياها بحزن....

- آسفة على هذا المجهود الذي بذلته.. لكن...

وضع يده على فمها....

- كنت أرى قدومك منذ عدة أيام خلت، وخشيتُ أن تصلي مُتأخرة، يا صديقتي القديمة، عليكِ إخبارها بأسرع وقت، فقد اقترب حلول آخِر قمر، والدماء بدأت تنتفض داخلها، يجب أن تعلم فبركان دمائها لن يحتمل القيد كثيرًا، إن لم تكن مستعدة حينها سيكون الهلاك.

- أتعتقد أنني لم أحاول سابقًا... الأمر ليس يسيرًا.

- قريبًا سيعلم أنها ليست أشباح الماضي بل هي لعنته الموعودة، وحينها إن لم تكن مستعدة سيكون هلاكنا جميعًا.



هوت إلى الأرض بجانب قدمه....

- إنها صغيرة وضعيفة لا قبل لها باحتماله.

- إن كانت تربت في كنف رونا فلن تكون ضعيفة.

تساقطت دمعات مُتقطعة على وجنتها، ليُمسد على شعرها....

- لقد أحببتها.. آه يا رونا لقد تعلق قلبك بابنتك الصغيرة.. تذكري من هي وما قدرها.. ستُسفك الدماء.. وكلانا يعلم أن القدر خط دماءها إحداها.

أغلقت عينها بغصة ملأت قلبها، فكانت تعلم أنها لن تنجو مما ينتظرها، ليسترسل ولا زال يُمسد على رأسها...

- وهي ليست كما هي، وما بداخلها يحتاج رونا القوية وليس زهرة الأم.. وحدكما من تستطيعان إحكام قيوده بداخلها.

«بداخلها! إحكام قيوده!!» تمتمت بتعجب مضطرب وهي تلتفت نحوه...

- ماذا تعني بداخلها؟ عمَّ تتحدث يا آصف؟

ارتسمت ابتسامة صافية على جانب فمه وحرك رأسه للاتجاه الآخر....

- لا زلتِ تركضين خلف المفتاح!! وبين يديك ما يفتح كل الأبواب.. لا تقلقي فقريبا ستكونين في الوطن.



- الوطن!!! ما الذي تعنيه؟؟

راحت تهز جسده لكنه دخل في سُبات عميق، همت واقفة ولا زالت تتساءل «**ما الذي تعنيه؟ أنت لم تخبرني بكل ما رأيته! تبًا لك لقد حجبت عني أشياء لم تشأ أن أعرفها**» لم يُحرِ رد فقد غط في سُبات عميق، وكانت هي تعلم أن رؤية لمحاتٍ من شيء ليس لهم الحق برؤيته! قد استنزف كل طاقته، ظلت واقفة تنظر إليه بوجوم، وألف إعصار من خوف وقلق وعدم فهم يضرب بداخلها، اعتقدت أنها ستجد عنده الإجابات لكنها لم تجد عنده إلا مزيدً من الأسئلة، دثرته بغطاء وخرجت كما دخلت، لكنها عادت بهموم أثقلت كل ذرة بها.

•••

بعد عدة أسابيع لاحقة، تقف أمام المرآة، تُعدل من وضع ثيابها وتُعيد ترتيب شعرها، وقفت سيا للحظة تنظر لهيئتها في المرآة، كانت جميلة لكنها ليست على طبيعتها، نظرت نظرة طويلة نحو يدها، ثم رمت نفسها بنظرة مُشتتة في المرآة، نظرت إلى المكتب أمعنت النظر بالأوراق والكتب من فوقه، رفعت يدها باتجاهه ثبتت عينها وعقلها على الأوراق التي بدأت تتحرك ثم ارتفعت بضع مليمترات ازدادت لسنتيمترات في بعضٍ من الفوضى!!



منذ أول أحلامها وهي تشعر بأنها تستطيع فعل أشياء لم تكن تفعلها، تحريك الورق من موضعه أحدها! لتطرق أمها الباب فجأة فوجلت من الخوف وسقطت الأوراق في فوضى تعم المكان، وارتدت للخلف فزعة، التفتت نحو الباب الذي فتحته أمها ودلفت، مضطربة وعينها زائغة، تبسمت برجفة، لتبتسم أمها بفرحة....

- عيد مولد سعيد يا أميرتي الجميلة.

ازداد اختلاجها وهي تتقدم نحوها....

- إن كنت حقًا أميرة فهذا لأن أمي أجمل الملكات على الإطلاق.

تصنمت زهرة للحظة بموضعها، ثم ما لبثت أن انتبهت وسيا تحتضنها، وجسدها هي الأخرى يرتجف، لم تُعلق بشيء، فتعلم أنه ما من شيء على ما يرام تلك الفترة، أخرجت من جيبها علبة صغيرة قبلتها بجبينها وأعطتها لها، أمسكتها سيا بنظرة ممتنة فتحتها لتجد بداخلها قلادة ذهبية، قلبها من البلاتين به خمسة أهرامات مقلوبة مُتداخلة، وخُط عليهم كلمة واحدة «سديم» رفعت طرف عينها نحو أمها بنظرة مُرتبكة ومُتسائلة بدهشة....

- سديم!! اسمي سيا أمي وأتذكر أنك من اخترته!

- أعلم أيتها الثرثارة.

- إذًا!!



أمسكت أمها بالقلادة لفتها حول جيدها....

- لنقل أنه اسم أحبه كثيرًا.

عقدت ذراعيها وتلك النظرة التي تعرفها أمها جيدًا تملأ وجهها....

- حسنًا.. لقد أخطأ الرجل في كتابة اسمك، وسافر ولن يعود قبل أسبوعين، ولم أشأ أن أتأخر في إهدائك إيّاها، احتفظي بها كما هي حتى يعود ولنتخطَ الأمر، غدًا عيد مولدك فلنتظاهر بأن كلَّ شيء على ما يُرام.

- حسنا سأتظاهر بأنني تخطيته، فهي أفضل من هذا السوار على كل حال.

تبادلتا الضحكات، رمقت سوارها بنظرة مُستاءة، رفعت حاجبيها لأمها بنظرة وعتها جيدًا، فانحنت وقبلت وجنتها وهمست....

- لا تُفكري في الأمر حتى.

ظلت مكانها لا تتحرك تتلمس القلادة بيدها، رن هاتفها كانت دلين، تركتها أمها تُحادث صديقتها، وقبل أن تخرج أشارت نحو الورق المُبعثر بأن عليها ترتيب تلك الفوضى!

وقفت زهرة أمام شُرفتها عينها مُعلقة بالسماء **«إن كان القدر سطر كلمته فلتأتِ.. أنا بانتظارك»** أخرجها من شرودها صوت طرقات مُتقطعة على الباب، دخلت



وهي تبتسم وتستأذنها بالخروج مع دلين لاستعارة بعض المراجع المهمة من أجل الامتحان من أصدقائهما، تبسمت موافقة، ألقت نظرة من شرفتها على كلتيهما وهما تُغادران بسيارة دلين، شعرت بشيء غريب يجتاح صدرها، لم تكن ابنتها مصدره، شيء آخَر أعتى! عادت إلى الداخل وتربعت أرضًا تشعر بأن شيئًا سيئًا يغمُرها!!!

يغط في سُبات عميق فوق أريكته، فتح آصف عينه بغتة عن أخرهما بنبرة مُرتجفة خافتة ونظرته واهنة دامعة **«الليلة دماء!!»**

•••

عينها شاردة خارج السيارة، تريد البوح بكل ما يحدث معها مؤخرًا، لكنها مُترددة فما تشعر به غريب ولن يصدقه أحد، فهي ذاتها لا تصدقه، تعتقد أنها تتوهم، هي بالتأكيد تتوهم، كل تلك الأشياء هراء، فقط هواجسها تصور لها حماقاتٍ ليست موجودة!

وصلتا إلى مكان ليس ببعيد عن محل سكنهما، منطقة صحراوية خاوية وبعيدة عن العمران، توقفت دلين بالسيارة، سيا تفرك أصابعها ببعضهما باضطراب، نظرت نحوها وهي تُوقف مُحرك السيارة....

- ماذا هناك؟

- تلك المرة الأولى التي أكذب فيها على أمي.



- إنها ليست كذبة هي فقط قول نصف الحقيقة، فنحن بالفعل أتينا لمُقابلة بعض الأصدقاء لكننا لن نستعير الكتب.

هزت دلين كتفيها بمرح، وعيون ملأها الثقة، ولا زالت الأخرى على قلقها وشعورها بالضيق فلم تكذب سابقًا، فاستطردت دلين....

- ستكون مغامرة شيقة ألا تريدين كسر هذا الروتين القاتل الذي تعيشين داخله! لمرة واحدة فقط اخرجي خارج عالم والدتك إنه عيد مولدك، الليلة ومع دقات منتصف الليل ستصبحين في الحادية والعشرين.. لم تعودي طفلة.

ظلت على اضطرابها، لكن شيئًا بداخلها يحثُها على المواصلة، فما كانت لتفعل ذلك لولا علمها كم أمها عنيدة، ورفضها لتلك الأمسية سيكون قاطعًا، لكنها وكأي فتاة بمثل سنِّها ترغب أن تعيش حياتها بطريقتها، حركت رأسها إيجابًا وهي تنظر لها بابتسامة تحاول رسمها على وجهها لتهتف الأخرى بمرح....

- تلك هي صديقتي المتمردة.. وأعدك أن احتفال الليلة لن تنسيه! عيد مولدك الحادي والعشرون حدث لن يتكرر بالعمر سوى لمرة واحدة، ولا تقلقي قبل العاشرة سنكون في البيت فكما رأيت المسافة ليست بعيدة.



- هذا جيد لا أريد أن أتأخر أنتِ لا تعرفين أمي إذا غضبت.

أضاءت أنوار سيارتها الأمامية مرتين ثم مرة ثم مرتين، ليأتيها ضوء مماثل من على مسافة ليست بعيدة ازداد مرحها وتُصفق بيديها **«إنها ليلتك يا صديقتي»** غادرتا السيارة.

الصحراء ساحرة رغم خفوت القمر، هم بعض الفتيان والفتيات بالإقبال نحو دلين فور رؤيتها، التفوا حولها مُهللين، تأخرت خطوات سيا وهي ترفع صوت هاتفها وتتأكد من كونه عاليًا كفاية كي تستطيع سماعه لحظة رنينه تحسبًا لاتصال والدتها، والذي تتيقن أنه سيأتيها لا محالة، ليُخرجها من شرودها بالهاتف وبوالدتها التي كذبت عليها لأول مرة بحياتها صوت رجولي آتٍ من خلفها، التفتت لتجد شابًا طويلًا القامة، له عينان سوداوان حادتا النظرة وفيهما لمعة غريبة، لم تألفها لكنها جذبتها! أسود الشعر خمري الطلة، يتقدم نحوها وفي يده زجاجة مشروب.....

- التغطية هنا ليست جيدة، إن كنت تريدين إجراء مكالمة فيجب عليك صعود تلك التلة.

أنهاها وهو يُشير نحو تلة على بُعد بضعة أمتار من موقفهما، رمقته نظرة سريعة وهي تُميل رأسها....

- شكرًا على النصيحة.



التفتت للجهة الأخرى وتبعت دلين التي وقفت مع فتاة تُماثلها في الطول والجسم لكنها ذات عيون بنية كما شعرها لكنه أطول قليلًا، ابتهجت وهي تُشير إلى صديقتها....

- تلك هي رحيل.. صديقتي.

ووضعت يدها على كتف سيا تضمها إليها....

- وتلك هي صديقتي الجميلة سيا التي حدثتك عنها.

أنهتها وهي تغمز لرحيل! التي مدت يدها بابتسامة لتُبادلها السلام، وأطالت بسلامها فلم تُفلت يد سيا! راحت تتحدث ببضع كلمات وهي تُطبق على يدها....

- لقد حدثتني دلين عنك كثيرًا.. يبدو أنها تحبك جدًا.

أمالت رأسها خجلًا وهي تنظر نحو دلين بنظرة حب، وتحاول سحب يدها من رحيل التي لم تتركها!! مما أثار دهشتها وهي تنظر نحو اليد المُطبقة عليها، لتبتسم دلين وهي تفك هذا التشابك....

- إن رحيل كانت تتلهف لمقابلتك كثيرًا.

تبسمت بصمت، لكن النظرة بينهما طالت، فسحبتها دلين للمنتصف وبصوت جهوري انتبه له الجميع....

- فليعطني الجميع انتباهه، قبل أي شيء سأعرفكم إلى صديقتي الجديدة.



فانصبت كل العيون حولها، ليعتليها خجلٌ احمرت على إثره وجنتيها، وقد أمطروها بنظرات الترحيب وعباراته، لتستطرد.....

- مع دقات منتصف الليلة سيكون عيد مولد تلك الجميلة الحادي والعشرون ويجب أن يكون مميزًا.

فهتف الجميع تأكيدًا، وقبل أن تسترسل بشيء آخَر سحبتها سيا بضع خطوات للخلف، وهي ترفع حاجبها بغيظ....

- ما الذي تفعلينه يا حمقاء؟

- ماذا!! ألا يجب أن يتم التعارف بينكما!

وقبل أن تُكمل بحرف، خف الخُطا نحوهما ذات الشاب الذي أجفلها عند السيارة، لتبتسم له دلين وتقبله في خده، وعينه مثبتة نحو سيا....

- أهلًا بك ريان.

- كيف حالك يا جميلتي؟

- بخير.. أعرفك بصديقتي سيا.

فمد يده نحوها، وبعد ترددها لثانية صافحته وعيناهما غارقتان ببعضهما رغمًا عنهما! تلعثمت....

- تقابلنا منذ قليل.

- حقًا!!

تعجبت دلين، فسحبت سيا يدها ولم تنتظر كلمة أخرى تركتهما واتجهت نحو التلة التي أشار لها سابقًا،

وبعدما ابتعدت عنهما بقدر كافٍ، تساءلت دلين ولا زالت تضع يدها على كتفه....

- ما رأيك؟

- أعتقد أنك محقة.. إنها مختلفة.

لتظهر رحيل من جانبه الآخر....

- لا أرى بها أي شيء مختلف.

لتهتف دلين....

- أنتِ مخطئة.. فكل شيء بها مختلف.

- أنت حمقاء لا شيء بتلك الفتاة يستحق كل هذا الاهتمام.

- على العكس كل شيء بها يستحق أكثر من الاهتمام.

قاطعهما ريان، فضجت دلين بحماس أكبر وهي تنظر نحو رحيل بتحدٍ....

- هل استطعتِ اختراقها؟

زفرت رحيل بتأفف، لتصيح دلين بذات التحدي....

- هل استطعتِ؟ بالتأكيد لم تفعلِ، فحتى أنا لم أستطع، ولا ريان استطاع.

نظرت نحوه ليهز رأسه نفيًا....

- أنتِ مُحقة هي حالة فريدة بيننا، إما إنها صفحة بيضاء وهذا مستحيل وإما..

- ماذا يا ريان؟



تساءلت رحيل باهتمام، ليحك مؤخرة رأسه مترددًا في البوح بما يريده، وقبل أن يهز رأسه نفيًا، لأنه قرر الاحتفاظ بما ساوره بعيدًا عنهما على الأقل بالوقت الحالي! همست دلين باضطراب....

- إنها قادمة نحونا.

تبسم ثلاثتهم وتبادلوا أطراف أحاديث متناثرة، حين وصلت تساءلت دلين....

- هل حدثتِ أمك؟

- إنها لا تُجيب الهاتف.

- ربما غفت.

هزت رأسها دون تأكيد أو نفي، لكنها تعلم أن أمها لن تنام قبل عودتها، فربما هي فقط لم تسمع الهاتف أو منشغلة بإعداد الطعام، تنقلت عيناها بين هذا الجمع من الفتيات والفتيان، ويساورها شعور غريب تجاه الجميع! شعور بأنها ليست غريبة عنهم! ورغم شعورها بالذنب لكذبها على أمها وهي التي لم تكذب عليها يومًا، كان هناك ذلك الشعور الغريب بالألفة والراحة، شعور ربما لم تتمتع به سابقًا سوى بحضرة أمها فقط! ورغم شعورها بأن رحيل لا تستسيغ وجودها، لكنها تجاهلتها، لتُخرجها دلين من شرودها وهي تسحب يدها بمرح وتنطلق بها وسط تجمعهم، جلستا وسط الجمع المُتحلق حول النار وجلس ريان مُقابلها ورحيل



بجواره، غُلقت عيناها به للحظة قاطعتها دلين....

- هيا يا سيا إنه دورك.

هزت رأسها بعدم فهم، وقد غمرها شعور بالخجل لتركز تلك العيون حولها، فعلق ريان بنبرته الرصينة....

- هيا أخبرينا ما هي أغرب القصص التي سمعتِها؟

- نريد شيئًا مُخيفًا.

جاءها صوت أحد الجالسين وتبعتها بعض الضحكات المُتفاوتة، فهزت رأسها بأنها لا تعلم قصصًا غريبة، لكن الأصوات من حولها تعالت مُطالبة إيّاها بأن تقصَّ أيَّ شيءٍ تعرفه، أومأت إيجابًا وقد تذكرت تلك القصة التي كانت تقصُّها أمُّها عليه منذ كانت طفلة صغيرة وحتى بضع سنوات مضت....

- إنها قصة خيالية عن عالم آخَر يقبع بين السحاب، مُعلق في السماء، بين الوجود والعدم، ضائع في حدود الكون، بين الموت والحياة، مملكة كبيرة مؤلفة من خمس ممالك مُتفرقة، تُشبه كل واحدة منها الهرم المقلوب، مُتقاربين جدًا حتى أنه يمكنك رؤية أي واحدة منهم وأنت تقف على حافة الأخرى، منذ ألفِ عامٍ ويزيد كانت تُدمرهم الحروب والنزاعات ويُغرقهم الظلام والخلافات، حتى جئن راهبات النُّور، كن راهبات تربين داخل معبد «دارا» بمملكة «روكان» تميزن بالحكمة والعلم والذكاء



وسعة الحيلة، والبعض منهن كن على دراية بأمور السحر، استطعن وقف الحرب، وإقرار السلام بين الجميع، لكن الأهم أنهن استطعن توحيد كل الممالك تحت راية المعبد، لُقبن بملكات النور لأنهن بددن الظلام وأعدن الحياة لعالمهن، وصارت الممالك الخمس مملكة واحدة كبيرة سُميت مملكة «السديم».

صمتت وقد زاغت عيناها وأطبقت يدها بتوجسٍ على القلادة حول رقبتها، كيف لها أن تنسى وقع هذا الاسم! كانت تلك القصة إحدى ثوابت أمها التي لا يمر يوم دون أن تقصها لها قبل نومها! أعادتها يد دلين التي حثتها على المواصلة فأكملت:

- وفي يوم الترقي يوم «إلكاي» هو يوم مميز في السديم يتم فيه ترقية الرهبان والكُهان لدرجات أعلى داخل المعبد وقصر «روسيل» وأيضا يتم تنصيب ولية العهد ووريثة العرش من بين أميرات النور، وداخل قاعة روسيل المُحرمة قاعة العرش، وقبل لحظات من إعلان بداية الاحتفال، أُغلق بابا القاعة فجأة وقبل أن يتحرك أحد من مجلسه استل الرُهبان المتمرسون خناجرهم ونحروا كلَّ من بالقاعة من حرس القصر، ومجلس الحكماء والرهبان والكهنة، وملكات النور، صارت الدماء



نهرًا، أبقى «زارا» قائد التمرد والذي هو أحد كهنة سحر النور على الملكة «رُهانا» الملكة الأم يُريدها أن تخبره بأسرار لا يعرفها أحد سواها، لكنها باغتت أحد رهبانه الخونة وسرقت خنجره وطعنت نفسها، كانت عجوزًا مريضة وواهنة وتعلم أنها لن تستطيع الصمود كثيرًا أمامه، حينما سقطت أرضًا، هرول نحوها يحاول إنقاذها، فوجدها تمتلك ما يريده! لكنها أطبقت يدها على الخنجر تغرزه أكثر بداخلها بكل ما تبقى لها من قوة، والأخرى على تميمتها التي تتدلى من عنقها، تهمس بكلمات كثيرة، انحنى يسمع آخِر ما تهذي به، فاستعر وجهه سخطًا وهي تهمس بما لم يسمعه غيره، ثم أسلمت روحها لله.

صمتت والعيون لاهثة نحوها، ينتفض الخوف بين تقاسيمها، ليأتيها صوت من خلفها وقد وجدت أن كل من في المكان قد تجمع حولها يحثها على المواصلة **«وماذا بعد؟»** فأكملت....

- هاج زارا مما قالته، انتزع تميمتها، وصرخ بسُخطه المجنون في رجاله أن يأتوه بكل من يحمل دماء النور وليس دماء رُهانا فقط، ماج كالمسوس يُفتش داخل القصر وخارجه عنهم، جمع رجاله أحفاد الملكة وأبناءها وكل من يمتد بصلة لها، والذين لم



يستطيعوا الفرار وبدأ بقتلهم واحدًا تلو الآخر، حتى حدث ما لم يتوقعه، أُغلقت «القاعة المُحرمة» داخل قصر روسيل بغتة على من بداخلها من جثث وبعض من رجاله، وقد تحول لون بابها الخارجي من الأبيض إلى الأحمر الدموي، ولم يستطع من بالداخل الخروج ولا من بالخارج الدخول، حاول بالقوة وسحر النور والأسود وكل شيء يعرفه فتح قاعة العرش لكن دون طائل، أتى بكل سحرة الممالك أخبروه أن تلك لعنة رُهانا التي أطلقتها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، لن يُفتح الباب إلا بانتهاء اللعنة، وهذا لن يحدث إلا بسفك دماء النور عليه، دماؤهم وحدها مفتاح العبور للعرش، فأحضر من تبقى منهم إلى الباب وسفك دماءهم جميعًا عليه واحدًا تلو الآخر، حتى الأطفال منهم لكنه لم يُفتح! هرع نحو قاعة نوم رُهانا يتفقد عين الرؤية، جدار أسود يمكّن من يقف أمامه من معرفة مكان كل نسل سيسيليا قد صنعته هي بسحرها ودمائها، لتعلم مكان كل فرد من عائلتها خارج القصر وتستطيع حمايته، ويظل تحت عينها، لكن الجدار كان مُطفئًا لا تلتمع به نقطة واحدة، وهذا يعني أن لا أحد تبقى، لكن هناك وداخل معبد دارا المقدس كانت تتوهج شمعة وحدها وسط الظلام!



فكلما وُلد من نسلها طفل تُضاء له شمعة داخل قاعة الحياة بالمعبد، ولا تنطفئ إلا بموته، كانت تقف هناك وحيدة، ترتجف شعلتها الواهنة، ومن حولها خمدت كل شمعات النور، وبعد ذلك خمدت هي الأخرى، وعاد الظلام يُغرق كل ممالك السديم من جديد.

سكتت وكل العيون مُعلقة بها كما الأنفاس اللاهثة تحثُها على المزيد، لتُحرك كتفيها بأن ليس لديها المزيد، تبادل الجميع النظرات، نظرات يفهمها الجميع إلا هي!

حدجها ريان بتلك الطريقة التي أربكتها حاولت الهروب لكنه غمرها بعينيه، وقفت تتظاهر بتفقد هاتفها وهي تبتعد خطوات، تفرق الجمع وسط همهمات ونظرات يعيها الجميع!

انتابها إحساس غريب! أنزلت الهاتف من يدها وشعور لا تعرف مصدره سيطر عليها دون مقدمات! شعور سيئ أصابها بغصة غريبة بباطنها! رفعت عينها نحو السماء تُفتش عن شيء بحد ذاته! حين أعادها صوته الرصين....

- هل كل شيء على ما يرام؟

التفتت لتجد ريان يقف خلفها، لم تُجب فلا تعرف ماذا دهاها! ما الذي يُهاجم صدرها بضراوة؟ رفعت رأسها نحو السماء، وتعلقت عينها بنجمة بعيدة في



السماء وحيدة وسط الظلام، شعرت للحظة ببريقها يجتاحها من الأعماق ويرتد بين جنباتها، تقدمت خطوة للأمام تتبعها بجسدها وليس عينها فقط! ونظراته المُستغربة تُطوقها، وقف أمامها وهو يسألها بارتياب ملامحه قبل صوته.....

- هل أنتِ بخير؟

لم تفه بشيء ونظراتها الزائغة لم تُفارق هذا الخلاء المظلم خلف كتفه، فزاد خطوة ووضع يده بتردد على كتفها يحاول استعادتها....

- هل تشعرين بشيء يُزعجك؟

هزت رأسها أنها لا تعرف! دون أن تحول عينها عن مكانهما، تلك اللحظة التي وصلت بها دلين ورحيل إلى موقفهما، نظرت فجأة نحو سوارها المُلتف حول معصمها وقد أصابها شعور غريب بأنه ينكمش! فضيقت حاجبيها دهشة هل حقًا يضيق حول يدها!! تشعر بوخزته حول معصمها! عيناها مُعلقة بسوارها وصوت غريب يهمس داخل رأسها «**إنهم هنا**» فرددتها بتلعثم صوت خافت مُنزعج، لتتساءل دلين التي أمسكت بكتفها وقد التقطت أُذنها ما قالته....

- من؟ عمن تتحدثين!!!

وريان لا زال يُبحر النظر بعينها الخائفة! تقدمته خطوتين نحو الظلام فالتفت إلى حيث تنظر،



واستقرت عين ثلاثتهم بذات المكان وما من شيء سوى العتمة....

- لا أرى أحدًا!! هل ترين شيئًا؟
- ألا تراهم؟ إنهم قادمون.. ذات الرجال من الحلم.
- أي حلم؟
- صاحب العينين المتوهجتين!!

بُهتت دلين بعدما تحفزت عينها وعقلها، لتهز سيا رأسها إيجابًا ولا زالت عينها على ذات الحال، وإحساس غريب يُداهمها بأنها حُبست داخل حُلمها! تقدمت دلين أمامهم وهي تُوغل النظر بالظلام لتبتسم رحيل التي تبعتها باستهزاء ساخرة....

- ماذا تعتقدين أنك سوف ترين في تلك العتمة؟ إن صديقتك حمقاء مجنون، وربما ليست منَّا بالأساس.

حدجتها سيا باستغراب وهي تردد بعدم فهم **«منا!!»** لترفع دلين يدها أمامها في الظلام على امتدادهما، حركتها في الهواء كأنها تمسده وتُتمتم بشفتيها ببضع كلمات لم يسمعها أحد! لتجحظ عيناها بهلع، وتصرخ بصوت أصمتتهم حدته، حتى أن سيا وضعت يديها على أذنيها من قوته **«لينخفض الجميع»** ثم ارتمت فوق رحيل فكانت الأقرب لها، بينما ارتمى ريان فوق سيا فسقطوا جميعا أرضًا وانخفض أكثر



القريبين منهم، جحظت عينا سيا التي رأت كل تلك السهام تعبر من فوق رؤوسهم كسرب من مئات الطيور الجارحة!

أفاقت من لحظتها الصادمة على أصوات صرخات مُتناثرة من حولها، وأولهم صوت ريان الصارخ بقوة «**قتلة المعبد.. ليهرب الجميع**» راحت الصرخات تتعالى بهلع الجميع، يركضون باتجاهات مُتفرقة، وانطلقت دزينة أخرى من السهام تُلاحقهم فأصابت البعض منهم، راحوا يتساقطون على الأرض بين جرحى وقتلى، همت دلين ورحيل بالركض للخلف بينما كانت سيا لا تزال أرضًا وهي ترفع رأسها وجذعها العلوي قليلًا وقد فزعت عيناها وشفتاها ذهولًا من هول ما تراه.

راح الظلام أمامها ينشق عن الكثير من الرجال فارعي الطول بشكل لم تره من قبل، جسامًا، خطواتهم سريعة رشيقة لا تكاد تُلاحقهم عينها، ملثمون فلم تر سوى عيونهم المخيفة، فبدت سوداء كأنها خاوية على محاجرها!! يحملون بأيديهم سيوفًا وأقواس تتوهج باللون الأحمر الدموي! لم تستطع التحرك من فرط ذهولها، كالمُغيبة لا تشعر بشيء ولا ترى شيئًا، عيناها كل ما يقوى على الحركة، وهذا لم يكن اختيارًا بل من فرط الذهول والهلع!



في أحلامها لم تكن تراهم بكل هذا القُرب والوضوح، تلك الدماء تتناثر من حولها وخطوات المحاربين في ازدياد، هرول نحوها أحدهم شاهرًا سيفه، أغمضت عينها كي لا ترى الضربة وهي تهوى عليها، فتُوقن أنها هالكة لا محالة، لم يُعدها سوى يد ريان التي اختطفتها إلى صدره بُغتة، لتفتحها بعد ثانية فتجد نفسها في حضنه في الجهة الأخرى!!

زادت اختلاجاتها المُتلاحقة بلهاث أنفاسها المذعورة وهي تنقل عينها من تلك النقطة التي كانت بها منذ لحظة على بُعد أمتار وتلك التي بها الآن! كيف انتقلت في أقل من ثانية كل تلك المسافة دون أن تتحرك! سحبها من يدها يُوقفها وهو يصرخ بها **«سوف أشرح لاحقًا»** كانوا يفوقونهم عددًا وقوة وتدريبًا، فهم مدربون على القتل والقتل فقط، لا يُخطئ أحدهم هدفًا، يشقون هؤلاء الصغار من حولهم كأنهم دمى يعبث بها صبي كبيرا! فيفصل رأسها وأجزاءها دون عناء، دون تردد، راحوا يُحاصروهم من معظم الجهات، أطبق يده على ساعدها وركض بها نحو التلة، والتي شرع يهرول نحوها كل من تبقى منهم على قدميه لعلهم يحتمون بها من هذا الجحيم، تركض ولا تعرف من ماذا!

هي فقط توقن بأن الموت يُحاصرها! ثم توقفت



فجأة انتزعت يدها منه وصرخت بملء صوتها الذي سمعه الجميع «**تبًا لك يا سيا، إنه أحد كوابيسك لا شيء من هذا حقيقي، لا شيء على الإطلاق هيا استيقظي الآن**» لتأتيها صرخات دلين من قُرب بعيد «**ليس حلمًا يا سيا، كل ما أخبرتنا به عن الممالك المفقودة حقيقة! تلك العوالم المسافرة بين الحقيقة والخيال ليست مجرد حكاية إنها حياتنا، السديم هو موطننا.. اركضي يا حمقاء**».

تصلبت في موضعها وسقطت على ركبتيها، بدأ جسدها يرتعش وعينها عُلقت بتلك الأجساد المُلقاة حولها غارقة بالدماء وصرخات الألم، أطبقت يدها على قلب القلادة وعقلها يدوي بداخلها «**حقيقة!**» ازدادت ارتعاشاتها اللاإرادية وقد وقعت تحت تأثير صدمة لا قبل لعقلها باحتمالها.

تلك اللحظة التي جاءت صرخة رحيل من الجهة الأخرى «نواه» توقف الجميع بموضعه ارتسم الهول بين تقاسيمهم حينما وقعت عيونهم عليه!! لتتجمد عين سيا بذاك الذي ظهر من وسط الظلام، يمتطي جوادًا دامس السواد، يفوق كل الجنود في قوته ووفرته في الجسد، لكن زيه يختلف عنهم، ازداد ارتجافاها فإن كان كل هذا حقيقيًا، فلابد أنه صاحب العيون المتوهجة بحلمها، من تراه كل ليلة يقتلها!!



جزع الجميع وهموا بالركض باتجاه التلة فكانت آخِر ملاذ لهم، أوقفها ريان وهو يصرخ بها كي تستعيد وعيها **«لن يموت أي منا هنا الليلة»** اختطفها من ساعدها رغما عنها وعاودا الركض، ترك يدها وهرول كل منهما بجوار الآخر، تسبقه بخطوات، فتعثر بأحد الجثث ووقع، ليجد أمامه أحد قتلة المعبد انتفض واقفًا بحركة واحدة، وقد رماهُ بنظرة غل كارهة، توقفت سيا وانخلع قلبها حين رأتهما مُتقابلين أيقنت أنه هالك، يفوق ريان طولًا وقوة ووفرة في كل شيء ويحمل سيفًا بيده.

غرس ريان قدميه بالأرض، ودفع ذراعه اليمنى للأسفل كأنه يُلقي بشيء أرضًا! فظهر بقبضته سيف!! التمع نصله في عينها التي فغرتها دهشة لهذا الذي ظهر بيده من العدم!! استعادتها صيحة دلين لها بأن تركض نحو التلة وقد لمحت في يدها سيف آخَر يلتمع نصله بالدماء ترد به ضربة جاءتها من خلفها، لكنها التفت بخفة ورشاقة كأنها تراها!! وتصرع مُقاتلها دون عناء!

ظلت في موضعها لا تستطيع الحراك تنظر لتلك السيوف التي ظهرت بأيديهم فجأة! تلك القوة التي يُحارب بها ثلاثتهم وبعض من تبقى منهم!! وتلك الوجوه المُلثمة الخاوية إلا من عيون دامسة بالظلام، كل تلك الدماء، شهقت أنفاسها وشعرت بارتياع ودوت



صرخة بداخلها لم يستطع كلها المتجمد إطلاق صيحتها، تراه يُبارز ببأسٍ شديد ويرد الضربات أكثر قوة!! ليُعيدها السوار من ذهولها وهو يُعاود ضيقه على معصمها لتنظر نحو الظلام القريب من التلة، وترى نقاطًا تلتمع في الظلمة راحت تزداد لمعتها!

ظهرت وجوه جديدة لرجال ونساء يحملون سيوفًا ويركضون من الجهة المقابلة، كذلك ظهروا من العدم! لكنهم يشبهون هؤلاء البشر الذين تعرفهم، تعالت جلجلت أقرانها من حولها مُهللة بفرح والتمعت عيونهم بأمل في النجاة، لم يكن عددهم كبيرًا، لكنهم كانوا أكثر قوة وبدوا أكثر خبرة في القتال.

للحظة وقف كلا الفريقين مُتقابلين، ترجل نواه عن حصانه ولا تزال هي بالمنتصف وعلى مقربة منها من تبقى من أقرانها، فرفع قائدهم صوته بنبرة كارهة وهو ينظر نحو رجاله الذين لم يتعب أي منهم فبدوا كمن بنزهة **«اقتلوا جميع الطرائد لا تبقوا على أحدٍ، وابدأوا بأبنائهم»** لتكتشف تلك اللحظة أن هؤلاء هم ذووهم فأغمضت عينها بأسى **«أمي»** ليأتي صوت من منتصفهم **«أخرجوا الصغار من هنا»**.

عمت الفوضى المكان من جديد، صليل السيوف يصُم الآذان، ريان يُحارب بضراوة، ورحيل تُقاتل ببأسٍ شديد، تحاول دلين مساعدة من أصُيب على الوصول



باتجاه التلة التي بدأ الجميع يركض نحوها مُجددا، وهي تُساعد أحد الرفاق على الوقوف، أشار لها ريان بالركض فركضت لكنها تعثرت ووقعت، سقطت على ظهرها، وقبل أن يركض نحوها أوقفته يد قوية!

صاحب الصوت الذي صرخ بإخراجهم ويُعطي الأوامر داخل المعركة المُحتدمة، حاول ريان الإفلات من قبضته لكنها كانت قوية ونظرته قاطعة صارمة **«هي هالكة لا محالة»** فلم يتبقَ سواها في المنتصف، حل السكون فجأة، بدأ الجنود بقتل المصابين والملقون أرضًا بينما ظل الآخرون على مقربة من بعضهم البعض لا يستطيع أحدهم الحركة، هرول أحدهم ناحيتها شاهرًا سيفه، أسلمت رأسها للأرض نظرت نحو النجمة الوحيدة بالسماء **«آسفة يا أمي»** أغلقت عينها حين وجدته يقف فوقها رافعًا سيفه للأعلى يقطر دمًا فوق وجهها، ينظر نحو الواقفين أمام التلة بابتسامة ساخرة تعلمها رغم أنها لا تراها! ثم هوى بالسيف فوق جسدها...

•••



الثالث

أشباح تعود



لا تزال زهرة تتربع أرضًا تضع قدمها اليسرى فوق فخذها الأيمن، وتضع كلا يديها على ركبتيها مُغمضة العينين بوضع اليوجا الساكن، ربما لم تكن تتنفس حين فتحت عينها بُغتة وبها نظرة مذعورة «سيا».

•••

فتحت سيا عينها تشعر بألمٍ وبوخزة قوية بباطنها انتفضت لها!! بينما الملثم فوقها يبدو مشدوهًا! تحسست باطنها بريبة لكن ما من دم! هز رأسه دون تصديق فلم يقتلها سيفه! ينظر نحو قائده الذي أصابه الأمر بالفضول قبل الذهول! جعله يتقدم نحو موضعهما خطوتين، فغر الجميع عينه وأولهم دلين كيف لم تخترقها تلك الضربة!!!

رفع سيفه تلك المرة بقوة أكبر وبُغضٌ ما التمع في ظلمة عينه، ورغبة عارمة بقتلها، رفعت يدها اليُمنى أمامها كرد فعل طبيعي، لكن تلك المرة لم تشعر بشيء، أي شيء حتى الوخزة السابقة! حجبت يدها الرؤية عنها للحظة، شعرت بقطرات ساخنة تسقط فوق ذراعها ويدها ثم وجهها! فحركت يدها لتجد رقبته تنهمر منها الدماء ورأسه تسقط بجوارها وجسده يسقط تباعًا!

لتظهر أمها من خلفه وسيف بيدها مُخضب بدمائه التي انهمرت فوقها! لينزع قائدهم لثامه وخطواته تزداد نحوهما وعيناه الغائرتين بالسواد تنضح بذهوله



«رونا!» لتنظر أمها نحوه بنظرة كره صرخت بملامحها قبل صوتها «نواه» انتزعتها أمها من ذراعها أوقفتها، ولا زال كلها مُتجمدًا من فرط الذهول، فغر من أوقف ريان عينه بذهول وهو يُردد اسمها، وتبعها همسات مشدوهة سرت بين الجميع، لتهمس دلين بذهول «رونا!» ليأتي صوت من خلفها «**آخِر محاربات النور، فرت ليلة إلكاي، ليلة سقوط المملكة**» ظلت نظرات رونا مُركزة على نواه وألف ذكرى غابرة مضت تقف بينهما! همست لابنتها دون التفات «**اخرجي من هنا الآن**» ووضعتها خلف ظهرها تمنع عيونه عنها! أطبقت يُمناها على سيفها بحنق، جذبها صوته.....

- رونا الجبانة.. الهاربة.. من تركت ملكتها للموت.. وهربت خوفًا على حياتها.

انشق جانب فمها عن شبح بسمة حانقة....

- نواه الخائن.. من خان العهد.. وذبح ملكته بدم بارد.. بعدما أقسم لها بالولاء والطاعة.
- أنتِ هربتِ من قسمك.
- وأنت خنته.
- إن عاد الزمن ستهربين ثانيةً يا رونا.
- لماذا لا نعيده الآن يا نواه؟

وتمتمت بداخلها «**إن كانت تلك النهاية فيكفيني دماؤك**» انطلقت نحوه كما ركض نحوها، تلاقى



سيفيهما بشلالات من ضغينة وكره غلت في الصدور، فاهتزت تحتهما الأرض وتعالت صرخات الريح والليل، لتنفض عن الزمن شيبه وتُعيده دهرًا للوراء، راحا يتبارزان ببأسٍ أشد من الأيام الخوالي، أيام كانا يتبارزان داخل ساحة المعبد للدفاع عن مملكة السديم، بل مبارزة أعتى نذرتها للموت، فنذرت دماءه لها وحدها، لن تُسفك إلا بيدها، ولو بعد ألف عام! داخل السديم أو خارجه لا يهم فهو لها وحدها.

كل تلك العيون تُحاصرهما، وجه لها ضربة قوية فانحنت بجذعها العلوي للخلف، فعبر سيفه من فوق أنفها كاد يُلامسه، اعتدلت واقفة وجهت له ضربة أقوى تفادها بسيفه بشق الأنفس، كان قويًا كما اعتادته لكنها الأقوى كما كانت بالسابق وكما ستظل دومًا.

أقوى محاربات المعبد، أصغر من عُهد إليه بحراسة الملكة رُهانا لقوتها وذكائها وسرعة بديهتها، شرف لم يحظَ به إلا أقل القلائل من محاربي المعبد، ما اغتبطها عليه الجميع، وكرهها لأجله نواه تحديدًا، هتف بحقد **«هربت رونا العظيمة من المعركة خوفًا من أن تُقتل»** وجهيهما مُتلاحمان وكل منهما يدفع بكل قوته سيف الآخَر عن عنقه وبحنق غلت نبرتها قبل وجهها **«نواه الخائن.. كنت دومًا أعرف أنك حية مسمومة».**

غضبها أعتى ودفعتها أقوى فارتد خطوتين للخلف،



وانفك تلاحم سيفيهما لكن أيديهما ما زالت مُتشابكة، فهوت بكل قوتها بقدمها فوق قدمه، ليتشتت لثانية وبمرفقها لكمته في جانبه، وانحنت أرضًا وقد سحبت خنجرها وسحبت معه شقًا خلف ركبته فركع عليها، قفزت في الهواء وهي تهوي بسيفها على كتفه، وبحركة دائرية لفت جسدها ونزلت على قدمها خلفه، ظهراهما مُتقابلان، ظلت عينها للحظة مُعلقة بالظلام خلف جنوده، الذين ينظرون لقائدهم ولا زال على ركبته، وعينها مُعلقة من خلفهم بابتسامة رُهانا لها ليلة السقوط وهي تطلب إليها البقاء داخل المعبد، كانت مُتأففة تريد حضور الاحتفال لكنها ربتت على كتفها وهمست **«أنتِ هنا تُقدمين لي ما هو أعظم.. هلا تُخبرني مولاتي ما هي مخاوفها؟ بعد الاحتفال رونا إما أن تكون مخاوف وإما أضغاث أحلام.. تذكري كم أثق بكِ.. لا أحد سواكِ يستطيع حمايتها».**

عاودت بعينها النظر لطرف سيفها تأملت الدماء تُقطر منه! دون أن يتحرك كلاهما، ليسقط رأسه تاركًا جسده في حالة من الذهول الذي سيطر على الجميع، لثُهمهم ولا زالت تنظر للدماء على نصلها ببغض دون أن تلتفت **«خائن».**

فغر جنوده أفواههم ذعرًا، فهل قتلت قائدهم حقًا! بدأوا بالتراجع للخلف لم يتحرك أحد من الآخرين من



موضعه، فلم يقل ذهولهم عن قتلة المعبد شيئًا، فما رأوه الآن شيء لم يره إلا القلة القليلة من الموجودين في عهد بائد، أما البقية لم تسمع به سوى في الحكايات فقط، ولى الجنود الأدبار إلى الظلام، تباطأت أقدام الآخرين وهم يتقدمون وسط قتلاهم وجراحهم، انحنى البعض يُساعد القلة التي لم يُقضَ عليها.

ظلت على وقفتها في المنتصف سيفها يقطر دمًا بيدها، عيناها تجول بين تلك الفوضى الدامية من حولها، تحرك نحوها صاحب اليد التي أوقفت ريان، خُطاه ثقيلة، ونظراته لها كنظراته لشبح ارتد من الماضي السحيق ليبرز أمامه في بُغتة من الزمان، تقابلت العيون ولم تختلف نظرتها له فمثله مشدوهة أن تُقابله هنا والآن!

لا زال كما تركته آخِر مرة بطوله المتوسط وعيون صافية بلون القهوة، ووجه مستدير، وملامح بيضاء هادئة لم يتلاعب بها الزمان، فارتدت بهما الحياة دهرًا للماضي البعيد، ماضٍ لم يستطع أي منهما الهروب منه مهما حاولا الركض بعيدًا، ليكتشفا تلك اللحظة أن كليهما كان يهرب في نفس الاتجاه! لتهمس بحنين هز نبضها من بين ذكرياتها **«تيام!»**

هرعت نحوها سيا ترتمي في حضنها، فلا زال عقلها لا يستوعب كل ما حدث، ومن بين خلجاتها وارتجاف



صوتها قبل أطرافها **«أمي.. أخبريني أن كل هذا حلم وسوف ينتهي»** كانت تُوقن بداخلها أن الإجابة لن تكون كما ترجو، فحتى لحظة ظهور أمها، ولا زال أملٌ واهٍ يُراودها أن أمها سوف تُوقظها من حلمها ككل ليلة، لكن وقد باتت أمها داخل الحلم فكل هذا حقيقي لا محالة! ازدادت بإطباق ذراعيها حولها، والتي لا تزال عيناها مُعلقة بهذا العائد من الماضي إليها بعد كل تلك السنين، ليُردد بداخله **«أُمي!»** تهدجت أنفاسه باضطراب، حتى وقع نظره على معصمها والسوار المُلتف حوله، فكادت عيناه تصرخ دهشة، سكن عقله شيء ما! كما سكن شفتيه كلمة واحدة بنبرة خافتة **«زمردة!!»** طالت النظرة بينه وبين رونا، لم يستعدهما سوى صوت سيا الباكي...

- أنا آسفة ما كان يجدر بي الكذب عليك.

لتُمسد على شعرها وهي ترفع وجهها عن حضنها وتُسهب النظر بملامحها....

- ما كان يجدر بك فعل ذلك لأي سبب، تلك المرة الأولى التي تكذبين فيها عليّ، وكادت تودي بحياتك، ليتك لم تفعلي.

مسحت الدموع عن وجنتيها، لتزدرد ريقها وهي تنقل نظراتها بين كل تلك الفوضى والدماء، حتى استقرت بالسيف في يد أمها، وتُطبق يدها على



قلادتها..

- أنت أيضًا رونا كذبت عليّ في أشياء كثيرة.

لم تفه بشيء سحبتها من يدها رسمت دائرة بسيفها، وقفت داخلها وسيا لا تفهم شيئًا، أطبقت على معصمها واختفت كلتاهما، ظل تيام على وقفته لحظات تدور في عقله ألف قطعة تحاول كل منها إيجاد طريقها الصحيح داخل اللوحة، التي يحاول تجميعها منذ تلك الليلة التي غادر بها السديم هربًا مع ثلاثتهم! وكل ما تلاها من أحداث اعتقد أنه هرب منها للأبد! ليسترده صوت ريان من خلفه **«وماذا الآن؟»** التفت نحو الجمع الباقي وهتف بصوت قلق....

- من الأفضل أن تتفرقوا ولا تستقروا في مكان واحد في الفترة القادمة، لا تظلوا في جماعات مُلفتة للنظر، زارا لن يترك قتل أحد قواده يمر بسلام.

أطبق كفه على كتف ريان وهو يسحبه ويُشير لدلين ورحيل أن يلحقوا به!!

•••

داخل تلك القاعة الكبير يقف مُنكس الرأس، يرتعش كل ما به ارتعاشات مُتقطعة يحاول السيطرة عليها، بإطباق كفيه على ساعديه يمنعهما الارتجاف، انتفض من فوره حين سمع صوت دفع الباب، خر راكعًا وقد



ازداد ذعره أضعافًا وبدأ العرق ينهمر على جبهته، شلال انفجر بين حنايا جسده فشعر أنها تُبلل ملابسه، ومع كل خطوة يرن صدى صوتها في أذنه تتباعد نبضاته المتوجسة حتى كادت لا تسمع إحداها الأخرى، عيناه المُتسمرة أرضًا لمحت طرف عباءة مولاه تعبر من جانبه فازداد ركوعه، اعتلى زارا عرشه بتلك القاعة التي جعلها للعرش بدلًا من القاعة الملعونة، فهم أحد حراسه بركل الراكع فازدرد ريقه وبعد عناء كبير في إيجاد نبرته المولية الفرار كما دماؤه....

- لقد مات القائد نواه يا مولاي.

اعتدل زارا في مجلسه، وقد تنبهت حواسه بعض الشيء، وبصوت مُتثاقل وأنامله تفرك بعضها البعض بقلة اهتمام....

- لم يخبرني أحد من قبل أنه كان مريضًا.

- لم يكن مريضًا يا مولاي.

زفر وهو يُلقي نظره بأحد أطراف القاعة بتأفف، لكز الحارس الراكع بطرف سلاحه ليتعتع.....

- نواه قُتل يا مولاي.

انتفض وقد تنبهت كل حواسه كما عينه التي اتقد بها الشرار من السخط، ليسترسل الراكع.....

- كُنا بمهمة اعتيادية لاصطياد الهجين بمنفى الأرض، وظهرت من العدم وقتلته.



- ومن يجرؤ على الاقتراب من أحد قوادي!!

انتفض من مجلسه صارخًا، فزاد تلعثم الراكع وخوفه يقطر مع كل حبة عرق تُبلل الأرض أسفل وجهه، وتنضح بين ثيابه.....

- رونا مولاي.. لقد ناداها رونا.

توقفت حدقتا زارا في موضعيهما، كما كل ذرة بداخله انتصبت سُخطًا، ونظرة حقد كارهة احتلت جبينه وغلى صدره بغضب حين أعاده اسمُها سنواتٍ لا حصر لها للوراء، ودون سابق إنذار رفع الراكع أرضًا من رقبته، وهو يُمعن النظر في عينه التي تنضح بالدموع من الألم وعدم القدرة على التنفس، لكن ذلك لم يكن نقطة في بحر فزعه من عين زارا التي أحكمت قبضتها على عقله!!

وراح يُغلفها لون أسودا! فشعر بخدر يسري في كل أجزائه وعقله دون وعي منه يُعاود كل ما حدث لهم منذ ولجت أقدامهم تلك المعركة!! حتى اللحظة التي ظهرت فيها رونا، فازدادت عينه سوادًا وتقاسيمُه اكفهرارًا ساخطًا، وحتى لحظة قطعت رأس نواه ووقع أرضًا، فألقى رجله أرضًا بعدما غادرته روحه بين قبضته، وتلك الغشاوة التي تُغلف عينه تتلاشى رويدًا رويدًا حتى عادت إلى ما كانت عليه، فأشار إلى أحد الحراس بأن يرفع جثة ذاك البائس عن مجلسه، والأهم



أنه أمر بقتل كل جنوده الذين عادوا قبل أن يُغادروا المعبد!!! فلن يقبل بأن يسري خبر مقتل أحد قواده في المملكة، والأهم أن قتله هذا على يد إحدى مُحاربات النور! عاد إلى عرشه وأمر بإحضار قائد حرس القصر إليه.

•••

بعد لحظات وجدت نفسها داخل مبنى كبير يُشبه مخزنًا قديمًا شاسع المساحة، تقف في وسطه أمامها طاولة مليئة بالشاشات، ظلت سيا للحظة لا تعي في أي مكان هي! لكنه أقل ما يُثير دهشتها تلك الليلة، فيكفيها كل تلك الفوضى من الأحداث الغريبة والمُتلاحقة! تركتها أمها خلفها، لتلتفت فتصطدم عينها برجل أشيب يبدو عليه الوهن يجلس إلى أريكة بالية، تبسم لها حين تقابلت أعينهم، توقفت للحظة من المفاجأة ثم رفعت طرف يدها له بإشارة الترحيب ببلاهة، فبادلها إياه بابتسامة واسعة، جلست رونا بجواره، وهي تسحب قطعة قماش تمسح بها الدماء عن سيفها، لينقل أصف نظراته بين الدماء على نصل السيف وبين وجه رونا، تلك اللحظة التي تقدمت نحوهما وقبل أن تفه بشيء أوقفها، فيعلم بأن تلك اللحظة خاصة جدًا، فقد أعادتها دهرًا للوراء، لليوم المشؤوم وقسمها بقتله مهما كلفها الأمر!



توقفت سيا بموضعها بغتة على صوته **«اتركيها الآن»**، حين رفعت طرف عينها نحوه لم يكن يتكلم! فأمالت رأسها بدهشة ليُعاود **«إنها تحتاج بعض الوقت وحدها فالليلة كانت شاقة عليها»** فغرت عينها ذهولًا، فصوته لم يُغادره كان يتحدث داخل عقلها وحدها!! ارتجفت أطرافها بينما عبر ثغره بسمة ودودة، وقبل أن تفق من ذهولها، جاءها صوت تيام الذاهل من خلفها «آصف!» لتتجه العيون نحوه ومن خلفه ثلاثتهم، ليبتسم له آصف بوهن....

- ها قد التئم الشمل مجددًا.

لم ترفع رونا عينها عن نصل سيفها، ولا زالت ألف ذكرى مضت تضرب داخلها، إعصار حانق لو أفلتته لقضى على الأخضر واليابس.

تعلقت عين دلين بسيا وبها ألف اعتذار، تنحتا عن الجمع خطوات، الذي بدا هادئًا رغم أن بداخل كل منهم ضجيج يوقظ العالمين، وقفتا مُتقابلتين لتهمس دلين بنبرة حزينة....

- أعلم أنك غاضبة مني.

هزت رأسها نفيًا، لتفغر دلين عينها دهشة....

- حقًا! لست غاضبة مني!

- كلا لست غاضبة.

- ذلك اليوم حين تحدثنا عن حلمك، حاولت إخبارك،



حين أخبرتك بتجوالك في الأحلام وبكونك مختلفة، وسخرتِ من الأمر، ما كنت لتُصدقيني لو أخبرتك بالحقيقة كاملة.

هزت رأسها بزفرة إيجابًا، لتتساءل دلين بتوجس....

- نحن لا زلنا أصدقاء، أليس كذلك؟

- لماذا تقربتِ إلى دلين؟

جاء السؤال مُباغتًا، فصمتت وعين كلتاهما لا تُفارق عين الأخرى غارقة فيها تبحث عن بر تتشبث به، لتعتدل دلين في وقفتها....

- سأخبرك الحقيقة ولا يهم أن تُصدقي أو لا... لا أعرف ما الذي يجمعني بك! كل ما أعرفه أني منذ فترة بدأت أراكِ بأحلامي، لم أستطيع رؤية الأشياء بوضوح، لا شيء سوى وجهك، في البداية لم أكترث ثم بدأ الأمر يزداد والفضول راح يؤرقني فتشت عنك حتى وجدتك، لم أستطع اختراقك كي أعرف ما قد يربطني بك! وهذا زاد فضولي نحوك، وحين رويت لي الحلم تيقنت أن شيئًا يربطنا، لا أعرف ما هو لكني أعرف أنه موجود.

التفتت سيا للجهة الأخرى مُغادرة، فهتفت دلين بصوت حزين....

- لم أعد أكترث للبحث عن سبب، كل ما أعرفه أنك صرتِ أقرب الناس إلي.



- وأنتِ صديقتي الوحيدة يا دلين.

لم تلتفت لها تهادت خطواتها المتباطئة نحو الجمع، بينما ظلت دلين للحظة على وقفتها تحاول استيعاب فرحتها، فكم خشيت أن تفقد صداقتها بعد تلك الليلة العاصفة، فهذا شيء لن تقبله ولن تتقبل هزيمة فيه، فما قطعت كل تلك المسافة من السديم إلى الأرض إلا لأجلها!! لحقت بها، رمقها آصف تلك النظرة التي لم تفهمها لكنها توجست منها خيفة بصدرها!!

جلس جميعهم في صمت مُتحلقين، يتبادلون النظرات الصامتة برهبة لا يعرف أحد مصدرها، رونا لا زالت عينها للأسفل، بين آصف وتيام يدور حديث خاص بالعيون، وريان عينه مُعلقة بسيا والتي كانت سابحة في الفراغ! ودون سابق إنذار شعرت بالأرض تميد من تحتها! غصة غريبة تجتاح باطنها! السوار عاد يضيق على معصمها! بدأ جسدها يرتجف، تحرك ريان من موضعه باتجاهها، فانتبه الجميع لها، هوت من فوق الكرسي إلى الأرض عيناها مُغلقة، لكنهم يستطيعون رؤية تلاحق حركتهما خلف جفنيها، وارتعاشات جسدها تزداد، راحت تنتفض عن الأرض انتفاضات مُتلاحقة، رفعت رونا رأسها على فخذها بينما تجُول نظراتها المذعورة بين آصف وتيام، والثلاثة الآخرون يتساءلون ما الذي يحدث لها!!! تنهد آصف وهو يُطبق يده على



كفها...

- بزوغ فجر جديد على الأرض هو منتصف ليل جديد على السديم، اعتلى القمر عرشه في المنتصف، فانكسر القفل وسقط بينهما الحجاب.

أطبقت رونا على رأسها بحضنها وانحنت تُقبلها، بينما ظلت رحيل تنظر لريان نظرات عدم الفهم والتي لم يقل عنها شيئًا، ودلين أمسكت بكفها الأخرى تضغطها، ودون أن يلحظ أحد رسمت بداخله هرمًا مقلوبًا! وهي تُتمتم ببضع كلمات لم تنطق شفتاها أيًا منها! لكن عقل آصف التقطها جميعًا! ليهتف بصوت خافت سمعه الجميع وهو يُوغل النظر بالممددة أرضًا **«إنها فقط البداية، فلتصمدي يا صغيرة»**

•••

يركض زارا كالمسوس في طُرقات قصره، حتى أن كتيبة مُرافقيه لم تكن تستطيع اللحاق به، نزل إلى قبو القصر وركضه في ازدياد، عبر النفق الأرضي الواصل بين القصر والمعبد في لحظات، ارتقى السلالم إلى بهو المعبد بثوانٍ معدودة، وصل مُرافقوه متأخرين تتلاحق أنفاسهم من التعب، دفع باب القاعة بيده فلم يكن به ذرة من صبر لينتظرهم!

توقف مكانه حين وقعت عينه على تلك الشمعة التي أضاءت في منتصف الجدار المواجه له! تجمدت



نظراته بشعلتها وهي تتوهج وحدها وسط الجدار ومن حولها عشرات بل ربما مئات الشمعات التي تحتل الثلاث جدران بالكامل مُطفأة!

وحدها تتوهج في المنتصف، تصنم بموضعه حتى تحاملت خطواته تحمله رغمًا عنه إليها، كلما تقدم خطوة شعر أن الماضي سحبه عشرة إلى الخلف، فبدت المسافة بينهما أبعد من أطراف الزمان بحد ذاته! عاود اغتصاب أنفاسه إلى صدره مع كل خطوة، حينما وصلها ترددت يده ألف مرة قبل أن تُغادر جانبه وتمتد ذراعه إلى حامل الشمعة يتلمسه بتوجس، بخوف، بريبة تُوغر صدره، حينما أخبره كاهنه أن شمعة أضاءت من العدم داخل قاعة الحياة في المعبد، لم يشعر في اللحظة التالية سوى وهو يقف أمامها، عينه لا زالت مُتجمدة على لهيبها الخائر وهو يُحاول جاهدًا أن يظل متوهجًا، وصوت رُهانا الواهن وهي تلفظ أنفاسها بين يديه يصرخ من الماضي القصي:

«ستأتي من دمائي من تُزلزل عرشك وتقتلع قلبك، وتُلقي بك إلى قعر الجحيم الأبدي حيث تنتمي، لتُطفئ روحك الملعونة وتحبسها في ظلامها إلى الأبد، تلك لعنتي التي حلت عليك وعلى كل من خان عهد الله وخان عهدي، منذ الآن وحتى آخِر من تبقى من دمائي لن تُفارقك لعنة الله ولعنتي»



للحظة بدا تائهًا في الزمان مُشتتًا في المكان، محبوسًا وحده في الظلام هناك، داخل القاعة المُحرمة يوم إلكاي، يوم خان العهد وذبح كل ملكات النور ليعتلي العرش، ليسترد وعيه بصرخة حانقة خرجت من حلقه، دوت داخل القاعة والمعبد وارتد صداها بين جنبات مملكة روكان وممالك السديم مُجتمعة، ارتعد كاهنه خلفه حاول التلعثم بشيء **«مو»** لم يعي سوى التفاتة زارا المُباغتة نحوه، وسائل دافئ يندفع على يده!

مادت الأرض بالكاهن وخر راكعًا! ثم سقط أرضًا وجسده يرتجف والدماء تندفع من عنقه!! فقد نحره مولاه بسحبة خنجر واحدة! عاد ينظر نحو الشمعة للحظات ثم مسح نصل خنجره في كتف أحد حراسه، وعبر من فوق جثة كاهنه، وأمر بإخراجها، وإغلاق القاعة وألا يقترب منها أحد، والتكتم على أمرها وإلا سيلقون نفس المصير، أومأ الجميع بالسمع والطاعة، ثم عاد إلى القصر، واتجه إلى القاعة المحرمة لكنه لم يقترب منها! بل دخل الغرفة الدخيلة بجوارها وأُغلق الباب، ولأول مرة ومنذ وُجدت بهذا المكان يُسمع صرخة دوت بداخلها لكنها لم تكن صرخة زارا!!!!

•••

مع انتصاف الشمس كبد السماء، فتحت رونا عينها



والتي كانت نائمة جالسة في مكانها، مُرتكزة بجسدها إلى طرف الأريكة، تُمسك بيد ابنتها التي تغط فوقها بنوم عميق، مُلقى عليها غطاء بالٍ حيثما اتفق بعد ليلة عاصفة، اعتدلت تمسح عن وجهها النوم، ليقع نظرها على آصف مُضجعًا على كرسيه لا زال سابحًا في نومه، وقريبًا منه ينام الثلاثة مُتقاربين مُستندين إلى الجدار، بينما تيام ينام مستندًا إلى طرف الأريكة الآخَر قريبًا منها، همت واقفة تحسست جبهة ابنتها بدت نائمة هانئة في سكون، تقدمت خطواتها نحو النافذة في الجهة المُقابلة تعلقت عينها بالسماء بضع لحظات لم تدم، قاطعها صوت رخيم تحفر كل نبرة به نهرًا من حياة بروحها المُهدمة الأركان....

- اشتقت إليك رونا.

لم تتحرك، لم تلتفت، لم تتنفس، حتى الدماء تجمدت بعروقها، لم ينتظر ردًا فيعلم أنه لن يأتيه! تهادى بخطوة أخرى نحوها....

- لماذا لم تُخبريني بشأنها؟

- أنت تعرف.. لم يكن من الآمن فعل ذلك.

- اعتقدت أنك تركتني لأنك توقفتِ عن حبي، أو أن شخص آخر.

التفتت نحوه حانقة، صمت وأحنى رأسه، بنبرة شابها الغضب المكظوم.



- كان يجب أن تثقي بي أكثر وتُخبرينـــ..

- لا شأن للأمر بالثقة.. كلانا يعرف ذلك.

رفعت عينها نحو ريان، ثم نظرت نحوه وتساءلت بنبرة يشوبها الضيق....

- ابنك؟

- لم أتزوج.. هو ابن أخي، ورحيل والدها كان صديقي، ودلين صديقتهم الحميمة، جميعنا نعيش معًا، فهن لا ملجأ لهن سواي، لا تقلقي من أحد هنا.

هزت رأسها تفهمًا، رفع عينه بها، تهربت بنظراتها، ليُزيد خطوة حتى بات لا يفصلهما شيء....

- متى ستُخبرينها الحقيقة؟ آصف خبرنـــــ.

- ليس من شانك.

قاطعته بحدة صارمة، ليعقد ساعديه....

- بل هو شأني، شأننا جميعًا، يجب أن تعرف سيا الحقيقة.

- حقيقة ماذا؟

- : سيا!!

بُهتت رونا حين وجدتها تقف خلفهما، توتر تيام قليلًا، نقلت النظر بينهما للحظات، لم يفه أحدهما حرفًا....

- هل من شيء آخَر تخفينه عني يا أمي؟

- ما من شيء يا صغيرتي.



حاولت رونا تصنع ابتسامة ليُقاطعها بحدة....

- بلى... هناك شيء هام يجب أن تعرفيه.

- تيام!

تجهمت تُحاول إسكاته، تنقلت العيون الناعسة التي استيقظت على الأصوات بين ثلاثتهم، ليظل كلاهما يتبادلان النظرات المُحتدمة....

- يجب أن تُخبريها يا رونا، ما عاد هناك سبيل للهروب، أخبرها أنت يا آصف.

- ماذا يحدث يا أمي؟

- لا شيء يا صغيرتي.

أمسكتها رونا من ذراعيها وعينها مُثبتة بعينها ببسمة رائقة، ليهتف تيام بحدة....

- رونا ليست أمك.

بُهت ريان، شهقت دلين أنفاسها، وفغرت رحيل عينها، بينما ترقرقت دمعة بعين آصف، غُلقت عينها بعين رونا المُضطربة وهي تبتسم بسخرية....

- ما هذا الهراء الذي يهذي به؟

- هي ليست أمك.. أنتِ لست ابنتها.. هيا أخبريها الحقيقة يا رونا؟

لم تُحرك أيهما طرفة عين، وكلاهما غارق بالآخر، تبددت ابتسامة سيا الساخرة حين تلألأت الدموع بعين رونا، لتهتف بريبة....



- أخبري هذا المجنون أنه أحمق.. أنت أمي؟

اختنقت رونا أكثر بالدموع لا تستطع إفلاتها ولم يعد بإمكانها إخمادها، لتزدرد ريقها، وتغتصب صوتها....

- ربما لست من أنجبتك لكنني من ربتك منذ لحظة ولادتك.

- ماذا!!!!

خبا صوت سيا، تاهت نظراتها، دارت بها الأرض....

- لستِ أمي!!

- أنتِ ابنتي.. حتى لو لم أُنجبك.

تراجعت خطواتها المُتثاقلة، أفلتت يدا رونا ذراعيها، زادت خطواتها للخلف وكلها ساقط بفراغ تلو فراغ، عينها تضيع في اللاشيء، تشعر تلك اللحظة أن روحها ضالة في الحياة، ركضت وهبطت السلم للأسفل، وقبل أن تهرول رونا خلفها، أمسكها تيام من ذراعها....

- اتركيها الآن، هي تحتاج أن تكون وحدها.

التفتت له بوجه من الجحيم، لم تفه بشيء لكن غضبًا مكظومًا كان يُوغر صدرها ضده، نفضت يده عن ذراعها بسخط، تلجلج بموقفه ثم ترك المكان ورحل، أوقفها آصف عن اللحاق بابنتها، ألقت ظهرها إلى أقرب جدار، تخبط مؤخرة رأسها بحركة عصبية **«تبًا لهم جميعًا.. هي ابنتي رغمًا عن الجميع، ابنة قلبي الذي**



لان لها منذ التقفتها يداي، ابنة سنين عمري التي شابت في رعايتها، ابنة ليال عُمر قضيته ساهرة على حمايتها، ابنة حياتي التي تسللت من بين يدي، شاءوا أم أبوا هي ابنتي رغمًا عن الحقيقة وعن الزمان».

راحت تهوى أرضًا وهي تغمض عينها، ويهوى عقلها إلى واحد وعشرين عامًا مضت، إلى ليلة ظلماء باردة، كانت رياح الشتاء القارصة حينها تعبر ممرات المشفى، لا زال يتردد صداها في أذنها حتى اليوم كما كان يتردد ليلتها بكل ركن وزاوية، تدق الأبواب، يزداد هزيزها، تصدح بين جنبات الليل المُفزع، ومع دقات منتصف الليل.

خيم الهدوء المفاجئ على كل شيء، ذلك الهدوء بصمته المهيب المُخيف، ودقائقه الثقيلة، تسمع صرخاتها المتقطعة، ترى ارتعاشات جسدها الهزيل، ترى كل ذرة برفيقتها تخور من شدة الألم أمامها ولا تستطيع فعل شيء، تبًا لشعور الضعف وقلة الحيلة الذي يصرعنا من الداخل حين تُقيد يدانا عن تقديم العون لأشخاص نحبهم وليس بيدنا حول لهم ولا قوة.

تلك المرة الأولى التي تُنجب بها، ما كانت تعرف أن آلام الوضع بتلك القسوة، تكاد تغيب عن الوعي من شدة الألم، لا تكاد تستكين لحظات حتى يعاودها الألم،



تصرخ وتزداد صرخاتها، تقف رونا إلى جانبها تُمسك يدها تشد على معصمها، تتألم لأجلها، تدعو لها الله أن يُخفف عنها، تعلم أن القادم لن ينجو منه أحد!!! بين الفينة والأخرى تلتقط تلك الراقدة بمنتصف السرير أنفاسها، أطبقت على ساعد رونا بقسوة من الألم، قربتها منها، همست بابتسامة عذبة....

- لن يدوم الألم كثيرا، أُحس بقرب مجيئها.

- تماسكي يا زُمردة كل شيء سيكون بخير.

تحاول زمردة تمالك ألمها، أطبقت يدها حول رقبة رونا تُقربها أكثر..

- استمعي إليّ جيدًا، لم يتبقَ الكثير سيحضرون في أي لحظة.

تنازعت دموع عينها، تحاول البقاء بين جفنيها، وهي تومئ إيجابًا....

- سأنفذ كل ما اتفقنا عليه.

- كوني أمًا لها.. احميها قدر استطاعتك.

- لا تقلقي، سأبذل حياتي لأجلها.

- عديني بهذا.

صمتت تحاول إيجاد الحروف، لتضغط زمردة على أناملها من شدة الألم وعينها الدامعة معلقة بها....

- أعدك بكل ما هو مقدس، باسم رب الأرباب، خالق العوالم ورافع السماوات واهب الحياة والموت، أن



أحميها كابنتي إلى أن يأذن الله.

- إياكِ واستخدام السحر قبل أن تُغادري المشفى بمسافة كافية، إن فعلتِ سيعرف أخزم، ويشك بالأمر.

أومأت تأكيدًا، أسلمت زُمردة رأسها للوسادة، أرخت ذراعها عن رقبتها.....

- شكرًا لكِ.. علمت الآن فقط لماذا أبقتك أمي أنتِ تحديدًا إلى جواري ذلك اليوم، أنت تستحقين ثقتها.

كادت تغيب عن الوعي حتى عاودها الألم فدوت صرختها، ليأتيَ الطبيب ويُقرر نقلها إلى غرفة العمليات، فعملية الوضع لن تكون سهلة، وبعد إصرارها وافق الطبيب على دخول رونا معها!!!

لم يدم الوقت طويلًا وكانت صيحات خافتة لتلك المولودة الجديدة ترن بجنبات غرفة الولادة، وضعتها الممرضة فوق صدر أمها، غادر كل من بالغرفة ولم يتبقَ سواهما، زمردة تضم طفلتها ودموعها سيلا يُغرقها، نظرات رونا مُعلقة بالساعة التي أشارت عقاربها إلى تمام الواحدة منتصف الليل، دقات قلب زمردة تتسارع وتنتفض أوصالها، ومع أول صرخة مسموعة للطفلة خلعت السوار المُلتف حول معصم الأم ولفته برفق حول معصم الصغيرة التي لم تكن فتحت عينها بعد،



احتضنتها أمها بقوة كادت تفتك بعظامها، همست في أذنها بشيء لم يسمعه سوى الصغيرة فهدأت وتوقفت عن الصراخ!!

فتحت عينها فتلاقت بعين أمها الدامعة، هبت نسمة قارصة البرودة داخل الغرفة المُغلقة من كل اتجاه!! علا الخوف وجه رونا التي التفتت نحو الباب المُغلق مفزوعة! كما سكن كل ذرة في زمردة التي تضم صغيرتها، سحبتها رونا برفق والدموع تغطي وجهها، تلك اللحظة التي عاودت بها الصغيرة فتح عينيها لتبتسم لها أمها وهي تُقلتها، تراجعت رونا للخلف والطفلة بين ذراعيها، دثرتها داخل معطفها وأغلقت أزراره عليها، وضعت شيئًا بكف زُمردة! تعلقت العيون ببعضها، دار بينهما حديث خاص، فتحت باب الغرفة وانسحبت بهدوء والصغيرة داخل معطفها!! فتحت زمردة كفها وبه قنينة زجاجية صغيرة تجرعت ما فيها، تبسمت بارتياح بعد أن وصل معدتها **«الآن أنا بانتظارك»**.

عبرت رونا الممر الخاوي دون أن يُلاحظها أحد، وقبل أن تصل إلى ردهة الباب الرئيسي، انفتح الباب فجأة بهبة ريح عاصفة!! ارتطم على إثرها وأحدث صوت ارتطامه المُتلاحق صريرًا مُدويًا!! انتبه له الجميع، تراجعت بظهرها خطوتين انعطفت عن يمينها،



فتحت باب على جانبها ودلفت، أغلقته بهدوء، وقفت خلفه يدها اليسرى تُطبق على معصم الصغيرة والسوار الملتف حوله! واليُمنى على قبضة خنجر صُنعت من العاج المُذهب، تحمل علامات تُشبه التي يحملها السوار!

يلتمع نصله بتلك الشفرة المشحوذة رغم الظلام داخل الغرفة، هدأت من أنفاسها، أغمضت عينها تُرهف السمع، شعرت بصوت صرير الرياح يقترب، لسانها يُتمتم بكلمات لم يسمعها ولا حتى أذنها، عبرتها الرياح، لحظة وفتحت الباب، وارت الخنجر داخل معطفها ولا زالت مُطبقة يُمناها عليه، ويُسراها على الصغيرة النائمة، هرولت الخُطى إلى الباب الخارجي دون التفاته للخلف، وقبل أن تصله توقفت وقد التقطت أُذنها صرخة لم يسمعها غيرها! صوت تعلمه جيدًا! خانتها دمعة لكنها لم تلتفت فهذا كان الوعد وما أقسمت عليه!

وداخل الممر تتساءل إحدى الممرضات....

- يا إلهي ما تلك الرياح القوية؟ لم أر مثلها في حياتي!!

لتجاوبها أخرى تتقدم داخل الممر....

- كانت شديدة جدًا كادت تنخلع معها الأبواب والنوافذ، سأذهب لأتفقد تلك المريضة التي وضعت طفلتها منذ قليل، فهذا الهواء يُضرها هي



ومولودتها.

فتحت الباب وبعد خطوة بالغرفة تسمرت قدميها، بُهتت للغرفة الخاوية على عروشها! اختفت الطفلة والمُرافقة واختفت المريضة!!!!

عبرت رونا شارعًا تلو شارع، حتى وصلت شارعًا هادئًا مُظلمًا، لم يكن فيه سوى ضوء خافت آتٍ من مصباح مُتهالك بآخِر عمود إنارة، وصلت مُنتصفه يكاد الضوء الواهن لا يراها، أمسكت بعصا خشبية رسمت دائرة حولها، أطبقت يدها على الصغيرة والسوار، راحت تُتمتم بخفوت!!

هبت نسمات هادئة، اهتز الضوء بالمصباح، زادت الريح قسوة وبرودة، عصفت فجأة وانطفئ المصباح لثانية، ثم عاد الضوء الخافت مره أخرى، اختفت الرياح ومعها كلتاهما! سكن كل شيء بموضعه وعاد لسابق عهده، كأنه لم يغادره منذ البداية وعاد الصمت المهيب يخيم على كل شيء!!!

•••

- هل أنت بخير؟

تساءلت دلين بنبرة قلقة، وهي ترى سيا تجلس أرضًا مستندة إلى جذع شجرة كبيرة بالفناء، ضامة ساقيها إلى صدرها تحتضنهما بذراعيها، دافنة رأسها داخلهما، فقد ظلت على تلك الجلسة منذ ساعتين أو ربما ثلاثة

لم تتحرك، رفعت سيا رأسها قليلًا للأعلى ودون أن تنظر إليها، وبنبرة مُشتتة....

- هذا يعتمد على تعريف كلمة بخير.

لم تفه الأخرى كلمة، جلست أرضًا بجوارها وأسندت ظهرها إلى ذات الجذع، حلق الصمت حولهما كثيرًا، وآصف يرقبهما من موقفه، لتتنهد دلين فجأة....

- الأمر ليس بهذا السوء.

- وهل هناك ما هو أسوأ برأيك؟

- أن نموت مثلًا، بالأمس في حفلة صيد نواه.

هزت رأسها بتنهده، لتلكزها دلين بنبرة تتصنع المرح....

- كنا سنشوي صديقتي، وأنا لا أُحب أن أُشوى.

أطرقت بعينيها بعيدًا، تنهدت دلين....

- أنتِ مُحقة هي مزحة سخيفة.

عادت بجسدها ترتكن إلى الشجرة ألقت رأسها للخلف، وأطرقت عينها في الخلاء المُمتد أمامها....

- صدقيني ليس بسوء أن تُقتل أمّك أمام ناظريك وأنت طفلة صغيرة لا تستطيعِ فعل شيء، أب يكرهك لأنك تُشبهين أمك عديمة الفائدة، ألا تجدي أحدًا يهتم لأمرك أو يحاول حمايتك.

جالت سيا بعينيها تتفقد ملامحها البائسة، كيف لم تلحظ الشقاء بعينها سابقًا! ولم تسمع مرارة صوتها



المختنق بالألم من قبل! لتستطرد دلين وعينها غارقة بالفراغ أمامها....

- لا يهم إن كانت هي من أنجبتك أو لا، يكفي أنها دومًا إلى جوارك، تقف إلى جانبك، تبكين في حضنها وتفرحين جوارها، عاشت عمرًا تحميكِ وتسهر على رعايتك.

بدأت الدموع المخنوقة تنساب على وجنتها....

- ربما رحلت أُم أنجبتك، لكن الله كان رؤوفًا بكِ أعطاك أخرى تحتضنك، لم تتركك للزمن يعبث بك كيفما شاء.. ليت كان لي فرصة أخرى مثل رونا، فليست أمًا فقط بل فرصة أخرى للنجاة من براثن تلك الحياة الكريهة.

كفكفت دموعها، تركتها وعادت إلى الداخل، فعادت سيا إلى حالتها الأولى دافنة رأسها للأسفل، وألف شعور مُتناقض يضرب داخلها، بالماضي كلما قست عليها أو عاقبتها تتمنى أن تحظى بأم غيرها، كانت تتهمها دومًا أنها لا تفهمها ولا تحاول، تخنقها وتلف ألف حبل من الممنوعات والمرفوضات حول رقبتها، تمنت لو اجتثته واجتثت معه كل ما يُبقيها سجينة في عالم أمها الذي تكرهه، فلماذا الآن هذا الشعور القاسي بالغربة والضياع يضربها وقد تحققت أمنيتها! لماذا تشعر كل هذا الذعر يقسمها! إحساس بالهلع ينخر عقلها يرفض تصديق



حقيقة كاذبة! أليس من درس رحيم يُعلمنا قيمة ما نمتلك دون أن يُجردنا منه في لمح البصر! لماذا يجب أن يكون درس الفقد قاسيًا حد الوجع! يتركنا عرايا الروح والوطن وسط عصف مشاعر الحسرة والندم!! فالآن علمت ماذا يعني الخوف الحقيقي، ليس كل ما اختبرته في حياتها أو حتى بفترتها الأخيرة المُفزعة، بل هو تلك اللحظة التي اخترقت كلماته أُذنها **«ليست أمك»** الآن فقط تشعر بمرارة السقوط داخل هوة بلا قاع، الآن فقط اكتشفت أن أمها وحدها هي الأرض التي تُوقن أنها ستتلقفها بلين ووداعة ولن تخذلها مهما كان الارتفاع شاهقا والخوف مدويًا.

مع أول شعاع لغسق شمس راحلة إلى مُستقرها، وجدت أقدام رونا تقف أمامها، ولأول مرة بحياتها ترى دموع تنساب على وجنتيها....

- أنا آسفة لم أستطع إخبارك، ربما لأنك ابنتي ولو لم أُنجبك، لا شيء يمكنه تغير تلك الحقيقة مهما حدث، أنتِ ابنتي يا سيا.

استندت إلى جذع الشجرة تتحامل على قدميها كي تستطيع الوقوف، ودون أن تفه حرفًا ارتمت بحضنها وأجهشت بالبكاء، ظلت تبكي في حضنها حتى علا صوت نحيبها، ورونا تُطبق ذراعيها عليها تخشى أن تُفلتها، فكاد نبضها يقف بالساعات الماضية هلعًا من



مجرد التفكير بفقدها.

بالداخل كان تيام يقف بالنافذة يُتابعهما، ذهب ريان ورحيل لإحضار الطعام، جلست دلين إلى الأريكة صامتة، نظراتها مُشتتة وذكرى واحدة تغمر عقلها، ذكرى لم تُفارق روحها يومًا! ولم تحاول التخلص منها، فتظل دومًا تُذكر نفسها بها مهما ابتعدت السنوات في الزمان فإن نست هلكت!! لتشعر بُغتة بكف أطبقت على كفها!! التفتت لتجد آصف يُطبق يده عليها بشدة، مُغمض عينه، ظلت للحظة دهشة، لكنها تداركت سريعًا أنه يُحاول اختراقها! حاولت سحب كفها لكنه لم يُفلتها! حاولت كثيرًا ليُطبق هو أكثر، لتتوقف محاولاتها اليائسة فجأة! كما توقف جسدها وتصلبت حدقتاها المُثبتتان على وجهه حين دوى صوته بعقلها....

- كنت أتُوق لأعرف، والآن عرفت.

وجهه صامت، لم يُحرك شفتيه، ولا زال الصوت داخل عقلها....

- منذ الوهلة الأولى علمت أنكِ تستخدمين تعويذة حماية قوية، أنتِ حاذقة للغاية، لذلك لم تشك بك رونا حين تقربت لابنتها فكل شيء من الخارج يبدو طبيعيًا، لكن بالداخل.

انفرج جانبه عن بسمة خبيثة، والتفت نحوها وفتح

عينيه يُوغل النظر بعينها بينما شفتيه لا زالت مُغلقة.....

- ماذا تعتقدين أن رونا ستفعل بكِ إن علمت حقيقة من تكونين؟!

ارتعشت كفها داخل يده كما ارتعشت أطرافها من مجرد الفكرة، طالت النظرة بينهما، ثم أعاد رأسه إلى وضعها، لتستجمع بعضًا من قواها الهاربة....

- إذًا لماذا لم تُخبرها... حتى الآن؟

انفرج فمه عن ابتسامة أوسع....

- يُعجبني كونك فتاة حاذقة، هذا سيُبقيكِ حية، لقد رأيت قدومك منذ غادرتِ السديم، أو لنقل هربتِ!!

زاد الخوف بعينها فهو حقًا يعرف، ازدردت ريقها، ليسترسل بذات الهيئة والنظرة....

- شيء هام تعلمته في تلك الحياة القصيرة أن لا شيء يُغير مسار القدر، لكن تعلمين ما هو الشيء الأهم الذي تعلمته؟

عاود الالتفات نحوها وهو يترك كفها....

- ألا أتدخل فيما يخطه أو أحاول تغييره، أو الوقوف حائلًا في طريقه فهذا له عواقب وخيمة.

هم واقفًا يتهادى بخطوات ثقيلة واهنة....

- قدرك أن تأتي من السديم إلى هنا بحثًا عنها، وقدرها أن تلتقيك، والدماء تمتد بينكما خيطًا



يفصل الماضي والمستقبل، الحياة والموت، لكني كذلك أعرف أن وحدكما من تستطيعان تغيير قدركما وتغيير النهاية بينكما وليس آصف العجوز.

ظل يسعل ويسعل وخطواته تهتز مع اهتزازات جسده المتتابعة من أثر سعل قوي كاد يقضي على أنفاسه ويهدم صدره، حتى وصل موقف تيام الذي ظل مُعلق النظر بهما، بينما ظلت دلين على جلستها لم تتحرك فكون آصف يعرف بسرها هذا آخِر ما كانت تريده، وقد يُغير كل شيء رتبت له ويُفسد عليها الأمر برمته! لكن بداخلها شيء يُخبرها أنه لن يتفوه عن سرها، فما دام يعرف حقيقتها قبل مجيئها فلماذا لم يُخبرهم كلَّ شيء؟! ظلت مكانها وألف سؤال ينخر عقلها! لكنها لن تتراجع الآن فقد عبرت خط العودة، وما عاد لها سبيل سوى المُضي قُدما، رفعت طرف عينها نحو الفراغ وسؤال واحد دوى داخلها **«وهل يُمكن تغيير القدر!»**

•••



الرابع

ليلة السقوط



يقف زارا وسط قاعة زُهانا، رغم أنها القاعة الأكبر في القصر إلا أنه لم يجعلها قاعة نومه، ولا يمكث فيها سوى لحظات إن اضطر لدخولها!! منذ أطلقت لعنتها ضده وشيء بداخله يحول بينه وبين إحساس الأمان الذي كان يملؤه سابقًا، كثيرًا ما فكر هل هي لعنة زُهانا ضده! أم هو فعل الخيانة بحد ذاته؟! فمن خان لا بد وأن يُخان يومًا! تلك هي قوانين اللعبة التي يحفظها عن ظهر قلب، الحياة رحى تدور ويدور الجميع تحت ثقلها، يتبادلون الأدوار يوم تحتها ويوم فوقها، مع إشراقة كل فجر جديد لا يعلم أين سيكون مكانه داخل الدائرة! هو خير من يعرف أنه سيذوق نفس الكأس لذلك يحرص أيما حرص على سد كل الثغرات من حوله، فلا يضع ثقته بأحد أو يُقرب إليه أحدا! الجميع في موضع اتهام، الكل بقانونه خائن حين تأتيه الفرصة لا محالة! فبات شعاره اهدم فُرصِهم قبل أن تُخلق، واجعلهم دوما بين راحة يدك لتسحقهم قبل حتى أن يفكروا ضدك، ومتى تشاء!

عينه مُعلقة بالجدار المُعتم أمامه، غارق في ظلام عقله السحيق، غصة تعتصر باطنه من الداخل بين رحا الماضي، ماضٍ اعتقد أنه دفنه في قاع المحتوم وواراه بين ثرى السنين المُغادرة، لتنشق عنه من جديد وتنفُض كل ما كان، وتُولد من رحم الذكريات البائدة



لحظة ارتهن بها كل ما سعى سنوات لتشييده وإحكام قبضته حوله، تلقفه من السقوط المدوي داخله صوت فحيح بطيء....

- إن سمح لي مولاي بقول شيء.

رفع طرفي إصبعيه دون أن يلتفت له بإشارة أن يتكلم، ليسترسل الآخر، بنظرته الهادئة رغم قلقه الذي يحاول أن يواريه.....

- إن كان ما أفكر به صحيح، لن يكون إلا شيء واحد فقط.

- تكلم يا أخزم دون مقدمات لا أهمية لها.

صمت الكاهن أخزم للحظة، والذي كانت تشي ملامحه البيضاء الحادة بقلق يعتمل بصدره، فتحرك خطوه بطوله المتوسط وجسده المُمتلئ قليلًا وعيونه البنية بنظرات تنم عن ذكاء وثقة، وهو يُداعب بأطراف أصابعه لحيته القصيرة المُهذبة بإتقان كما شعره الأسود المُرتب، ليلتفت نحو سطام قائد الحرس بطوله الوافر كما بنيانه الجسدي القوي، وبشرته السوداء كما عينيه الناضحة بالتحفز والقسوة، وشعره الأشعث بسواده، الذي يقف على بعد خطوات منه، تبادلا النظرات المُترقبة، ثم عادا كلاهما بنظره نحو زارا.....

- في أحد الكتب الموجودة في قبو القصر هناك شيء قرأته سابقًا، عن سوار صنعه أحد سحرة



السحر الأسود بمملكة دهام خصيصًا للملك ليُقدمه هدية للملكة سيسيليا.

التفت نحوه وقد اعتلاه الاهتمام، ليستطرد الآخَر دون النظر بعينه....

- قيل إنها حين كانت ترتديه تستطيع التجوال وسط المملكة دون أن ينتبه لها أحد، ويوفر لها حماية خاصة فينبهها لأي خطر قريب، لكن الأهم أنه كان يُخفي أثرها.

أمال رأسه يطلب المزيد من التوضيح، ليُحرك أخزم يديه....

- لم يُكتب شيء أكثر عن هذا الأمر، أو ما الذي يعنيه بأنه يُخفي أثرها تحديدًا! لكن ربما يكون هو السر وراء تلك الأحجية، وهذا يُفسر اختفاء الأميرة زمردة من قبل عن العين، ثم ظهورها فجأة، بالتأكيد هي كانت ترتديه.

- والآن ابنتها ترتديه.

قاطعه بحنق مكظوم ليحني رأسه، بينما خرج سطام عن صمته....

- سوف آتيك بها يا مولاي.

- وهل استطعت أن تأتي بأمها من قبلها وهي ترتديه!

فأحنى رأسه دون كلمة أخرى، لينظر زارا نحو أخزم،



فيُعاود حديثه....

- هي لن تكون بتعقيد الوصول إلى أمها، زمردة كانت الابنة المفضلة لدى زُهانا تعلمت كل شيء على يدها، السحر والدهاء والمراوغة التي استطاعت أن تخفي بهم آثارها، لكن تلك مجرد فتاة ضالة لم تتربَ داخل روسيل أو على يد راهبات النور، لن تستطيع الصمود أمام زارا العظيم مهما حاولت، فأي ضرر قد تسببه فتاة وضيعة لمولاي سيد الممالك الست المتربع وحده على عرش السديم!!

لم تطرف عين زارا أو يُحرك ساكنًا، بينما امتعض سطام من جانبه وهو يراه يتودد إلى سيده بتلك الطريقة التي يزدريها.

سطام قائد حرس القصر ورجل زارا الأول الذي يُكلفه بكل مهامه الخاصة والخطيرة، ويوليه قيادة جيوشه في المعارك القوية، وله عنده مكانة تجعله لا يخشى شيئًا، أو هكذا يعتقد هو! لكنه يعرف أن هذا الأحمق يجد طريقه دومًا إلى عقل زارا، لذلك يخشاه ويخشى ذكاءه خوفًا من أن يستخدمه يومًا ضده وضد نفوذه داخل القصر، أو يحدث الأسوأ ويستطيع السيطرة على زارا داخل قبضته.

أخزم مستشار زارا لشؤون المعبد خاصة، واليد العليا



في الحكم بعده في السديم عامة، يقف مُعجبا بذكائه وحنكته في قدرته على النفاذ بكلماته إلى روح مولاه كالمعتاد في أصعب المواقف.

في حين لم يكن يخفى على زارا تخبط كل منهما داخل عقله الذي كانا له كتابًا مفتوحًا! فأشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى....

- لكن إن كانت تربت في كنف رونا!

- ربما ظهور رونا مجرد مُصادفة يا مولاي، فقد ظهرت بحفل يُقيمه الهجين، والشمعة توهجت بعد ذلك، فربما لا شأن لها بالفتاة.

فاضت نبرة أخزم بالثقة، ليرد سطام بنبرة يشوبها التهكم....

- رونا لم تظهر مُصادفة ولا لمرة واحدة منذ ليلة إلكاي! حتى أن الجميع أيقن بموتها، واليوم تظهر من العدم وتقتل نواه، وبعد ساعات معدودة تتوهج شمعة داخل قاعة الحياة! ألا ترى أن هذا خارج قليلًا عن حدود الصدفة سيدي الكاهن الأكبر!

غلت عين أخزم بغيظ ساخط حين نداه بهذا اللقب، فرغم أن من يحصل عليه يكون الأعلى شأنًا في كل المملكة، لكنه دومًا يرفض هذا المنصب ويتعذر عنه بحبه للبقاء بالقرب من مولاه داخل القصر وعرض رأيه



المتواضع عليه في شؤون الدولة! لكن في الحقيقة يرفضه لأنه يعرف أن صاحبه مقتول لا محالة لفشله في فتح الباب الدموي، وهو خير من يعلم أن ما من شيء سيفتحه أو يفك تلك اللعنة المشؤومة، والآن وقد مات الكاهن السابق، فسطام يُوحي لزارا بأن يضعه بمنصب الكاهن الأكبر، وبتلك الطريقة يكون على يقين من أن دنو أجل أخزم قادم لا محالة، زفر زارا بصوت صارم ليصمت كلاهما حتى عن التنفس....

- لا أؤمن بالصدفة، لا مصادفات في هذا الكون، كل شيء يحدث لسبب وبسبب.

صمت لحظة وخبت نبرته **«من توهجت شمعتها هي بالتأكيد الفتاة في الحلم.. لعنة رُهانا.. من دمائها الملعونة»** لم يتهادَ أي من كلماته لمسامع الواقفين خلف ظهره، بعد صمت طال أكثر لم يجرؤ أيهما على قطعه، التفت نحوهما....

- إن كان السوار يُخفي أثر الفتاة، فهو بالتأكيد لا يُخفي أثر رونا! والتي بالتأكيد لم تعد من ثرى السنين مُصادفة قبل ساعات من توهج الشمعة! إن وجدتها وجدت الفتاة، أم أنه صعب عليك إيجادها يا سطام؟

- سوف أُحضرها تحت قدمي مولاي.

حول نظره نحو أخزم....



- لا أريد أن يسمع أحد عما حدث للأخرق نواه، أو عن تلك الشمعة، لا أريد لتلك الشائعات الواهمة أن تسري بمملكتي.

أومأ تأكيدًا، تركهما خلف ظهره واتجه نحو الباب وقبل أن يصله توقف ودون أن يلتفت....

- فلترفع أحد الرهبان لمرتبة الكاهن الأكبر.

امتعض سطام بينما تنفس أخزم الصعداء والتي لم تدُم كثيرًا حين استرسل...

- ولتُحسن الاختيار تلك المرة لأنك ستكون التالي، لن أنتظر أكثر من ذلك.

أنهاها ورحل، بينما ازدرد أخزم ريقه بقلق وهو يرمي سطام نظرة حانقة، الذي لم يولِه اهتمامًا ورحل خلف مولاه، وقلبه يتراقص طربًا داخله، فإن حظي برأس رونا والفتاة وتخلص من أخزم جميعهم في وقت واحد، يصير بعدها صاحب اليد المُطلقة داخل السديم، وها قد آتته الفرصة ليتخذ مكانه الصحيح داخل المملكة، والذي يقف أخزم دومًا حائلًا دون تحقيقه.

جلس أخزم على أحد الأرائك وعينه مُعلقة بالجدار الأسود أمامه، لكن سواده لم يكن شيئًا بجوار ما بداخله، فسطام صار مزعجًا له أكثر من المُعتاد، شوكته العالقة بحلقه، والعائق لبسط نفوذه داخل الممالك، الذي يحد من هيمنته على مقاليد الحكم، فكل منهما يُقيد



نفوذ الآخَر لأنه يرغب بأن يكون وحده الرجل الثاني بعد زارا أو الأول إن جاءته الفرصة! وقد جاء الوقت الذي يجب أن يُزاح به أحدهما عن المشهد، فاللوحة ما عادت تتسع لهما معًا ولن يكون هو بأي ثمن!!

•••

جلس ثلاثتهم مُلتفين حول النار بالقرب من جذع الشجرة الكبيرة في الفناء المُهدم، رحيل مُتأففة كون تيام طلب إليهم النزول إلى الأسفل حتى ينهوا حديثهم الخاص، والتي لم تكن تكترث بأي حال لكُنهه أو تهتم لأسرارهم الحمقاء، لكن تأففها الحقيقي وغضبها المكظوم هو لتلك النظرات التي يُطوق بها ريان سيا كلما جمعهما مكان، فلم يُبعد ناظريه عنها أثناء الطعام، وهو ما يُثير بداخلها الكثير من الضيق، وجود سيا بحد ذاته في حياتها يثير الكثير من المشاعر الغاضبة بداخلها!!

ريان يجلس مُقابلها مُستغرق بكله بالنظر لتوهج النار، شيء خفي بداخله يُحركه نحو التفكير بها، منذ اللحظة التي التقاها بها وشيء يجذبه إليها لا يعلم ما هو ولا لماذا! لكنه يعلم أنها تصبح محور دوران كل شيء حين تكون أمامه!!

بها شيء لم يألفه مع أي فتاة غيرها!

دلين ترمح أفكارها بكل مضمار، تارة بين حقيقة سيا



التي يتكتم عليها الجميع، والتي تأكدت لها بعد معرفة حقيقة رونا، وبعد السيف الذي لم يمسها بأذى! وكونها لا تستطيع اختراق عقلها مهما حاولت! بدأت الآن تعي لماذا اقتحمت هي تحديدًا أحلامها، فحين أتت إلى الأرض لم تكن واثقة تمامًا من هذا، أما الآن وبعد حديث آصف عنهما وعن المصير الذي يجمعهما، بدأت تعي أين تقع هي داخل تلك الفوضى، برغم أن ليس لديها من سطور القدر سوى أحرف قليلة إلا أنها تعرف جيدا كيف تُكملها؛ وتارة تركض بها نحو ذكريات تحتجزها داخلها، وتأبى أن يطلع عليها أحد، فلم يستطع أي شخص اقتحامها منذ تعلمت كيف تُضلل الجميع وتحمي عقلها، لكن آصف اقتحمها! من يكون كي يستطيع كسر تعويذتها! حمقاء كيف لم تر ذلك بأحلامها وهذا يؤرقها، فحرصت دومًا أن يظل ماضيها وأسراره صندوقًا مُغلقًا لا يمتلك أحد مُفتاحه سواها، فتؤمن دومًا أنه حين يطلع أحدهم على أسرارك تبقى عاريًا أمامه، أعزل من أي سلاح تدفع به عن نفسك ما قد يُضمره لك، تكون له القوة ضدك، كل النقاط التي تؤهله لسحقك وليس التفوق عليك فقط! وهذا كان يُثير جنونها قبل حنقها، فتأبى أن تكون الكتاب المفتوح فغموضها دومًا أحد أهم أسباب خوف الكثيرين منها!



بينما بالأعلى وفي منتصف الغرفة يتربع ثلاثتهم مُتحلقين، تجلس سيا بالمنتصف قريبة من رونا....

- من هي أمي؟

تكاد ملامحها تنطق من الحيرة، تبادلوا النظرات للحظات، بينما أخذ تيام على عاتقه الإجابة....

- زمردة

- وأين هي؟ لماذا تركتني؟

ابتلعت رونا ريقها ودون النظر بعينها...

- هي لم تتركك.. لقد ماتت.

- كيف؟

صمت ثلاثتهم وطال الصمت هذه المرة، ليبتسم آصف بودٍّ لها....

- هيا اقتربي مني، أريد أن أرى ملامحك بوضوح، رغم كل تلك المرات التي رأيتك بها لم أتبين ملامحك جيدًا.

- أنا لم أرك سابقًا؟

- أنتِ لا.. لكن أنا فرأيتك كثيرًا.

- أين؟

- وأنتِ تتجولين داخل السديم.

- تقصد عالم السديم!!!

هز رأسه إيجابًا بينما فتحت هي عينيها من الدهشة....



- لكنني لم أذهب إلى هناك مُطلقًا!

ملأت ابتسامته شدقيه، وهو يُشير إليها لتقترب منه....

- هيا اجلسي بجواري.. أنا من سيُخبرك كل الحكاية من قبل إلكاي وحتى اللحظة الراهنة.
- أنا أعرف ليلة إلكاي.. أخبرتني أمي عنها في حكاياتها.. أقصد رونا.
- كلا أنتِ تعرفين جزءًا واحدًا عنها، لكنك لا تعرفين الجزء الأهم، الذي يخصك ويخص والدتك، ولماذا ترين كل تلك الأحلام والسوار؟ ولماذا أنت في كنف رونا ولماذا رونا تحديدًا؟ أنا الرجل الذي لديه كل إجابات أسئلتك، غير أنني من تربت على يديه أمك ألا تريدين أن تعرفي عنها من الرجل الذي رباها؟
- أنت جدي؟
- لست جدك.. لكن أمك تربت في كنفي وفي رعايتي هناك في السديم، كما تربيتِ أنتِ هنا في كنف رونا.

اقتربت منه أكثر تربعت بجواره وكلها شغف لتعرف ما الذي حدث لأمها الحقيقية، وما الذي لم تُخبرها به رونا عن ليلة إلكاي! اقترب تيام من رونا حتى كادا يتلامس كتفاهما، أمسكت بيده دون أن تعي تُريد يدًا



تُطمئنها، شيء بداخلها يرتجف، بعض الذكريات كلما ازدادت قِدمًا في قلوبنا ازددنا وجعًا! في كل مرة نتذكرها تزداد المرارة بحلقنا! كجُرح لا يندمل بل يزداد تقرحًا كلما مرت عليه السنوات حتى يصير ورمًا خبيثًا! لا يزول ولا يُشفى هو فقط يؤلمنا!

اعتدل آصف بجلسته فصار مُقابلًا لها، أمسك كفيها بيديه وأطبق عليهما، رفعت حاجبيها كونها لا تفهم شيئًا وهي تنظر لرونا، فطمأنتها بنظرة ودٍّ تعلمها جيدًا، فتركت كلها له، أغمضت عينها كما همس داخل عقلها، راح يُتمتم وأنفاسه تتسارع، انتابتها قشعريرة خفيفة بباطنها ورجفة بأطرافها، وهبة ريح رقيقة داعبت خُصلاتها، لتفتح عينها، وهي واقفة داخل ممر شبه مُظلم لا تتبين معالمه بوضوح، لكنه بدا مألوفًا لها!

تتهادى لأذنيها أصوات آتية من مكان قريب، تلفتت حولها تُفتش عن رونا أو أيٍّ منهم لم ترَ أحدًا! تبعت الصوت لتجد نفسها أمام باب ضخم مُوارب تأتي من خلفه أنوار مُتداخلة الألوان، ظلت هنيهة تتوجس من الدخول، لكنها دخلت بهدوء وحذر، قاعة كبيرة تملؤها رسومات لأهرامات مقلوبة ومناظر طبيعية خلابة، تتناثر بداخلها مناضد كثيرة يُحيط كل منها عدد من المقاعد المُلتفة حولها، نوافذها تملأ جدار القاعة بالكامل، ذات زجاج ملون وبانعكاس أشعة الشمس



عليه ملأها بألوان خلابة، سقفها قبة فيه سماء ساحرة تتناثر بها الكواكب والنجوم داخل المجموعة الشمسية، فأعادها من سحرها بكل ما تراه تعالي الأصوات مُجددًا، لتنظر نحو طرف القاعة وعلى منضدة قريبة من النافذة فتاة تجلس في ثوب وردي بشعر أسود طويل يُقارب خصرها، مُبعثر على كتفيها، بعيون بلون البندق، تُركب مجموعة من الكواكب والنجوم في مكانها داخل إطار كبير صُنع من شيء يشبه الخشب والزجاج الملون، ربما تكون تخطت العاشرة من عمرها أو أقل ربما أكثر! لم تتبين عمرها جيدا فلها بنيان جسدي هزيل وواهن، مُنهمكة بشدة، وعلى يمينها يقف شاب يبدو في الثلاثين من عمره، بشعر أشعث أسود كعينيه، يرتدي زي الرهبان، وعلى منضدة قريبة منه تضجع فتاة، ترتدي زيًا يُشبه قتلة المعبد، تُقارب عمر الشاب بشعر قصير، التفتت نحوها فجأة فغرت عينها وفمها «رونا» نظرت رونا نحوها شذرًا بتأفف، ابتسمت لها دون أن تلقى ردًا! وقبل أن تتحرك من موضعها عبرت رونا من خلالها! لا أحد منهم يراها أو يشعر بها فهي شبح في المكان، جفلت من صوتٍ أتى من خلفها، لتلتفت سيا للجهة الأخرى، فتجد تيام يتحدث بمرح....

- هيا يا رونا أنتِ لن تظلي غاضبة طوال اليوم!

لم تُجب بشيء ظلت تنظر للجهة الأخرى، ليهتف



الشاب بزي الراهب..

- إن لم تتوقف يا تيام عن مُضايقتها لست واثقًا مما ستفعله بك؟

- لا تتدخل آصف بما لا يعنيك، واهتم بتعليم الأميرة لا شيء آخر، هل تفهم؟

قاطعته رونا مُحتدة، فأمال رأسه دون حرف، فغرت سيا فمها ذهول **«آصف! كيف يكون هذا؟ فرونا وتيام لا يختلف مظهرهما شيئًا عن الآن سوى أقل القليل، بينما آصف شاب في الثلاثين من عمره وعلى الأرض يُشابه من تخطى المئتين كيف يُعقل هذا!»** انتبهت من دهشتها على صوت ضحكات مكتومة مُتبادلة بينهما من ردة فعل رونا المُغتاظة، جلس آصف أمام الطفلة وهو يُشير إلى المُجسم الذي انتهت من تركيبه....

- كم هذا رائع يا مولاتي زمردة! أرى أنكِ الأكثر ذكاءً بين كل الأميرات.

«زمردة.. أمي!» توقف نبضها بموضعه أتلك الطفلة أمها! لتقع عينها على السوار بمعصمها الأيمن، وتأملت عينها التي تُشبهها إلى حد كبير، انتبهت مُجددًا على صوت تيام وهو يُمسد شعر زمردة....

- ستكونين ملكة مميزة يا أميرتنا الصغيرة.

- لن أكون ملكة يا تيام.



تبادل ثلاثتهم النظرات المصدومة، ليتساءل بدهشة....

- ولماذا يا أميرتنا الجميلة؟

- أنا فقط أعلم.

أكملت لعبها دون كلمة أخرى، ليتركها ويقترب من رونا يُمسك بيدها..

- ما الذي يجب عليّ فعله لتبتسم مُحاربتنا الجميلة؟ أنتِ لن تظلي غاضبة للأبد! هو مجرد حفل ترقٍ جديد.

- أنت لن تفهم.

- فلتُجربي

- لقد انتظرت خمسة أعوام كي أحضر هذا الحفل من داخل القصر وليس من الخارج، انتظرت خمس سنوات لأقف داخل الغرفة المحرمة، أقف داخل غرفة العرش بجوار رُهانا.

ملأ صوتها خيبة أمل وأسى، فضمها إلى صدره.....

- أفهم يا حبيبتي.. لكن بالتأكيد الملكة تركتك هنا لسبب عظيم، فأنتِ مرافقتها الخاصة، من تأتمنه على أسرارها.

لم تدعه يُكمل زفرت بضيق وهي تبتعد عن صدره، لتلتفت على صوت آصف.

- مولاتي الصغيرة هل أنتِ بخير؟



تقدما نحوها، كانت تبكي وترتجف بمجلسها، أمسكت رونا بذراعها....

- ما الذي حدث؟ ما بكِ يا مولاتي؟

لم تقل شيئًا، ظلت على ارتجافها ونحيبها، تلك اللحظة التي دُفع بها باب القاعة فجأة ودخل أحد الحراس يلهث بشدة....

- حدثت خيانة في القصر، الكاهن زارا وأتباعه قتلوا كل من كان في القاعة المُحرمة

قطبت رونا حاجبيها حنق وهي تُطبق راحتيها حول عنقه....

- ما هذا الهراء الذي تهذي به يا أحمق؟

وقبل أن تكسر عنقه أتاها صوت تيام مُتقطعًا من فرط ذهوله....

- هل الدخان الخارج من مدخنة القصر أحمرا! أم أنني فقدت بصري!!

لتترك الحارس يلهث أنفاسه، وقفت بجوار تيام وآصف وقد تجمد ثلاثتهم في موضعهم، عيونهم مُعلقة من النافذة بمدخنة القصر على الجهة المُقابلة، والتي يجب أن ينطلق منها دخان أبيض ليُعلن بداية احتفالات الترقي، لكن ما يخرج منها دُخان أحمر، وهو ما يُطلق في حالات الحرب فقط داخل السديم، فقد استطاع أحد الحراس الوصول إليها وأطلقه بدلًا من



الأبيض، والذي يُعلن عن مكروه وقع داخل القصر كونهم ليسوا في حالة حرب!

بعد لحظات حاولت استعادة وعيها من الصدمة ركضت نحو الباب ليُوقفها تيام عنوة....

- ابتعد عن طريقي.

- لن يحدث.. ألم تسمعي؟ لقد قُتل الجميع

- هو يهذي.

- وهذا الدخان الذي لم نره منذ مئات السنين هل هو هذيان يا رونا؟

- ابتعد يا تيام.

- لم يبق أحد.

التفت الجميع على وقع صوت زُمردة المُنتحب بدموعها، ليتصلبوا في مواضعهم، ثم نظرت نحو معصمها والسوار الذي بدأ يضيق حوله....

- لقد أتوا من أجلي يا رونا.

فغرت رونا عينها بذهول، ثم التفتت نحو الباب الذي دلف منه بغتة الكثير من الحراس وهم يصيحون.....

- يحاولون دخول المعبد.. احموا الأميرة.

قبضت رونا على سيفها تسحبه فأوقفتها يد أخرى! التفتت لتجد آصف يُطبق على قبضتها، احتقنت نظراتها غضبًا وقبل أن تفه حرفًا، صرخ في الجنود....

- إلى الخارج جميعًا.. أغلقوا الأبواب واحموها



بأرواحكم، احموا معبدكم وأميرتكم.. اقتلوا الخونة جميعًا.. فغضب رب السماوات على المُتخاذلين عظيم.

هرولوا خارجًا، وأغلقوا الأبواب من الخارج، ظلت تنظر إليه بعدم فهم، حرك أحد اللوحات على الجدار، فتح خلفها بابًا جانبيًا، حمل زمردة ودخله، وتبعه تيام الذي كان يدفع رونا عنوة إلى الداخل، وتبعتهم سيا، على الباب توقفت وهي تصيح فيه....

- لن أهرب يا تيام.

- إن كانوا وصلوا إلى أبواب المعبد فهذا يعني أنهم اجتاحوا المملكة.

- لن أهرب.. الهروب للجبناء.

تدفعه بعيدًا عنها، لكنه أحكم قبضته عليها **«لا تتخلي عني يا رونا، أنتِ كل من تبقى لي»** أوقفها صوت زمردة دون حراك، انفلتت دمعة عن عينها فحتى تلك اللحظة لم تكن تُصدق أن هذا ممكن الحدوث، لترن في أذنها كلمات رُهانا منذ ساعات قليلة **«تذكري كم أثق بكِ.. لا أحد سواكِ يستطيع حمايتها»** جمعت شجاعتها ومسحت دمعتها وحملت الصغيرة تحتضنها بقوة، أغلق تيام الباب، فارتدت اللوحة لمكانها.

وقبل أن يُحرك أحدهم ساكنًا انكسر باب القاعة، فأطبق الصمت مقصلته عليهم، اندفعت أصوات كثيرة



مُتداخلة داخل القاعة، لم تُميز منها سوى صوت واحد تعرفه جيدًا «**اقتلوا الجميع ولا تتركوا أحدًا من أتباع النور، جدوا رونا هي بالتأكيد هنا في مكان قريب، من يقتلها أولًا سيكون له مكافأة كبيرة، ومن يأتيني بها حية مكافأته ستكون أعظم**» همس عقلها بغل اجتاحه «نواه» تيقنت لحظتها أن ما يحدث حقيقة وليس هذيان عقلها الغاضب، فنواه أحد قادة حرس القصر، أدركت أن الخيانة نبعت من الداخل، أطبق تيام على يدها وهو ينظر إلى زمردة أن تهدأ، ابتلعت حنقها وضعت يدها على فم الصغيرة تُطمئنها بنظرة حانية، لحظات وعم السكون داخل القاعة.

حين تيقنوا من خلوها تقدمهم آصف داخل الممر الخفي بين جدران المعبد، إلى أن هبط بهم إلى أنفاق لم ترها رونا من قبل ولم تعلم حتى بوجودها! وسيا لا زالت تتبعهم، في منتصفه فتح غرفة صغيرة فيها الكثير من الكتب والمخطوطات القديمة المُبعثرة داخلها بكل مكان، ومن صندوق قديم يقبع بزاوية مُظلمة، أخرج صندوقًا آخَر صغيرًا وثلاث عباءات سوداء بغطاء للرأس، مُغبرة كأنها لم تُلبس منذ سنين، ألقى باثنتين لهما وأمسك بالثالثة «**ارتدوا هذه الآن**» فنظرا إليه وقبل أن يتسألا، ارتدى ما كانت في يده ووضع غطاء الرأس فوقه ليتلاشى تمامًا من أمامهما



كأنه تبخرا ليرتدي كل منهما واحدة، فعادوا يرون بعضهم البعض، أخفت رونا الفتاة في حضنها داخل العباءة، حاول تيام حملها عنها لكنها رفضت بشكل قاطع أن تبتعد عنها ولا للحظة واحدة، وحمل آصف صندوقه الصغير بيده وألقى عليه بطرفي عباءته!

أخرجهم النفق إلى الجهة المُقابلة من المعبد قريبًا من السوق، الذي مروا من خلاله وسط الناس دون أن يعيهم أحد، وهمهمات الناس وحديثهم عما ألم بالقصر يملأ آذانهم، توقفت بُغتة حين سمعت بمقتل رُهانا، أصابتها غصة بباطنها، كتمت زُمردة دموعها حزن على أمها بصدرها، سحبها تيام من يدها حتى اجتازوا السوق الذي بدأت الحركة داخله تضطرب ويتناثر داخله الحراس، لتقف فجأة في أحد الشوارع الجانبية أمام نواه وفرسانه تراه ولا يراها، الفرسان يقتحمون كل منزل يخص مُحاربين المعبد، وأكثرهم كانوا أصدقاءها وأقاربها، ويعملون تحت إمرتها، هؤلاء الذين يدينون بولائهم لملكات النور فقط، يقتلون كل من يجدونه في طريقهم، أطفال شيوخ نساء، يحرقون منازلهم عن بكرة أبيها، أوامر زارا واضحة وصارمة، يُجتز كل ما يدين بولائه للملكة من جذوره، فلا يترك خلفه بذرة قد تصير عائقًا ضده في المستقبل، فالتخلص من بذورٍ واهية أيسر من اقتلاع أشجار



كاملة بجذوع قوية راسخة تطرح غصون وثمار لا حصر لها، قد تنشأ غابة تبتلعه لاحقًا!

سحبها تيام غصبًا إلى شارع آخر، وهي تُقسم أن تقتلع رأسه بيدها، هو لها مهما أبعد طرقهما المكان وحال بينهما الزمان.

•••

مع مغيب الشمس وصلوا إلى غابة روكان، وجهة اختارها آصف! يقودهم داخل الغابة المُترامية الأطراف مع هطول ستارة الظلام، وبزوغ قمر إلكاي المُكتمل، وسيا تتبعهم وبداخلها يهتف بدهشة **«أنا أعرف تلك الغابة، إنها ذات الغابة التي أركض داخلها في أحلامي!»** داهمتها نظرة آصف لها، توقفت خطواتها من المفاجأة، ورماها بنظرة من يعرف بوجودها!

توغل بهم كثيرًا حتى وصل أمام كهف على حافة الغابة من الجهة النائية، جلس ثلاثتهم داخل الكهف المظلم، رفعوا أغطية الرأس عنهم، أطبقت رونا يديها حول الصغيرة التي أراحتها على فخذها وقد غطت في نوم عميق، كما أطبق آصف يده على صندوقه، أشعل تيام النار وبنبرة مندهشة....

- لم أعتقد أن يوجد مثل هذا الكهف في تلك المنطقة من الغابة!

- يجب أن نُغادر السديم إلى أحد العوالم الخارجية.



- ما الذي تهذي به يا آصف؟ هل فقدت عقلك أتريدنا أن نهرب إلى سجن؟!

- أن نهرب إلى السجون يا رونا أفضل من أن نُذبح كالماشية.

- جبان.

- جبان يتنفس أفضل من جثة هامدة، لن يتذكر أحد شجاعتها بعد يومين من أكل الذباب لها.

حنق بغيظ مكظوم، لترفع عينها نحوه بحدة وهي تقبض على خنجرها، أمسك تيام بيدها، والذي كان صامتًا طوال تناحرهما، تجاهلها آصف وهو ينظر إلى النار ويستطرد.....

- لقد استولوا على المملكة كلها، الجنون سيطر عليهم، قتلوا الملكة وكل من كان في القصر، إنهم يقتلون جميع من له ولاء لملكات النور.

- لُنغادر إلى مملكة أخرى. لنذهب إلى تليد.

زفرت رونا، ليُردد بضيق....

- تليد موطنك! أنتِ حارسة رُهانا الخاصة، وأكثر من يريدون رأسه الآن.

غُلقت عينه بالصغيرة تلك اللحظة، لتفهم هي مقصده، ليُؤكد تيام..

- هو مُحق هذا أول مكان سيُفتشون به، خاصة حين يعلمون أن زمردة معك.



- بالتأكيد تليد لم تسقط في أيديهم، ومن هناك سنرد الضربة لزارا.

نظراتهما بدت مُتشككة بما قالته بحماستها الغاضبة، لتُعاود بحماس أكثر.

- سنرحل إلى تليد في الصباح.

- لننتظر يومين قبل أن نذهب إلى أي مكان، فلا نعلم إلى أي عمق تمتد الخيانة، زارا ليس أحمق كي يُقدم على هذا الجنون دون أن تكون لديه أيادٍ ممتدة في كل الممالك، وخاصة تليد فيعلم إن انتقامهم سيكون الأسوأ.

جاء رد آصف حاسمًا وقاطعًا، وأيده تيام، وشيء بداخلها يعرف أنه مُحق! لكن عقلها يرفض التصديق، حاول تيام كل شيء لإثنائها عن الذهاب إلى تليد لكن تصميمها كان حاسمًا، فذكرها أنها مع كل خطوة تخطوها تُخاطر بحياة زمردة أيضًا وليس حياتها فقط، لذلك يجب أن تعرف أين ستضع قدمها، فانصاعت ووافقت مُرغمة أن تبقى معهما يومين حتى يتضح كل شيء وبعدها ستُغادر إلى تليد هي والصغيرة سواءً ذهبوا معها أو لا، كان الفجر قارب على بزوغ يوم جديد، غط كلاهما في نوم عميق بعد ذلك اليوم المُضني، ظلت هي مُستيقظة فأول نوبة حراسة من نصيبها، تتكأ على سيفها تشحذ نصله بقطعة حجارة



تُطبق رحاها عليها بقوة كادت تفتك بها، ظلت سيا تنظر إلى أمها النائمة بجوارهم، ثم نقلت عينها نحو رونا التي بدأت تنسل الدموع التي حبستها طيلة الوقت على خدها تُغرق وجهها وتُبلل ثيابها دون صوت، وغصة مُوجعة تعتصرها من الداخل، فرُهانا لم تكن فقط ملكتها بل كانت أمًّا لها ومثلها الأعلى، والأسوأ إحساس بالذنب يجتاحها فكانت حارستها الخاصة وقد فشلت في حمايتها، كيف لم تستشعر ما حدث! كيف لم تنتبه لما كان يُحاك في الظلام!! لقد أخفقت اخفاق ذريع.

مر يومان في سكون يتناوبون الحراسة دون أن يغفل لها جفن عن زمردة! حتى بزوغ فجر اليوم الثالث، اليوم الذي ستُغادر فيه إلى تليد، وقفت فجأة وقد تذكرت شيئًا، سحبت عباءتها وغادرت الكهف ظلت سيا مُترددة للحظة لكنها تبعتها، حتى وصلت مُنتصف الغابة، أطلقت من بين شفتيها صوتًا يُشبه الصفير إلى حد ما لكنه مُنغم بلحن حزين، ميزته من اللحظة الأولى فقد اعتادت رونا ترديده كلما انهمكت بالأعمال المنزلية، وحاولت كثيرًا تعليمها إياه، انتظرت قليلًا ثم أطلقت غيره، ثم غيره وبعد الرابعة انفرج جانبها عن شبح ابتسامة، لتسمع سيا صوت حفيف يقترب بسرعة كبيرة! لتجفل وترتد للخلف قليلًا حين ظهر من العدم



في الأفق القريب صقر كبير لم تر مثله من قبل في حجمه وسواده المهيب وجمال ريشه الناعم كالحرير، بجناحين ضخمين، يصدر صوت رفرفتهم حفيفًا يُشبه رياحًا شديدة، حركت الأغصان من حولهما، حط على أقرب غصن لها، ثم انتقل إلى ذراع رونا التي مدتها له، مسدت عليه بوداعة حتى استكان لها تمامًا، أوغلت النظر في عينه وهمهمت بصوت خافت بشيء، لحظات وأطلقت الصقر، ارتفع في السماء وانطلق كالسهم بسرعة مدوية لم تستطع حتى مُلاحقته بعينها، تربعت رونا أرضا في وضع اليوجا الساكن تنتظر! مر الصباح بأكمله وهي على هذا الوضع لا تتحرك ولا يُفتح لها جفن، فقط دموع تتساقط على وجنتيها وسط تجهم ساخط يعتليها، ثم همت واقفة، عادت إلى الكهف، أيقظتهم من نومهم، جلست سيا في الزاوية المُظلمة تتجنب عيون آصف، بينما وقفت رونا مقابله والذي لم يكن استيقظ بالكامل....

- كيف يمكننا الخروج إلى أحد العوالم الخارجية؟

تبادل هو وتيام النظرات المُتعجبة، فلم يكن هذا رأيها حتى ساعات قليلة، لتسترسل وهي تُوقظ زمردة....

- إن فُتحت أي من البوابات سيعلم زارا بالتأكيد، فجميعها مُتصلة بغرفة العبور داخل المعبد، فكيف



لنا فعلها؟

التفتت نحوهما، كانا لا يزالا لا يفهمان شيئًا، رفعت حاجبها له تطلب ردًا، حاول استدراك ما سيقوله، تلك اللحظة التي حط فيها الصقر على باب الكهف، ففهما كلاهما أنها أرسلت عيونها إلى الممالك، ليتساءل تيام بقلق.....

- هل ..

«نعم» قاطعته قبل أن يسأل، أطبقت يدها على خنجرها تضعه في مكانه داخل ساعدها الأيمن، وعينها مُعلقة بالفتاة....

- الجميع تخاذل، ركعوا له جميعًا إما خوفًا أو لمصلحة تجمعهم.

افتر جانبها عن بسمة حانقة....

- كان يعرف أنهم جبناء ولن يحتاج إلا مذبحة واحدة ليركع له القطيع بأكمله دون مقاومة أو حتى تفكير، بالعصا تسود قطيع من الخراف دون عناء، يكفي أن تلوح لهم ليرتدوا أمامك راكعين.

سحبت سيفها، وضعته داخل غمده....

- كيف سنغادر يا آصف دون أن يشعر بنا أحد؟

هم واقفًا فتح صندوقه....

- سألت حين وصلنا عن هذا الكهف يا تيام، الآن سوف أخبرك، إنه ليس كهفًا، بل هو أحد بوابات



العبور إلى خارج السديم.

«ماذا؟» فغر تيام فمه وهو يتبادل ورونا نظرات الدهشة....

- كيف تعرف هذا؟

- أنت مُحاربة يا رونا تعرفين ما يخص السيف والخناجر والدماء، أما أنا فراهب من رهبان العلم والسحر، أعرف الكتب والمخطوطات وما تحتويه من الأسرار.

- لكنني أعرف كل بوابات العبور حول السديم بأكمله، لم أسمع بهذا المعبر سابقًا؟

- أنتِ تعرفين بوابات العبور المُستخدمة في عهد رُهانا أو حتى منذ عهد سيسيليا؟ لكن ماذا عن قبل أن يجلسن ملكات النور إلى العرش!

- أتعني؟

- نعم هو أحد المعابر القديمة منذ حروب الظلام الستة؟

- لذلك أتيت بنا إلى هنا!

- يجب أن تكون مستعدًا دومًا لمواجهة الأسوأ يا تيام.

أمال تيام رأسه تأكيدًا، وهو يتساءل بقلق....

- ألا يمكننا المغادرة إلى عالم ليس بمنفى للسديم أو أحد سجونه؟ فالفكرة في الحقيقة تُخيفُني.



- كل العوالم التي استطعنا الوصول إليها تحولت إلى سجون.

أجابته رونا بقطعية، ليُعاود تيام وهو يزفر بقلق أكبر....

- لكن كيف سنُشغل هذا المعبر دون أن يعرفوا؟
- في الحقيقة نحن لن نشغله بالمعنى الحرفي.
- ما الذي تعنيه؟

أخرج آصف من صندوقه سبع قطع من أحجار سوداء مُتفاوتة الأحجام، غير متساوية الأطراف، يلتمع داخلها ضوء أزرق خافت، هتف تيام بذهول....

- نها أحجار نابض بالأزرق!!
- من أين أتيت بها يا آصف؟
- وهل يهم هذا الآن يا رونا؟ الأهم أنها لدينا.. ولنحمد الرب على هذا حمدًا كثيرًا، فبدون مفتاح سودي لن نستطيع العبور دون أن يعرف زارا ورجاله.
- هل كنت تحتفظ بتلك الأحجار وأنت تعرف أنه مُحرم على كل من بالسديم حتى لمسها!!

لم يفه بشيء لكن ظلت العيون مُعلقة ببعضها، وألف فكرة جامحة تضرب داخل كل منهم.

النابض بالأزرق من المُحرم اقتناؤه داخل السديم بأكمله، وهذا جعل ثمنه باهظًا إلى الحد الذي لا يقدر



عليه إلا القلة القليلة، والتي لا ينتمي إليها راهب مُتمرس من رهبان العلم بأي حال! فهو مُحرم منذ عهد سيسيليا بممالك السديم كلها، لأنه الشيء الوحيد القادر على فتح بوابات غير شرعية بين العوالم! فلا تحتاج سوى سبع قطع منه وتعويذة انتقال، وتتنقل بعدها بين العوالم الموازية.

أنهى تيام هذا الصمت المُقلق، والنظرات المُحتقنة بالشك، هم واقفًا أطفأ النيران، طمس معالم وجودهم بالكهف، تحسبًا أن يأتي إليه أحد، أحضر عصا ورسم دائرة من حولهم، وضع آصف الأحجار على خط الدائرة على مسافات شبه متساوية، وقبل أن يبدأ بترتيل تعويذة الانتقال تساءل تيام بحيرة....

- أعرف أن كل بوابة مُرتبطة بسجن مُحدد، هذا إن عبرنا من خلال بوابة شرعية، فهل تعرف إلى أي منفى سوف ننتقل من خلال تلك البوابة؟

- في الحقيقة لست متأكدًا من هذا.. حيث أننا سوف نعبر بطريقة غير شرعية، وبوابة غير متصلة بغرفة النقل الرئيسية داخل المعبد، فربما تُلقي بنا إلى أي عالم، أو الأسوأ.

صمت لحظة ازدرد ريقه....

- فجوة سوداء.

كادت عين تيام تُغادر محاجرها، ليستطرد آصف



سريعًا.....

- دعونا نأمل أن ما كُتب في تلك الكتب صحيح، وأننا ما دُمنا نتبع التعليمات الصحيحة ونعبر من داخل أحد البوابات بالتعويذة الصحيحة، بغض النظر عن الطريقة، فسوف نصل إلى البوابة الموازية لها على الجهة الأخرى دون أي خلل.

- والتي هي؟

تساءلت رونا بعدم ارتياح، ليُكمل تيام.....

- إلى أي سجن يُفترض أن تنقلنا؟ هذا إن اتبعنا التعليمات الصحيحة؟

- الأرض... ذُكر بالمخطوطات أنها أول عالم استطاعوا الملوك الأوائل النفاذ إليه، واستخدامه كسجن، وتلك البوابة هي أول بوابة تم بناؤها للعبور للأرض.

تبادل كلاهما النظرات المضطربة، لكنها لا تمتلك سوى تلك المجازفة بكل الأحوال وغير ذلك فليس لديها من سبيل، طلبت إلى زمردة أن تتمسك بها جيدًا، أطبقوا على أيدي بعضهم في دائرة داخل الدائرة، وبدأ أربعتهم بترتيل ذات التعويذة بصوت خفيض يُشبه الهمهمات، بدأ يتوهج اللون الأزرق داخل الأحجار، رماها آصف بنظرة خاطفة وابتسامة لم تفهمها، ولا زالت تختبئ هناك في الزاوية!! زاد توهج الأحجار مع



همهماتهم المُتتالية، حتى بدت كأنها مُشتعلة من الداخل، هبت رياح عاتية، تحركت في دوامة كبيرة داخل الكهف، اختفوا جميعهم داخلها، لم تعد سيا التي تمسكت أكثر بالزاوية البعيدة من شدتها تراهم، زاد سطوع الضوء الأزرق حتى صار خاطف للعين، توهج به ظلام المكان كله للحظات، أجفلت له عينها وهي تضع يدها فوقها تتحاشاه أكثر من شدة سطوعه كأنه سوف يخترق جفنيها، وفجأة خمد كل شيء واختفت الدوامة والرياح والضوء ومعهم أربعتهم من المكان، وتحول الحجر النابض إلى أحجار ترابية، اقتربت سيا انحنت فوقه تُمسكه فتناثرت ذراته بين أصابعها، ليستردها صوت الصقر الذي تهيأ للمغادرة هو الآخر، وقد فرد جناحيه بالهواء على امتدادهما أمام الكهف، وعينه عُلقت بعينها فأثار استقراره في الهواء أمامها دهشتها كأنه يعنيها بنظراته! تقدمت خطوة نحوه خارج الكهف وعينها مُعلقة عنوة عنها بعين الصقر، ليأتيها من خلفه صوت يُناديها!!

أعادها صوت آصف للمخزن من جديد، أفاقت سيا وهي ترتد بجسدها للخلف، وكل ما فيها ينتفض بقوة، جسدها يرتعش تحاول السيطرة عليه وإيقاف اختلاجاته المُتكررة، احتضنتها رونا بذات الطريقة التي كانت تحتضن بها أمها، وأطبقت هي ذراعيها حولها



تُمسكها بقوة، وقد غُلقت عينها بعين آصف وذات النظرة التي كان يرميها بها حينما كانت هناك بالزاوية هي التي تراها الآن بعينه، فدفنت رأسها داخل صدر رونا....

- أتلك الصغيرة هي أمي!!

هزت رأسها تأكيدًا وهي تُمسد على شعرها، لتتساءل وهي ترفع عينها.

- ماذا حدث بعد ذلك وكيف ماتت؟

- بعد ولادتك وصل إلينا زارا.. وقتلها على الباب الدموي.

انتفضت من حضنها بعيون فزعة، فدثرت رأسها داخل حضنها....

- لتهدئي الآن فما مررتِ به ليس هينًا.

- دعي عقلك وجسدك يأخذ بعض الراحة بعد تلك الرحلة العصيبة.

أكد آصف ما قالته رونا، لم يمر سوى القليل وغطت في سُبات عميق داخل حضنها عنوة عنها والدموع تُغرق وجهها، فقد استنزفت الكثير من طاقتها في تلك الرحلة العقلية والروحية المُضنية، لترميه رونا بنظرة ثاقبة.....

- هل كنت تُخطط لمُغادرة السديم قبل يوم إلكاي يا آصف؟



جاءه السؤال الذي تأخر سنواتٍ مُباغتًا، فلم تنسَ رونا يوما ظهور النابض بالأزرق معه من العدم، تحاشا النظر إليها، ووقف بهدوء وهو يُحاول التوازن كي لا يسقط، فرحلة العودة للماضي رغم أنه تعود القيام بها! إلا أنها مُجهدة لعقله وجسده الواهن كذلك، تركهم خلف ظهره دون أن يفه كلمة.

•••



الخامس

آثامٌ تُلاحقنا!



جلس آصف إلى كرسيه أمام الشاشات وعينه عالقة بالفراغ البعيد الذي سقط معه في فراغ الماضي السحيق، الذي راح يُناديه من ظلماته صوتها الحانق، عاد بعقله وروحه إلى ذلك الماضي البائد، شابًا في فورة عنفوانه واندفاع حماسته الجامحة، في هذا اليوم المشؤوم وهو يقف بحضرتها داخل القاعة المُحرمة بقصر روسيل، ويزداد تغضُّب وجهها قبل صوتها....

- هل تحاول الكذب عليَّ يا آصف؟
- لا أجرؤ يا مولاتي رُهانا، لكن الأمر ليس كما يبدو.
- كيف يكون إذًا؟

وقفت رُهانا أمامه بقامتها القصيرة، وشعرها الأشيب الطويل، وبشرتها الخمرية بتجاعيد تظهر على استحياء بين تقاسيمها الهرمة، فنحى آصف عينه أرضًا، وهو منحنٍ على ركبته أمامها، لتُوغل النظر به لحظات وبصوتها المُتهدج....

- أنت تعلم أنه مُحرم على أي أحد الولوج إلى مكتبة السر الأعظم سوى مجلس الحكماء الأعلى فقط؟
- أعلم يا مولاتي.
- حتى الكهنة غير مسموح لهم بالدخول، فقط حكماء المجلس، فكيف لراهب مُتمرس أن يجرؤ على ذلك! لماذا تسللت إلى الداخل؟



- لا أعرف بماذا يمكنني الاعتذار لمولاتي عن فعلتي الحمقاء؟

- أن تخبرني لماذا خالفت الأوامر ودخلت؟

لم يُجب فلم تنتظر أكثر تقدمت نحوه، وضعت يدها على رأسه الذي أحناه أكثر وقد أغمضت عينها، حاول طمس أفكاره لكن ما استطاعت تعويذته الضعيفة الوقوف أمام قوتها ومُجابهة دمائها وسنواتها الطويلة المُتمرسة في السحر، بعد لحظات رفعت يدها بُغتة وقد تسارعت أنفاسها، فتحت عينها عن آخرهما وهي ترتد إلى أقرب كرسي، والدهشة تملأ ملامحها....

- هل فقدت عقلك؟ هل تعرف ما الذي تسعى خلفه؟

- مولاتي كل ما أريد...

- ليس كل شيء نريده نستطيع الحصول عليه.

- المعرفة يا مولاتي سلاح القوي.

- سلاح ذو حدين، إن كانت في حدود استيعابنا تكون جيدة ودافع لنا للأمام، وإن كانت فوق قدرتنا أسكنتنا الجنون، أو الأسوأ الطمع والاستبداد وتسببت في هلاكنا.

- نحن من يختار مولاتي، واختيارنا.

- خلقنا رب السماوات أصحاب نفوس ضعيفة لا تصمد أمام شهواتها.

ردها جاء قاطعًا، ليُحاول الرد على مخاوفها....



- لكننا أصحاب العلم والحكمة، نحن أقوى من أي شهوة، نحن المختارون من رب السماوات لنحمل رسالته يا مولاتي.

- الشهوة لعنة، وجميعنا نسقط في فخها، حتى تلك القوة التي تتحدث عنها ما هي إلا شهوة، شهوة الثقة بأننا أقوى، فينصب لنا عقلنا الفخ بقوتنا ونهلك داخله بضعفنا، المختارون هم من يقاومون رغباتهم وليس من ينصعون لها، من يحكمونها ولا تحكمهم.

قاطعته بحدة وهي تهم واقفة توليه ظهرها، ليقف على بُعد خطوات منها، وبعينه نظرة تصميم ليربح معركة الحوار وإقناعها بما يريد....

- خلقنا الله لنتعلم ونُحصِل المعرفة، ونكتشف أسرار الكون، لهذا يُودعنا علمه.

- ليست كل المعرفة من حقنا، ليس كل المستور والمخفي عن العيون لنا الحق برؤيته، بعض الودائع لا يجب العبث معها وبها.

- ولمَ لا؟! إن كان لدينا ما يوصلنا إلى معرفة هذا المستور!

- إن كان الله يريد أن نعرفه ما كان ستره! أخفاه عنا لحكمة عنده وحده.

- مولاتي.



- ليس لدينا شيء، ألم تفهم بعد! أتعتقد أن ما لدينا بحر من المعرفة! هو ليس سوى قطرة، أتعتقد يا أحمق أن رب السماوات سيُطلع فانيًا، عقله بالكاد يتحمله على أسرار عظمته وقوة خلقه! مهما وصلنا وابتعدنا في اكتشافاتنا حول هذا الكون الذي تتحدث عنه فلن نتخطى موطأ قدمنا أمام عظمته.

أسكتته وهي تلتفت نحوه بغضب، ليُحني رأسه بنبرة رجاء....

- أرجوكِ مولاتي دعيني أراه لمرة واحدة.
- لديك أسوأ عدو للإنسان يا أصف.

زاد غضبها، فأمال رأسه بعدم فهم، لتستطرد وهي تُوغل النظر بعينه.

- عقله وأفكاره! عقلنا هو أسوأ وألد أعدائنا الذي إن أفلتنا له الحبل ذبحنا من الوريد إلى الوريد، أفكارنا التي تدفعنا نحو هاوية مُظلمة بكامل إرادتنا.

ازدادت حدتها أمام نظرات تصميمه ومُجادلته....

- لديك أسوأ شهوة.. معرفة الخبايا التي ليست من حقك، خبايا الأسرار هي من حق رب السماوات وحده.
- خلقنا لنكتشفها ونمتلك قوتها.
- خلقنا لنتأملها، ونتعلم منها بقدر ما تتحمل عقولنا الواهية لنزداد إيمانًا به ويقينا بعظمته، وليس



لنعتقد أننا نُساويه، أو نمتلك ما يمتلك.. هنا يكون السقوط بقعر الجحيم.

- لكن...

- اصمت... إياك أن تجرؤ وتفه حرفًا آخر.

أخرسته بصرامة ساخطة، لتعتلي عرشها وبنظرة جامدة كما نبرتها.

- سيتم نفيك.

- مولاتي أنا.

- أنت خالفت كل الأحكام والتقاليد، دخلت مكانًا مُحرمًا عليك وعبثت بأشياء ليس لك الحق بها، وترغب بأن تمتلك ما ليس من حقك.

قاطعته بحنق مُتزايد، ليحني رأسه أكثر، وضعت يديها على ساعد الكرسي، تُطبق على رأسي صقريه.....

- سيتم نفيك إلى الروشم.

كادت تخرج عينيه من محاجره وهو يركع أمامها....

- أرجوكِ.. ليس الروشم يا مولاتي.

- أنت لا تعرف ما الذي تركض خلفه! تذكر دومًا أن لكل شهوة ثمنها وكلما غلا ما تطلبه ارتفع ثمنه، وكذلك عظُم عقابه.

- مولاتي.

رفعت يدها فأوقفت الحروف بفمه.....

- إياك ومغادرة المعبد، ستظل داخله حتى انتهاء



احتفالات الترقي، وبعدها سوف يتم تنفيذ الحكم.

صمتت لحظة، ازدرد ريقه، وتاهت أفكاره، ليُعيده صوتها.....

- يا حراس.. الراهب آصف لن يُغادر المعبد دون أوامر خاصة مني، وإن فعل...

رمته بنظرة أخيرة والحراس يوقفونه على قدميه....

- اقتلوه.

طالت النظرة بينهما، نظراتها جامدة غاضبة، ونظراته مشدوهة حد الخرس، حتى سحبه الحراس الذين كانت تغمرهم الدهشة حد الذهول خارجًا، فتلك المرة الأولى التي يُصدر فيها أمر كهذا داخل السديم! فعقوبة القتل غير واردة بقوانينهم، إما السجن أو النفي، فما الذي يدفع ملكتهم لإقرار هذا الحكم ضد أحد رهبانها المُقربين!!

ظلت رُهانا على كرسيها ساخطة بضيق، تنهدت بزفرة قلق تهدجت لها أنفاسها، لحظات وأمرت الحراس بإخلاء القاعة وإغلاقها من الخارج، همت من مكانها وقفت بمنتصف القاعة، أغلقت عينها وبدأت التمتمة بصوت خافت!!!

اقتاده الحراس إلى المعبد، وكل ما به غارق في اللاشيء، يصرخ ألف صوت غاضب داخله «**فهل أقرت ضدي حكمًا بالنفي إلى الروشم!! لماذا تُنكر حقي في**



الوصول إلى المعرفة التي أبتغيها! أم هي فقط حكرٍ على المجلس الأعلى! وكوني لا أنتمي إليهم يُفقدني هذا الحق! فالأمر ليس كما تدعيه هي يخُص رب السماوات، أو أنني أُحاول الحصول على ما حرمه الله علينا، بل ما حرمته ملكات النور على الجميع خلاهن! هي فقط تُنكر عليّ حقي في الوصول إلى ما أُريده، فحتى المعرفة باتت حكرًا على البعض دون البعض!!».

عاد إلى المعبد ليجد زمردة تنتظره ليُعطيها درسها اليومي في تاريخ السديم، بدا مُشتتًا، يعرف أن رُهانا لن تتراجع عن قرارها، هي مثله الأعلى وأمها سيسيليا من قبلها، لكنها الآن تقف بينه وبين تحقيق هدفه! والأهم هل سينتظر هو حتى يُلقى في الجحيم بعد أيام! إذًا لقد آن الأوان ليصل إلى ما يبتغيه بطريقته الخاصة، فيوم الترقي سينتهز انشغال الجميع بالاحتفالات ويأخذ ما يُريده من مكتبة السر الأعظم ويُغادر السديم بأكمله، ويعرف كيف سيفعل ذلك!!

عاد من شروده فجأة على زمردة تُمسك يده، وتبتسم له ابتسامة صافية **«كل شيء سيكون بخير يا آصف»** بادلها الابتسامة بحيرة من وقع جملتها على نفسه تلك اللحظة، وهي تُشير له نحو المجسم الذي أنهت تركيبه **«أعتقد أن الأرض أفضل من الروشم يا**



آصف» حدجها بنظرة دهشة، ثم نظر نحو المجسم وقد التمعت عينه فجأة **«بالتأكيد يا أميرتي الصغيرة.. بالتأكيد الأرض ستكون أفضل».**

عاد آصف من غياهب ذكرياته إلى اللحظة الراهنة، وقد تساقطت دمعاته وعقله يُذكره بأن رُهانا كانت مُحقة فثمن شهوته كان أغلى مما توقع ومما يحتمل!!!!

•••

بعد أسبوعين، يقف داخل قاعته الخاصة والتي يقضي بها أغلب أوقاته مُستندًا إلى الطاولة أمامه، عينه مُنهمكة بالركض بين سطور المخطوطة التي بيده، عقله يلتهم الكلمات التهامًا، فهو خير من يُميز ضالته وإن كانت بين ألف يقتنصها دون تردد! استعاده صوت طرقات مُتقطعة، ليدخل أحد الحراس ويُخبره أن القائد سطام يُريد مقابلته، زفر أخزم بضيق ابتلعه خلف بسمة مصطنعة رسمها وهو يُشير إليه بإدخاله.

أغلق أوراقه وسحب فوقها كتاب كبير بالقرب منه! وفتح بجانبه كتابًا آخَر شرع يتطلع إليه، تقدم الضيف بخطى وئيدة داخل القاعة، شعور بعدم الارتياح يغمره، فليس من المعتاد أن يدعوه أخزم إلى قاعة كتبه الخاصة داخل قصره! فهي كنزه الثمين الذي لا يُدخل إليه أحدًا! التفت نحوه مُضيفه وقد فرد ذراعيه في



إشارة بالترحيب....

- قائدنا العظيم سطام.

- سيدي الكاهن الأكبر.

تجمدت ابتسامته لتعمد سطام تذكيره بهذا الشأن طوال الوقت، لكنه ابتلع غيظه ورسم ابتسامة أكبر على وجهه وهو يتهادى بخُطاه نحو ضيفه، والذي اغتبط لتعمد مضايقته، فهو لا يترك فرصة دون اقتناصها ضد أخزم، الذي أشار إليه بالجلوس إلى أحد الأرائك القريبة، فجلس ويده تعبث بقبضة سيفه، وقف الكاهن قريبًا من الشرفة، ويده تُمسد شُعيرات لحيته القصيرة، عم الصمت المُضطرب بينهما لحظات، قطعه سطام....

- أرسل سيدي الكاهن في طلبي، هل لي أن أعرف لماذا أنول هذا الشرف العظيم؟

- لقد وصلني من عيوننا بمملكة تليد أن بعض الخارجين عن سلطة العرش يقومون بحشد صدور الرعية ضد مولانا.

- إنهم مجموعة من الرعاع الذين لا أهمية لما يهذون به، فلا يستمع إليهم أحد.

- هذا يعني أن قائدنا يعرف بشأنهم؟

التفت نحوه وبعينه نظرة واثقة من الإجابة قبل إلقاء السؤال، هز سطام كتفيه بغير اكتراث أن نعم،



ليُتابع أخزم بنبرته، كما خطواته حتى صار بمُقابله....

- اعتقدت لوهلة أن قائدنا لو يعرف بهذا الشأن لوأده قبل ميلاده!

- هو شيء لا أهمية له، فلا ضرر من عواء أخرق بلا أنياب.

- بالطبع أنت مُحق، لكن الآن وفي هذا الوضع هذا العواء يُعد أنياب بحد ذاته.

رفع عينه بنظرة تشي لأخزم بأنه وقع في الفخ الذي نصبه له....

- هل يفوتني شيء سيدي الكاهن؟

- أنت تعلم أن هناك بعض الاضطرابات في الممالك، في الفترة الأخيرة بسبب زيادة الجباية.

- التي فرضها المعبد.

قاطعه بنبرة مُتهكمة، فالمعبد لا يتوقف عن فرض الجبايات على الرعية ليُزيد من اكتناز خزائنه، وهذا لا يُرضي سطام فكلما ازدادت نفوذ المعبد حدت من نفوذه، ليُحرك أخزم يديه في الهواء بقلة حيلة، وبنظرة المغلوب على أمره....

- وما الجُرم الذي اقترفه المعبد!! هي أوامر مولانا، وهو دومًا صاحب رأي حكيم بهذا الشأن وبغيره، أم يعتقد سيدي القائد بأن مولانا يخطئ في بعض قراراته بشأن المملكة والرعية؟



ضيق سطام بين حاجبيه مُفكرًا للحظة، ما الذي يبتغيه الكاهن من هذا اللقاء! شيء بداخله غير مُرتاح كليًّا لحديثه ونظراته، يشعر بأنه يدفعه نحو شيء بحد ذاته! شيء لن يكون في مصلحته الوقوع به مهما كان، فانتفض واقفا وبنبرة قاطعة بادرة بحدة.....

- مولانا لا يُخطئ بأي من قرارته، فدوما نظرته ثاقبة ورأيه بمحله.

تبسم أخزم بخبث من جانبه لم يلاحظه الآخر، تهادى خطوتين نحو طاولته، يده تعبث بالأوراق فوقها.....

- لا أعتقد أنه سيكون راضيًا عن تلك الشرذمة التي تعث داخل أراضيه، في هذا الوقت الخطير، فالمملكة بأكملها على كف القدر.

- ما الذي تتحدث عنه يا سيدي؟

- ابنة زُمردة حرة طليقة، ورونا كذلك.

- نكرات لا يستحققن أن يوليهم سيدي الكاهن أي اعتبار.

- لكن لا تنسَ أن تليد هي موطن رونا، فربما علموا بكونها لا زالت على قيد الحياة، وهذا جد خطير لأنه يعني أنه زرع بداخلهم الأمل، والأمل إن ألقى بذوره داخل القلوب المُحطمة صارت سلاحًا فتاكًا يخسف بعروش ويهدم أنظمة، سلاحًا لا يمكن أن



تأمن مردوده عليك، داءً خطيرًا إن أُصيب به الرعية خرجوا عن الدرب ومسّهم جنون الفوضى المُسماة حرية، وضلوا عن عقيدتنا وتزعزع داخلهم الإيمان بنا، وصار يقينهم به وله وحده، وهذا شيء لا نريده أن يحدث.

- أرى أن مخاوف سيدي لا محل لها من الواقع، فتلك الاضطرابات تحدث من وقت لآخر، خاصة عند زيادة الجباية أو في فترات الحروب التي يقودها مولانا ضد أعداء المملكة، فالتوقيت من تزامنها مع ظهور رونا مجرد مصادفة محضة، وبالتأكيد لن يعلم أحد عن أمرها أو الفتاة فأنا حريص كل الحرص ألا يحدث هذا، فقد تخلصنا من جميع من يعلمون كما أمر مولانا زارا.

هز أخزم رأسه تصديقًا....

- أحسنت يا سيدي القائد، وكلي ثقة في حكمتك في التخلص من تلك الشرذمة، فأنت تعلم أن تليد هي أهم ممالكنا، ولا نرجو أن تتقلقل بها الأوضاع.

تبسم له سطام وهو يُومئ تأكيدًا، ألقى إليه التحية تاركًا إيّاه خلفه مُغادرًا، اتسعت ابتسامة أخزم حتى لمعت أسنانه وعاد إلى طاولته، جذب ورقة صغيرة فارغة حرك يده فوقها دون ملامستها، فخُط بداخلها **«استمر في المهمة المُوكلة إليك، لا بد وأن تعم**



الفوضى على طول التلال، ولا تنسَ أن ترمي بين حديثك بضع كلمات عن شمعة توهجت داخل قاعة الحياة» راح يطوى الرسالة مرة بعد مرة حتى تقلص حجمها تمامًا، وقف أمام الشرفة أغمض عينه وأخرج صوت يُشبه الصفير، لحظات وحط على شرفته صقر كبير، أحكم إلصاق الرسالة بين مخالبه، أفلته فحلق بعيدًا في السماء ثم اختفى بسرعة خاطفة، عاد إلى طاولته وحرك الكتاب عن مخطوطاته الثمينة وعاد للغرق بين سطورها من جديد!!

•••

حين وضعت سيا رأسها على الوسادة للنوم تلك الليلة، كان كل شيء بداخلها مُتناقض، يضرب بداخلها ألف شعور، لكن عقلها كان مُهيأ بشكل غير مفهوم للانتقال لوطنها! سرت بها قشعريرة حين صاغها عقلها على هذا النحو.. الوطن! حتى أنها دُهشت من نفسها لتفكيرها بتلك الطريقة هل حقًا هو عالمها ووطنها! أم فقط هي أضغاث أوهام من رونا! ربما كان وطن أمِّها لكنه بالتأكيد ليس وطنها، أغمضت عينها عنوة لتُجبر عقلها التوقف عن التفكير فهذا مُرهق لها بما يكفي على حاله، فماذا عن كونها أيضًا مُشردة خارج وطنها!

تراءت لها صورة أمها من جديد وهي تجلس إلى تلك الطاولة وتلك النظرة البريئة المبتسمة التي ملأت



وجهها وأضاءت جبينها، كم كانت طفلة جميلة وقد ورثت عنها عينيها الجميلتين، أخذها الوسن قليلًا قليلًا حتى سبحت في عالم أحلامها أو بالأحرى موطن أحلامها، فالسديم وطنها رُغمًا عنها، فمهما شئنا أو أبينا تظل جذورنا هي أوطاننا حيث ننتمي وإن أعلنا الاغتراب والمنفى وطنًا، تظل البداية والنهاية وأرواحنا موصولة بها، وشيء بداخلنا يُوقن ذلك!

ليستردها عقلها من غياهبه على صوت يُناديها، فتحت عينها ببطء على نبرته الواهنة كأنه يُناديها من قاع بئر سحيق! أو يصلها خفوته من هوة ظلام قصية، لتجد نفسها داخل قاعة كبيرة، ورغم الظلام إلا أن معالمها كانت واضحة، لم ترها من قبل، تلفتت على مصدر الضوء الخافت لتقع عينها على شمعة صغيرة تتوسط الجدار أمامها، شيء جذبها نحوها، تقلقلت خُطاها المرتبكة حتى باتت على بُعد خطوة منها، لتُوغل النظر بالجدار شبه المظلم فتجده يمتلأ بالشموع المطفأة، هي فقط وحدها تنتصفه تُجاهد لتظل مُشتعلة، عاودها الصوت يُنادي باسمها، أرهفت السمع تلك المرة بشيء من عجب بدت نبرته غير مألوفة، ليست ذات النبرة التي اعتادتها!

أحنت رأسها إلى جانبها وقد ضيقت عينيها بخوف، وتصلبت حُدقتيها، تحاول أن تزدرد ريقها، والسيطرة



على أنفاسها الهاربة! وغُلق كلها بالسوار بيدها والذي شعرت بوخزته يُحكم قبضته حول معصمها! فالآن باتت تعلم أنه لا يضيق إلا لشر يقترب! لتلتفت على مهل باضطراب للجهة التي يأتيها منها الصوت، فارتدت للخلف حتى اصطدمت بالجدار من شدة ذهولها ونبضها يكاد يقف حين وجدته يقف أمامها بعينيه المتوهجتين!!

صرخة رنت بباطنها لم يجرؤ صوتها على إطلاقها، ازداد ارتجاف جسدها لهذا القُرب المُفزع بينهما، لم تستطع أن تتبين ملامحه، فعينها رغمًا عنها لم تستطع التخلص من سيطرته عليها وعلى عقلها، أمال زارا رأسه للحظة بتعجب! ثم امتدت يده تُمسك بذراعها تسحبها نحوه بقوة مُطبقة على معصمها، فأطلقت صرخات بفزع مُتلاحق من وقع المفاجأة وهي تدفع بجسدها للخلف.

انتفضت بقوة وهي تدفع بيديها وصرخاتها، لتجد نفسها تدفع رونا التي تُحاول إيقاظها، أخذت لحظات في محاولة استيعاب عودتها للواقع، ورونا مُثبتة كتفيها للأسفل على الأريكة تُهدئ من روعها، وعيون الجميع لاهثة نحوها بقلق يعتريها، أغمضت عينها تحاول جاهدة تهدئة أنفاسها التي تعلو وتهبط بصدرها مولية الفرار، اعتدلت وهي ترفع معصمها أمام وجهها



وقد فغرت عينيها وهي تنظر لموضع يده على معصمها، وأنامله التي تركت آثارها عليها! أمسكت رونا بيدها ونظرة جزع احتلت وجهها، ليهتف صوت من الزاوية المظلمة بالغرفة....

- إنه يُحاول الولوج إليكِ.

- كيف عرفت؟

تساءل ريان بغير فهم، فتبسم آصف وهو ينهض متجهًا نحوهم، ليهتف تيام....

- إنه آصف يمكنه أن يعرف أشياء كثيرة، وحتى بماذا يُفكر كل شخص داخل تلك الغرفة.

«إلا هي!» تعال صوت آصف وقد وصلت خطاه إليهم، ليتساءل تيام بدهشة «ماذا؟!» ليستطرد وعينه مُعلقة بسيا....

- أنتِ الوحيدة في تلك القاعة التي لا يمكنني اختراقها! وهذا أمر غريب.

- لا أحد منا استطاع فعلها!

أقر ريان، لتهتف رونا.....

- إنه السوار بالتأكيد.

- كلا.. ليس السوار.

رد آصف وهو يجلس إلى جوارها، أمسك بيدها أغمض عينه تنفس بعمق، لحظات ثم فتحها....

- إنه جدار حماية قوي، لم أشهد مثله منذ زمن



مضى، ربما أقوى من أي سحر شهدته أو عرفته.

- ما الذي تعنيه؟ أليس السوار ما يُبقيها محجوبة!!

- خبرتك سابقًا يا رونا يحجبها عن عين الرؤية فقط.

- إن لم يكن السوار، فماذا يا آصف؟

- هذا سحر قوي.. سحر لا يقوى عليه إلا.. ملكات النور.

«زمردة!!» همست رونا بدهشة كأنها تذكرت شيئًا، ترك آصف يدها دون أمل في الولوج إلى عقلها، لتسترسل رونا وعينها مُعلقة بسيا....

- همست بشيء لك حينما كنا بالمشفى، اعتقدت أنها تحاول إسكاتك، فكنتِ بدأتي بالصراخ ولم أكن لأستطيع الهروب بك وأنتِ على تلك الحال، وبعد أن همست لك هدأتِ تمامًا حتى أنكِ نمتِ نومًا عميقًا.

- هذا يُفسر الكثير، وحدها زمردة تمتلك هذا السحر لإبقائك نقطة عمياء، لا يستطيع أحد رؤيتها، أو تتبعها، أو اختراقها مهما حاول ومهما وصل سحره وقوته.

«زارا!!» ردت سيا، فأومأ إيجابًا، أمسك بمعصمها....

- لكنه يحاول بكل قوته، لكن إن لم يستطع تتبعك فكيف وصل إليكِ؟

- لا أعلم بالبداية كان الصوت ثم ظهر هو.



- أي صوت؟!

قاطعها باهتمام، لتُحرك كتفيها وهي تقف وتبتعد خطوة....

- ذلك الصوت الذي بدأ به كل شيء.

- زديني عنه.

- لا أعرف.. حين بدأ كل شيء لم يكن سوى ذاك الصوت يُناديني واليد الممدودة من الظلام لا شيء آخر، وبعدها كل شيء أصبح مخيفًا.

- في كل مرة تنتقلين للسديم تسمعين ذلك الصوت؟

- في البداية نعم.. حين كان كل شيء هادئًا.

- والآن؟

- يحدث بشكل عشوائي، أحيانًا يكون الصوت وأحيانًا لا.

ضيق آصف بين عينيه تفكيرًا، وتعلقت بينه وبين سيا العيون، وهو يقول بعد صمت طويل....

- أنتِ تعلمين أن تلك ليست أحلامًا، كل ما ترينه هو واقع، أنت تذهبين كل ليلة إلى السديم حقيقة، وحدك تستطيعين الدخول إلى السديم دون أن يشعر بك أحد وهذا أمر يُثير الفضول! لكنك دومًا تتجولين بين قصر روسيل وغابة روكان، وهذا شيء عجيب! لكن الأعجب أنه يتم استدعاؤك إلى الداخل، وهذا ما لم أتوقعه أو حتى رأيته يحدث



في رؤيا!

- ما الذي تعنيه بأنه يتم استدعاؤها؟

أعادته رونا من غياهب أفكاره، ليسترسل وعينه تتجول بينهم....

- لم يكن من المفترض أن تستطيع الذهاب إلى السديم، فليس لديها تلك القدرة قبل أن يرتقي القمر عرشه بين النجمين، ودون ذلك لا بد من مساعدة تجعلها تستطيع العبور، لكنها كانت تعبر كل ليلة وقبل أن تُتم عامها الحادي والعشرين! ودون أيّة مساعدة من تعويذات أو حجر سودي النابض، ألا تجدين هذا مستحيلًا يا رونا!

فانتبهت رونا بدهشة فلم تفكر بهذا قط، ليسترسل....

- الصوت واليد هو استدعاء لكِ، وخط عبور يُفتح من الجهة الأخرى، هناك من يستدعيكِ من الداخل! والأهم أن لديه القدرة والقوة على فتح معبر لكِ على كلا الجانبين! وعلى الأرجح مكان وجوده يقع بين القصر والغابة حيث يستطيع التحكم في انتقالك.

فغر الجميع فاهه وتصلبت أحداقهم دهشة، ليتساءل آصف.....

- هل يمكنك تمييزه؟ أهو صوت امرأة مثلًا؟



- لست متأكدة.

صمتت سيا لحظة مسحت بين عينيها المُغمضة غابت للحظة ثم وبقطعية.

- كلا ليست امرأة.. هو صوت لرجل.

- من المستحيل أن يكون زارا من استدعاكِ لهدم مملكته!!

- مجرد التفكير بأنه هو يكون جنون يا آصف.

احتجت رونا بانفعال فأمال رأسه تأكيدًا لها، فهذا احتمال غير وارد، صمت الجميع وغرق كل في أفكاره حين تقدم ريان نحوها وأمسك بيدها....

- لكنه يستطيع أن يؤذيها! أليس كذلك؟

انتبه الجميع على صوته وعُلقت عين سيا به، ليهز آصف رأسه وهو يهم واقف يتكئ إلى ذراع تيام....

- كلا هو لن يؤذيها.

- لكن يدها.

- لا تقلق يا بني لن يُفيده بشيء قتلها وهي ليست تحت يده، هي آخِر أمل لديه للاستحواذ على ما يريد، هو أكثر من يريدها على قيد الحياة، هو فقط يُحاول الولوج إلى عقلها ليستطيع الوصول إلى مكانها، إن قتلها وجسدها ليس تحت يده خسر كل شيء، فلا يهمه روحها بشيء، دمائها كل ما يبغي.



طالت النظرة بينهما وهو يُفلت يدها، نظرة فهمها تيام وزفرت لها رونا، فهما خير من يعلم تلك النظرة، وماذا يعني هذا القلق والاهتمام بصوت ريان لأجلها!!

•••

- ما تشعر به تجاهها أمر منطقي.

التفتت ريان ليجد عمه يقف خلف كتفه، ضيق بين عينيه مستفهمًا، ليُربت تيام على كتفه، ويقف بجواره يُسند ساعديه إلى إفريز الشرفة، فعاد ريان لوقفته الأولى، تعلقت عين عمه بسيا التي كانت تجلس بالقرب من الشجرة مع دلين، هرب ريان بعينه حين رمقه تلك النظرة المتفحصة، ليهتف بسخرية....

- أنت لا تحاول قراءة أفكاري؟

- لا أحتاج إلى فعلها فما تفكر به جلي في عينك ونبرتك وكل اختلاجاتك حين تكون بقربها.

نضح العرق بجبهته كما تقلقلت نبرته وهو يمسح عن وجهه....

- عمن تتحدث يا عمي؟

فوضع تيام يده على كتفه، ليبتعد ريان خطوة، وهو يشير بيده....

- هذا ليس عدلًا أن تستعمل مهاراتك ضدي لتعلم شيئًا يخصني.

ابتسم تيام بشده وعاد لاتكائه، زفر وهو يُمعن النظر



بها **«الصقر يتبع الضوء أينما كان، والقلب يتبع الحب أينما حل»** علت الدهشة وجه ريان «**ماذا!**» فلم يفهم ماذا يعني عمه، والذي تنهد....

- الأمر ليس بيدك، لذلك لن أطلب منك أن تُقاوم، رغم أنني أعرف حتى لو طلبت إليك لن تُنصت.

- لا أفهم ما الذي تتحدث عنه؟

اعتدل ونظر بعينه، ليزفر ريان بضيق وبات يعلم أن لا مهرب....

- الأمر مُعقد.. منذ قابلتها في الحفلة وشيء خفي يجذبني نحوها، وهذا بحق يُضايقني، لأنني لا أرغب بأن يحدث هذا.

- حقًا!!

- ماذا؟

- أنه يُضايقك، ولا ترغب به؟

رمقه ريان تلك النظرة المُرتبكة ثم هرب بعينه بعيدًا كما حديثه.....

- لم تخبرني يومًا عن علاقتك برونا؟

- رونا هي قلبي الذي تملص من بين أضلعي ورحل، لم يكن بوسعي إخبار أحد أني رجل يحيى بلا قلب، حينها كانت جرحًا لا يمكنني تجاوزه، ونحن لا نتحدث سوى عن الأشياء التي نريد تخطيها، لكن تلك التي لا نريد تجاوزها، فلا نتكلم عنها لأحد



لأننا لا نرغب بأن تُفارقنا، لا نرغب أن يقول لنا أحد أنه يجب علينا تخطي الأمر والتخلي عنه، فلا أحد على الإطلاق قد يفهم ما نمر به، ربما يكون جرحنا غائرًا كجرحي منها، لكنه يظل منها، يحمل رائحتها، مطبوعًا بأناملها، موسومًا على أضلعي بحبها، يظل آخِر ذكرى تركتها بداخلي، ولم أكن لأقبل برحيلها عني واندثارها بروحي، حين تعشق فحتى الجرح يكون سببًا للحياة كما كان سبب لفقدها.

- تبًا يا عمي أتعشقها إلى هذا الحد؟

- لن تتسع لنا السنوات لأتحدث عن عشقي لها.

فغر ريان عينه بذهول، بينما سحب عمه نفس عميق وسحب معه آلاف الذكريات التي تتخبط بداخله لأيامهما الماضية، وعلى بُعد خطوات وخلف ذاك العمود القائم كانت رونا تحاول السيطرة على أنفاسها المتباعدة ودمعة فرت على وجنتها، فليست وحدها جرحه الذي لم يندمل، فكان خنجرًا مزروعًا بصدرها، لكن الأسوأ من كونها لا تستطيع اقتلاعه كونها من زرعته بيدها!!!

•••

عقله لا يزال غارقا بما حدث بينهما داخل قاعة الحياة، فحيلته باستدراجها حتى تأتيه قد نجحت، لكن كيف لم يستطيع اختراق عقلها! وهو زارا العظيم الذي



لم يستطع أحدا الإفلات من قبضة سحره أو الصمود أمامه؟ كيف لفتاة صغيرة أن تقف سدا أمام قوته! جلس إلى عرشه وكله غارق في التفكير **«هي ليست بتلك القوة لتستطيع الصمود! ليس السحر ما يمنعك اختراق عقلها، إنه السوار بالتأكيد! وربما كون روحها وجسدها كانا منفصلين، لهذا تأثيره على قوتك وسحرك عليها»** ظل عقله يضرب له كافة الاحتمالات حتى أعاده صوت أخزم وهو ينحني أمامه....

- مولانا سيد السديم العظيم.
- ماذا هناك؟
- هو أمر أخجل من طرحه أمام مولاي لكونه لا يستحق أن أشغل بال سيدي، لكن...
- هات ما عندك دون مقدمات.

قاطعه بحدة، فاعتدل أخزم بوقفته.....

- خبرني رُهبان المعابد في ممالك تليد وريوف وحتى دريا، إن رعية مولاي يردون أوامره بجمع الجبايات الجديدة.
- ما الذي تعنيه بكونهم يردون أوامري؟
- أخشى القول بأن التعبير الأدق هو أنهم يرفضونها يا مولاي.

اتسعت عينه حنقًا، وهو يعتدل في جلسته ويشد بقبضتيه على رأسي الصقرين بمقابض كرسيه.....



- هل تهذي أيها الكاهن؟ من يجرؤ على رفض أوامري؟

ركع أخزم وبنبرة خائرة....

- لا أحد يجرؤ.. لكن تلك الشائعات التي انتشرت بالمملكة خاصة تليد.

- أي شائعات؟

- عن عودة رونا، وعن...

صمت للحظة ازدرد ريقه، وبصوت زاد خوره....

- عن قاعة الحياة والشمعة التي اشتعلت من العدم.

انتفض زارا من مجلسه وقد اغتل وجهه وتحولت عينيه للون الأحمر الدموي، ليستطرد أخزم وقد سكن صدره الخوف الحقيقي وزاد انحنائه....

- لقد حذرت القائد من حدوث شيء كهذا.. والغريب أنه كان يعلم ببذور تلك الفتن لكنه لم يهتم لها ولم يُعرها اهتمامًا حتى تفاقمت.

- ما الذي تهذي به؟

- يبدو أن قائدنا الجسور لديه ثقة مُفرطة بقوته، وهذا جعل بعض الأمور تتسرب من بين أنامله، اعتقدها تافهة ولا تستحق الاهتمام، كالوصول لرونا والذي لم يحدث حتى الآن، وإخماد الثورات المتناثرة حول عرش سيدي

صمت أخزم لحظة رفع رأسه قليلًا، وبنظرة





الحائر....

- يبدو أن سطام يرى أن ابنة زمردة ليست تهديدًا.. وهي بالفعل كذلك فمن هي أمام مولاي زارا! لكن مولاي خير من يعلم أنه لا يجب أن نستهين بذرة من تراب قد تعلق بعرش مولاي، لكن قائدنا مشغول الذهن بما هو أهم لديه، إدارة شؤون المملكة، ومكانته داخل القصر وخارجه، بأن يُرسخ وجوده داخل السديم، حتى أنه التهى بذلك عن تنفيذ أوامر مولاي بإيجاد رونا الخطر الحقيقي الذي إن تركناه تفاقم بالخارج.

نزل عن عرشه، تقدمت خطواته وهو يُشير لأخزم بالوقوف، فوقف خلفه وبذات النبرة....

- وها قد ظهرت بوادره حين تسرب الخبر، أول من انقلب هم رعية تليد، تليد موطن الصقور التي نحاول إحكام مخالبها تحت أيدينا، موطن رونا الخارجة على عرش سيدي، تليد أهم خزائننا على الإطلاق وسر قوتنا بين الممالك، ويجب أن تظل سيطرتنا عليها وخضوعها التام لنا أمرًا محسومًا، وإن أفاقت ضدنا لن تكون العواقب مأمونة، وربما يهتز عرش مولاي.

التفت نحوه فأحنى أخزم رأسه بملامح الأسى وزفرة حزن، ليهتف زارا بحنق....



- هذا لن يحدث.

- بالتأكيد لن يحدث.. إن اهتم سطام بإخضاع الممالك بما يجعل الجميع يعلم من هو مولانا وما يقدر على فعله، وتنفيذ أوامرك بإيجاد رونا والفتاة والتوقف عن بسط نفوذه داخل مملكة سيدي.

أشار له بأن يذهب، فأومأ وانحنى له وهم متراجعًا بخطواته، وقبل أن يصل إلى الباب، أوقفه زارا...

- إنه الوقت المُناسب لكي تركع دهام.

- إنه كذلك مولاي.

أشار له فانصرف، وحين غادر أخزم القاعة اتسعت ابتسامته وزفرة ارتياحه، وأطبق يده على صدره يتحسس تلك القلادة حول عنقه، أو بالأحرى يتحسس ما بداخلها!!! سره الثمين الذي وجده بين أوراق ومخطوطات التي كانت مُلقاة بحجرة آصف القديمة بالممر السري تحت المعبد!!

•••

مع الغروب تجلس سيا وسط الفناء تنظر نحو الفراغ بحزن، تجهمت ملامحها باضطراب حين اصطدمت عينها بمعصمها ولا زالت آثار يده عليها، أرغمتها تذكر كل لحظة سيئة عاشتها في تلك الدقائق القليلة التي جمعتها به، تذْكُر عيناه المتوهجة يُثير فزعها من الداخل، أجفلتها رونا وهي تجلس بجوارها فجأة،



وضعت يدها على كتفها....

- آسفة يا حبيبتي لم أقصد إخافتك.

- لا بأس يا أمي.. أنا التي لم أنتبه لوجودك.

تبسمت لها وهي تُربت على كتفها، لتتساءل سيا بتردد....

- ألن نعود إلى البيت؟

- لم يعد بإمكاننا العودة، زارا أطلق كلابه على الأرض لتقصي أثرنا، لن نستطيع المخاطرة بأن يصل إلينا هناك، أو في أي مكان آخر.

- ألا يمكنه الوصول إلينا هنا؟

- لا أعتقد.. آصف يضع تعويذة حماية قوية، لن يستطيع أحد الوصول إلينا بسهولة، هو أفضل مكان نختبئ فيه بالوقت الحالي.

زفرت بضيق، لتحتضنها رونا ثم تركتها ودخلت، عادت لشرودها حين استردها صوته المبتسم بسخرية....

- هل ضاقت الأميرة بوجودها وسط الرعية البسطاء؟

رمته بنظرة لم يفهمها لكنه جلس إلى جوارها وبعينه نظرة اعتذار....

- تعرفين أنني كنت أمزح؟

لم ترد بشيء، صمت بضع دقائق، وقد سكنه التردد



قبل أن يُمسك بيدها، التفتت نحوه بدهشة، ودون أن يلتفت ريان نحوها....

- لن يستطيع أحد إيذاءك.. سأحرص على ذلك.

لم تُعلق بشيء ولم تسحب يدها، خامرها شعور غريب بالأمان والارتياح لوجوده بجانبها، ربما بداخلها كانت تعرف أنه لا يستطيع حمايتها حقًا، لكنه استطاع تلك اللحظة تبديد مخاوفها، في أحيان كثيرة لا نحتاج من يحمينا بل نحتاج من يحتوي خوفنا ويُشعرنا أننا لسنا وحدنا، لا يهم أن يحمينا الآخَر قدر أن يظل مُمسكا بأيدينا ونحن نسقط، ليس إحساس الأمان ما نبتغيه دوما، بل ألا نكون وحدنا ونحن بالخوف غارقين هو الأهم لدينا، وما يضعنا بأول طريق الأمان، ازدردت ريقها وهي تُغير مسار الحديث....

- ذاك السيف الذي رأيته يظهر بيدك فجأة في تلك الليلة.

- استدعاء سيفي هو أحد مهاراتي الكثيرة جدًا والتي لا تُحصى.

تبسمت لغروره....

- هل يستطيع الجميع فعلها؟ فلم أرَ الجميع يحمل سيف ليلتها.

- ليس الجميع، من اختلطت دماؤهم بدماء السحرة فقط، أو تعلموا السحر، وهذا بات شبه مستحيل



بعدما حرم زارا السحر على الرعية واختص به أناسًا محددين يختارهم بنفسه.

هزت رأسها بعدم فهم.....

- اختلطت دماؤهم بسحرة!!

- أن يكون أحد والديك ساحرًا، أو أحد أجدادك، شخص من أسلافك.

- هل يمكنني فعلها؟

ضيق ريان بين عينيه بدهشة ثم بدأت تتسع ابتسامته حتى كاد يقع أرضًا من الضحك، لتلكزه في كتفه بضيق....

- أنت أحمق.

حاولت سحبت يدها عنوة، فأحكم قبضته عليها....

- آسف لم أقصد إغضابك، كل ما في الأمر.. إن كان أحد منّا اختلطت دماؤه بالسحرة، فأنتِ حفيدة ملكات النور، أسلافك هم من علّموا السديم بأكمله السحر! ما يعني أنكِ أكثر من يمتلك سحر في الأرض وحتى السديم.

صمت قليلا ولوهلة تذكرت ملامح أمها الطفلة البريئة الجميلة، وأصابتها رعشة غريبة بداخلها، ثم انتبهت....

- مِن مَنْ ورثت السحر بدمائك؟

- أمي كانت إحدى بنات دهام.



- أيفترض بي أن أفهم شيئًا!

مسح بين عينيه....

- إن دهام هي مملكة السحر الأسود في السديم، معظم سكانها إن لم يكن جميعهم يعرفون تقاليد السحر الأسود.

- كونه أسود يعني أنه شيء سيئ؟

هز رأسه إيجابًا، لتهز رأسها بحيرة....

- أيجب أن أخاف منك؟

- أتعتقدين ذلك؟

تساءل بمشاكسة، لتتنهد بكمد.....

- لا أعرف.. صدقني لم أعد أعرف شيئًا، حتى إنني كثيرًا ما أشعر أن كل هذا ما هو إلا حلم، ولأكون أكثر دقة هو كابوس مُريع.

- ستعتادين الأمر.

أمعنت النظر بعينه بدهشة....

- تتحدث وكأنه شيء يسهل اعتياده!!

- ليس هناك شيء سهل أو شيء صعب، هناك شيء اعتدنا عليه وشيء لم نعتده بعد، وحين يصير كلاهما اعتيادًا يصبح لدينا ما نُسميه تعايشًا وتوائمًا مع الحياة، حتى المستحيل يصير طبيعيًا.

- أعتقد أن هذا شيء مخيف.

- لنقل فقط إنها الحياة في ثوبها التقليدي والمعتاد..



سوف تعتادين عليها، جميعنا فعل بالماضي والحاضر والمستقبل، الجميع يعتاد في النهاية.

رماها بابتسامة عابرة وتنهيدةٍ وَشث بالكثير من الضيق الذي يوغر صدره، والأكثر مما يُغلق عليه ضلوعه بإحكام، صمتَ وغُلقتْ عينه بالسّماء وهو يضغط يدها بمودة، سحبها ودون أن يلتفت نحوها لثَم باطن كفها بقبلة طويلة، تعلقت عيناها به قليلًا وشردت بفعله وهذا القرب بينهما، شيء لم تشعر به تجاه أحد، شعور غريب بكونها تريده قريبًا منها، لكن شرودها بما قاله كان له النصيب الأكبر من روحها، كم هو مخيفٌ أن يُصبح كل هذا اعتياديًّا! أيمكننا أن نعتاد الخوفَ والألمَ وشعورَ الضياع! أيمكننا أن نألف الوجعَ والهروبَ وسفكَ الدماء! تباعدت أنفاسها لمجرد التفكير في الأمر، نحت عينها عنه وتركتها تُحلق خلفه في السماء كما روحها وأفكارها المُشتتة هناك.

•••



السادس

النبوءة المشؤومة!!



ظلت سيا تنقل عينيها بينهما تنتظر أن تأتيها إجابة! وآصف على صمته يتناقل هو ورونا النظرات، كلاهما يعرف أن لا مهرب لهما من أسئلتها ولا حصارها المستمر بعد الآن، فما عاد الصمت يروي ظمأ عقلها الذي أُلقي وسط جحيم المجهول والخوف دفعة واحدة، لتعاود وهي تنظر إلى رونا.....

- ماذا عن أبي؟ أنتِ لم تخبريني من هو؟ وكيف مات؟

- والدك.. لا أعرف إن كان ميتًا أو لا زال حيًّا.

«ماذا!» صُعقت لما سمعته، أيمكن أن يكون والدها لا يزال على قيد الحياة....

- أنتِ أخبرتني أنه...

- أعرف ما أخبرتك به، لم يكن أمامي سبيل آخَر كي تكُفِّي عن الأسئلة حينها.

قاطعتها رونا باضطراب مُتزايد، فكم كانت تخشى تلك المواجهة منذ سنوات، وتمنت لو أنها لم تأتِ، اعتدلت في مجلسها وهي تُمسك يدها....

- حين وصلنا إلى الأرض تفرقنا، لم يكن في مصلحة زمردة أن تُرى مع أيٍّ منَّا، كان رجال زارا يسعون خلفي، فوضعتها في إحدى المدارس الداخلية وظلتْ تحت رعايتي دون أن أقترب منها، حتى كبرت وقابلت والدك حاولت منعها لكنها كانت



عنيدة وتزوجته، أخبرته أنِّي أختُها، وهربت منه بعد أن علمت بحملها بك، أتت إليَّ فتركْنا كل شيء خلفنا واختفينا، الأمر كان مُعقدًا وما كان لوالدك أن يفهم ما هو على المحك، ولا يستطيع حمايتك أو حماية نفسه إن وصلوا إليكِ، ابتعدنا عنه لحمايتكما.

صمتت قليلًا، رفعت القليل من خصلاتها وهي تنظر في عين سيا الدامعة.

- لم أستطع المكوث بك في مكان واحد، هذا كان سيسهل اقتفاء أثرنا، فرغم أن زارا حصل على أمِّك إلا إن الباب لم يُفتح، وهذا جعله لا يكف عن اصطياد الجميع، لم يكن يعرف بوجودك تحديدًا، لكنه كان يعرف بأن أحد دماء النور لا زال بعيدًا عن قبضته، ونواه لم يتوقف عن البحث عنّا.

اضطرب صوت سيا المختنق بالدموع.....

- لذلك أتى تلك الليلة إلى الحفل يسعى خلفي؟ من ماتوا هناك ماتوا بسببي؟

- كلا.. كلا..

مسحت رونا دموعها المتساقطة وهي تهز رأسها نفيًا بقطعية....

- ليس أنتِ.. هو لم يأتِ خلفك، إن كان يعرف من أنتِ ما ترك أحد يقترب منك، هو جاء لأجل



الهجين.

- ماذا؟ من؟

تساءلت بعين ملؤها الدموع والدهشة، وتُميل رأسها بعدم فهم، لتزفر رونا....

- هذا يتطلب شرحًا كثيرًا.

- لدينا كل الوقت يا أمي فلن يذهب أحد إلى أي مكان.

اعتدلت بجلستها وعقدت ساعديها بعد أن جففت دموعها، واحتدت ملامحها فلن تقبل بمزيد من الأسرار، ليرد آصف تلك المرة....

- دعيني أشرح أنا لكِ فقد تعبث رونا، غير أنا هذا تخصصي فلتعتبريني ما يُشبه مُعلم التاريخ والجغرافيا في عالمنا، لنقُل أن هذا الكون فيه عدة عوالم خلقها الله، كل عالم منها يعتقد أنه العالم الوحيد حتى يستطيع النفاذ لغيره، وهذا ما حدث، استطعنا النفاذ لعدة عوالم منها الأرض، وقد استطعنا فتح بواباتٍ إليها، وهؤلاء الذين يأتون إلى تلك العوالم يسمون لدينا بالطرائد.

- طرائد!!

- نعم الذين تم طردهم من عالم السديم، ومن هنا جاء اسمهم، مطرودون ومطاردون فباتوا طرائد.

- هذا يعني أنهم لا يأتون في بعثات استكشافية أو



شيء من هذا القبيل.

أومأ نفيًا، لتتساءل بدهشة....

- ولماذا يتم طردهم؟

- لارتكابهم جرائمَ يُعاقب عليها قانونًا، فعلى السديم ليس هناك عقوبة الإعدام، أو حتى سجون بالمعنى المعروف، هي بعض الغرف الخاصة داخل المعابد المُتفرقة حول الممالك لهؤلاء الذين يرتكبون أخطاء بسيطة تستحق عقاب بسيط، لكن هؤلاء الذين يرتكبون أخطاء كبيرة يتم نفيهم إلى خارج عالمنا.

- تلك العوالم هي سجونكم!! تعني أن الأرض هي سجن لكم!!

كاد قلب سيا يقف من الذهول، ليرفع آصف حاجبه....

- الأرض منفى وليست سجن.

- وما الفارق؟

أمالت رأسها بسخرية حانقة، ليؤكد بمرارة تملأ نبرته....

- السجن يمكنك مغادرته مهما طالت فترة بقائك فيه في النهاية تعودين إلى الوطن، حتى إن متّ داخله يدفنون رُفاتك في وطنك، لكن المنفى يصير الوطن حيث لا وطن.. فلا يمكنك العودة أبدًا، حتى



روحك بعد موتها تظل مطرودة خارجه.

صمتت لحظات، ازدردت ريقها....

- أليس المنفى لمن يرتكبون جرائم سياسية؟

- شيء من هذا القبيل، داخل السديم الجميع يخضع لسلطة المعبد والعرش ومن يتجرأ على أيٍّ منها يتم نفيه إلى الأرض أو غيره من العوالم أو الأسوأ.. إلى عالم الروشم.

- عفوًا!!

- هو أحد العوالم التي ولجنا إليها.

- أيشبه الأرض؟

- بل الجحيم

اضطربت أنفاسها وشحب لونها، ليستطرد....

- هو عالم الموتى الأحياء، الذين ماتت قلوبهم وهي مطرودة من السديم فليس لها مكان تأوي إليه أرواحهم، ولا يهم بأي عالم ماتوا فإنها تنتقل من أي عالم إلى الروشم، تُحبس أرواحهم بداخله لتظل هائمة في أرض الوعد بالضياع لكل من مات خارج عالمه، فحين تموتين خارج وطنك تضل روحك! وتُحبس فيه لا هي ميتة ولا هي حية، فقط ضائعة في العدم.

ارتجفت أنفاسها كما أطرافها، ليُعاود بذات النظرة الجامدة....



- يشبهون الأطياف، حين ترينها تعتقدين أنهم بشر عاديّون، لكن حين تلمسينهم تجدين نفسك تُعانقين الفراغ، وجميعهم موشمون براحة أيديهم لذلك سُمي بعالم الروشم أو الموشمين.

- فهم ليسوا أمواتًا وليسوا أحياءً!!

- هو عالم لا تودين الذهاب إليه لا حيّة... ولا ميتة... فلا يُمكنكِ إلحاق الضرر بهم، لكن يمكنهم القضاء عليكِ.

بدت نبرته مُخيفة لها تلك اللحظة، فزاد تجهم وجهها وكسته صُفرة الخوف والألم، وارتجفت يدها في يد رونا لتهتف الأخيرة بضيق...

- هذا يكفي يا آصف.. لنعد إلى الهجين.. وهم أبناء الطرائد غير الأنقياء.

انتبهت سيا على صوتها، ازدردت ريقها حاولت تصنع السيطرة على نفسها، لتستطرد رونا....

- إذا تزوج أحد من بني السديم من بني جنسه فإنهم ينجبون أبناءً أنقياء الدم، لكن إن تزوج من العالم الذي تم نفيه إليه، فإنه ينجب أبناءً مختلطين، يُطلق عليهم الهجين، فهم خليط من كلا الجنسين.

- ونواه كان هنا لقتل هؤلاء الهجين!

زادت الدهشة بوجهها، فأومأت رونا إيجابًا، لتستطرد....



- لا أفهم لماذا يريد زارا هذا قتل مجموعة من المُراهقين! أي خطر ستسببه مجموعة من الصبية مطردون خارج عالمه؟

- للحق ليس زارا من ابتدع قانون قتل الهجين، هو فقط يخطو على الدرب، يُنفذ قانون من سبقوه!

خرج صوت آصف رخيمًا قويًا، أثار براكين الدهشة وعدم الاستيعاب داخلها، لتُحاول رونا من جديد إسكاته....

- توقف الآن.. فلا شأن لها بهذا.

حاولت سيا السيطرة على أنفاسها وهي تسأله بعينها قبل لسانها...

- ماذا تعني؟ ألم يكن كلُّ شيء جيّدًا حتى جاء زارا واستولى على العرش؟!

- كلمة جيّد هنا تتوقف على أي زاوية ترين منها الأمر.. كونك إحدى أميرات النور، أم كونك الفتاة الهجينة المُشردة بين العوالم؟

- آصف توقف.

- توقفي أنتِ أمي.

صرخت في وجه رونا، ولم تنتظر ردًا نظرت نحو آصف، لتُحثه أن يُكمل..

- بعد أن قضت راهبات النور على حروب الظلام واستطعنا بَسْط السلام ونفوذهن داخل السديم،



خرجت نبوءة ضد حكمهن بأن أحد الهجين الذي سيُولد في عالم بعيد، سيستولي على عرش السديم ويقضي على حكمهن، ويحكم الممالك بقبضة من حديد ويُجري الدماء أنهارًا، فأصبح يتم قتل الهجين لكن بشكل خفي، كن يُرسلن كتيبة من أكثر محاربي المعبد إخلاصًا لهن للتخلص من كل هجين يُولد سرًا، وقتل بعض المُعارضين من أصحاب الصوت القوي الذين تم نفيهم أمام الجميع، لكن التخلص منهم نهائيًا يكون أفضل تحسبًا لأي شيء قد يحدث مستقبلًا، والأهم تحسبًا لأن يكون الهجين المُرتقب من نسلهم، وأيضًا خفية، فتبدو كحوادث فلا يجب أن يعرف أحد بأنه يتم اغتيال كل من يقف أمام سلطة العرش والمعبد!

صمت لحظات يسترد أنفاسه، لتُغمض رونا عينها بضيق، ليسترسل..

- حتى جاءت جدتك الكبرى سيسيليا وكانت الأقوى بين الجميع لا تخشى شيئًا، فسنت قانونًا صريحًا يقضي بقتل الهجين في كل العوالم قبل أن يتموا عامهم الحادي والعشرين، حتى تضمن ألا يأتي أحد ويُزلزل عرشها، وأجمع مجلس الحكماء على أهمية قرارها لصالح أمن المملكة بالطبع.



أغمضت سيا عينها لا تُصدق ما تسمعه، ثم نظرت نحو رونا وهي تتلعثم.

- هل ما يقوله صحيح؟

- فعلوا ما كان ضروريًا لحماية السديم.

- ماذا!!

- بعض القرارات تكون صعبة لكنها تكون لصالح المملكة.

- المملكة أم العرش!! عرشها الذي جلست إليه ولم ترغب في أن تغادره؟

صرخت في وجه رونا وهي تنتفض واقفة، فوقفتا مُتقابلتين....

- أيموت كل هؤلاء الشباب والأطفال لأجل نبوءة! مجرد نبوءة قد تصدق وقد تكذب! نبوءة قد لا تتحقق يومًا!!

- كن يرغبن بالحفاظ على المملكة وعلى الأمان فيها.

- تبًّا.. من أخبركم أن دماء الأبرياء تجلب أمانًا أو تُقيم عدلًا وتُقر سلامًا! ربما هي تحافظ لهم على عروشهم، على سلطانهم وحكمهم، لكن أن تُحافظ على أمان الرعية والشعوب فهذا خارج حساباتهم.

راح آصف يضحك بسخرية ودموع سيا تختنق بين جفنيها وصوتها، وهي تنظر نحوه ببلاهة لا تفهم سر ضحكه الهستيري، كما رونا.....



- لو تعلمين كم أرغب الآن برؤية سيسيليا.. ربما تمنيت ليالٍ وليالٍ لقاءها في أحلامي، لكن الآن أدفع كل ما أمتلك لأنظر إليها حين تعلم أن القانون الذي سنته لتتخلص من أعداء عرشها، وقتلت تحت رايته المئات وربما الآلاف من الأبرياء يُطبق اليوم على حفيدتها، أرى وجهها وهي تسخط على أصحاب الدماء الهجينة وتعتبرهم وصمة عار ولعنة مشؤومة على السديم وخطيئة لا تُغتفر لمن لوث نقاء سلالته، وأراه حين تعلم أن حفيدتها هجين ملوثة الدماء! وأن الهجين الذي سيقضي على عرشها ويجري الدماء أنهارًا ويقلب السديم جحيمًا من نسلها ويحمل دماءها.

لتتصنم عين كلتاهما ببعض، تلعثمت رونا....

- ما الذي تهذي به؟

انتفض واقفًا كالممسوس....

- تبًّا لك رونا أنتِ لم تفهمي بعد! لقد فهمها آصف العجوز منذ لحظة ولادتها، منذ واحد وعشرين عامًا، تلك هي من أُطلقت لها النبوءة! الهجين الذي سيحول الممالك إلى أتون مُستعر، ويهدم عرش السديم وينهي حكم النور.

- أنت فقدت عقلك.

- أنصتي رونا.. أنصتي.. أتسمعين صوته؟



- من!!
- القدر!! أتسمعين ضحكاته المُتعالية وسخريته وهو ويضحك بملء فمه وينظر إليها على الجهة الأخرى، وهي ترى القانون الذي وضعته بيدها وأخلصت في تنفيذه، هو ذاته القانون الذي سيقضي على آخِر نسلها، فيا له من ماكر يا رونا، يتلاعب بالمخططات والأحداث كيفما شاء، فجاء بمن دمائهم لتقضي على مُلكهم.

توقفت حُدقتي رونا بموضعهم، لا تكاد تُصدق ما يهذي به، رغم أن كل شيء إن وُضع بترتيبه الصحيح يجعل كل ما يقوله حقيقة، حقيقة حد الجنون، ليُمسك بسيا من ذراعيها وهي لا زالت مبهوتة في مكانها....

- أنتِ هي النبوءة التي حاربتها سيسيليا بكل قوتها، وأنتِ هي اللعنة التي أطلقتها زُهانا، أنتِ هي الهجين المنتظرة التي قُتل للحيلولة بينها وبين عرش السديم آلاف الأبرياء.

تراجعت سيا للخلف خطوتين وقد بدأ جسدها في الارتعاش، لتتقدم نحوه رونا وهي تصرخ به....

- أنت تهذي... توقف عن ذلك الآن.

ليزداد هياجه وهو يتخطى رونا بعينه نحو سيا....

- أتعتقدين إن كانت سيسيليا هنا الآن كانت لتصفق للقدر وتنحني له تقديرًا كما أفعل أنا على حيلته



الماكرة، أم كانت ستسحب خنجرها الموشى بالذهب وتطعن به حفيدتها بقلبها، آخِر دمائها، وآخِر ما تبقى من نسلها، كما فعلت بالآلاف غيرها كونها ملوثة الدماء ونبوءتهم المشؤومة!

- اخرس يا آصف.. اخرس.

صرخت رونا بصوت زلزل الأرض من حولهم وهي تدفعه بعيدا، دخل الآخرون مفزوعين، وتبادل الجميع النظرات المشدوه للحظة، لتركض سيا خارجًا وهي تلهث وتلهث ليس من الجري بل من الخوف والفزع، وللحظة تراءت لها الدماء تُغطي يديها، واجتاحها حلمها السابق حين كانت فوق طاولة الشمس بقاعة روسيل، والدماء تُقطر من يدها!!

•••

مر يومان في صمت، لا تتحدث مع أحد، حاولت دلين كثيرًا لكنها دومًا تصُدها، تشعر ببراكين تضرب داخلها من الغضب والخوف واليأس، ثُقل كبير يجثم فوق صدرها وكاهلها لا تستطيع التخلص منه، ترى نفسها في أحلامها كل ليلة والدماء عالقة بيديها وآلاف الحبال مُلتفة حول رقبتها جميعها نهايتها بأيادي أطفال صغار يريدون الثأر منها!

استعادتها خطوات وقفت أمامها، رفعت رأسها على مهل لتجد رحيل أمامها عاقدة ساعديها ونظرة غاضبة



ترتسم على ملامحها....

- أنتِ وأسلافك من قتلوا أختي.

لم تُجب بشيء حاولت ابتلاع ريقها، لتعتدل رحيل في وقفتها....

- أختي تم اصطيادها على يد قتلة المعبد لأنها هجين ملعونة.

- أنا آسفة.

تلعثمت سيا في كل حرف فيها وعينها مغرورقه بالدموع، ليزداد غضب رحيل....

- أنت حمقاء من دماء حمقاء لا أهمية لك، ولا تستحقين كل الدماء التي أُريقت لأجل أن تظل مثلك على قيد الحياة.

- هذا يكفي.

قاطعها آصف بنبرة حادة، ساد الصمت لثوانٍ قبل أن ترميها رحيل بنظرة ساخطة وتذهب، جلس هو بجوارها، ليزداد اختناق صوتها المُتألم.

- هي مُحقة... جميعهم ماتوا بسببي.

- كلا ليس لك شأن.. ليس خطأك.

- خطأ من إذًا؟

لم يُجب بشيء، فتبسمت بسخرية....

- إن كان يقع على عاتق أسلافي فهو خطأي كوني أنتمي إليهن، وإن كنت أنا النبوءة الملعونة التي



أُريقت لأجل إيقافها كل تلك الدماء فهو أيضًا خطأي.

- كلا.. أخطاؤنا هي ما ترتكبها أيدينا نحن وليس أيدي الآخرين.

- لا أريد هذا العرش.. لا أريد أن أكون جزءًا من تلك اللعنة المشؤومة وشلال الدماء الذي لا يكف عن الجريان لأجل شيء لن يدوم لأحد.

تنهد وهو يُربت على كتفها....

- ليتها كانت بما نُريده لكان كل شيء في الحياة أسهل، لكن للقدر حسابات أخرى.

- أتعني أنني مُرغمة على السير في هذا الطريق حتى لو لم أرغب فيه؟

- الأمر لا يسير على هذا النحو.. القدر يرسم لنا المسار، لكنه لا يُجبرنا على كيفية السير، يختار الطريق ولا يختار عنا الطريقة التي نتخذها للوصول، يمكنك أن تسيري ببطء، ويمكنك أن تركضي، يمكنك تحطيم العقبات ويمكنك الوقوف أمامها، لنقل إن الحياة هي تركيبة كيميائية، القدر يضعك داخل المعمل، أمامك كل المكونات والعناصر، وأنت وحدك من يختار ويخلط المكونات كيف يشاء، يمكنك خلطها بالمقادير الصحيحة أو يمكنك إفسادها، هو لن يُجبرك على اختيار مُحدد،



هو فقط يُدخلك إلى المعمل ويُوقفك أمام الطاولة ويترك لك القيام بالعمل الشاق، وحدك من سيقوم به وليس هو.

- لا أريد أن أصير مثلهم يا آصف.. جميعهم قتلة، فزارا لا يختلف عنهن الكثير، جميعهم يسفكون الدماء لأجل عروشهم وسلطانهم.

ربت على كتفها وهو يهم واقفًا....

- وحدها قراراتنا من تُحدد حقيقتنا، وحدك من يختار كيف يكون المسير، ليس لعنة زُهانا ولا نبوءة سيسيليا.. وحدها سيا من ستحفر طريقها وتحمل وزرها، لن يحمله عنك أحد، أنت وحدك من ستلوث يدها أو تُبقيها نظيفة.

تركها وراحت تتهادى خطواته وأنامله تُداعب صفًّا من زهور برية نمت حول سوره، لتختنق الدموع بعينها أكثر وأكثر لا تستطيع إطلاقها وإطلاق كل ما يُوغر صدرها من كمد لم تعد تتحمل معه كل تلك الهزات العنيفة بداخلها، فكل واحدة باتت أشد من سابقتها، حقيقتها التي عصفت بكل ماضيها، وحولت أحلامها إلى أسوأ كوابيس تُطاردها! قتل أمها ولعنة دمائها وعائلتها المغدورة، والآن لعنة أخطائهم ودماء الأبرياء العالقة بهم، فما عادت تعرف هل زارا هو الوحش الحقيقي الذي أتى لسلب عائلتها حقها ودماءها؟ أم أنه



مجرد وجه آخَر لنفس العملة!! جميعهم قتلة مهما اختلفت المسميات والتبريرات!

حاولت رونا التبرير كثيرًا بأن ما فعلوه قد فعلوه تحت وطأة الحفاظ على السلام وتجنيب الجميع أنهارًا من الدماء! اتخذوا القرار الصعب لاتقاء نبوءة إن تحققت أهلكت الجميع، تضحية أعلنوها وأقرها الكهنة ومجلس الحكماء! فإن كانت آثمة لرفضها رجال الدين والحكمة والرأي!! لكن بداخلها تعرف أن ما من شيء في الوجود قد يُبرر سفك دماء الأبرياء! كيف لهم قتل كل هؤلاء خوفًا من نبوءة قد لا تحدث! وأي دين أو حكمة ورأي يُبرر القتل دون وجه حق!! أغمضت عينها وضعت رأسها بين كفيها وأجهشت بالبكاء بألم يجتاح كل ذرة بداخلها، فلم تعد تعرف ما الذي يجب أن تُصدقه! ولا بأي طريق يجب أن تسيرا تتخبط بين الجميع، وتبحث عن نفسها ولا تجدها!

•••

انتفضوا بالمساء التالي على أصوات عالية تدخل إلى مخزن آصف، وقفت رونا وقد استدعت سيفها، امتزجت الدهشة والقلق بالخوف بصدرها، لتهدأ قليلًا حين دخل تيام ومن خلفه عدد من الطرائد، والذي يبدو عليهم الذعر والكمد، ليتساءل آصف بحيرة.....

- ما الذي يحدث يا تيام؟



- زارا أرسل قتلة المعبد، يفتشون خلف رونا والفتاة، وقد قتلوا كل من وجدوه بطريقهم.

ازداد وجه سيا شحوبًا، وتمكن الاضطراب من صدرها وهي تُمسك بكتف رونا من الخلف، اقترب ريان منها يُمسك يدها، حين هتف أحدهم..

- كانوا يقتلون الهجين في السابق أو من يعترض طريقهم، أما الآن فإنهم يقتلون الجميع، كل من يُقابلهم... هم يريدونها.

أشار نحو سيا، لتقف رونا أمامه تمامًا وتلك النظرة الغاضبة تكسو وجهه، ليُكمل آخر....

- لم نر على يدك ويد أسلافك سوى الدمار، طُردنا من عالمنا على أيديهم، والآن كل هذا الخراب بسببك.

- كل ما يحدث لكم هو بسببكم، طُردتم لجرائمكم، كل فرد منكم اقترف خطأ في حق نفسه ومملكته استحق عليه ما يحدث له.

صاحت رونا بحنق اجتاحها، ثم تقدمت خطوة....

- ولا يهم إن كنتم هنا أو هناك فجميعنا في الجحيم الآن، وذلك ليس بسببها بل بسبب خيانة من هم أمثالكم، وزارا هو لعنتكم وليس هي.

كانت النيران تشتعل بين العيون، تقدم آصف خطوة....



- لماذا لا تأخذهم إلى الأسفل يا تيام كي يرتاحوا، لحين إرسالهم إلى مكان آمن.

تحرك الجميع من موضعه بعد تلك النظرات الحانقة من رونا وسيفها الذي أحكمته بيدها، ونزلت معهم الفتاتان أيضًا، جلست سيا دون كلمة، ورونا أمامها....

- هم فقط حمقى خائفون.

- أريد العودة إلى منزلنا.

راحت تُمسد رونا على رأسها، وجسدها بدأ بالارتعاش.....

- أرجوكِ يا أمي أعيديني إلى البيت، كل هذا حلم أيقظيني منه.. أرجوكِ.

- اهدأي يا حبيبتي، ليس لك شأن بأي من هذا، سيسيليا قامت بما تحتم عليها لحماية عرشها ومملكتها ورعيتها، وأنت لا شأن لك بموت أحد، وسوف يتغير كل هذا، سوف تُصلحين الأمر، حين نسترد عرشك سُنغيّر كل شيء.

لم تُجب بشيء ظلت في حضنها لكن شعورًا قويًا بالرهبة والفزع استولى عليها وكلمة **«عرشك»** تتردد بأذنها، لتسترسل رونا....

- نحتاج للبدء بعقد تحالفات مع الطرائد من الممالك القوية.

توقفت فجأة ورفعت رأسها عن حضنها...



- كلا، لا أريد أيًا من هذا، أريد الذهاب إلى أبي.
- ماذا!!
- هو ليس عرشي، وأنا لا أريده، سوف أذهب إلى أبي وأختفي من حياة الجميع.
- ما الذي تقولينه؟
- أنا لن أحمل دماء أحد آخَر فوق أكتافي.
- لا شأن لكـــ
- ربما من ماتوا بالماضي لا شأن لي بهم، لكن من ماتوا اليوم وهم يبحثون عني؟ ومن سيموتون غدًا وبعد غد؟ كم من الدماء ستُراق في سبيل وصولي إلى العرش؟؟

صرخت سيا بغضب محتدم بوجهها وأنفاسها، لتصمت رونا، فاسترسلت بذات الهيئة....

- على عاتق من ستقع تلك الدماء يا أمي!! على كاهلي وحدي، وهذا لن يحدث، إذا ابتعدت عن هنا لن يجد زارا سبيلًا إلا أن يتوقف.

هز ريان رأسه بدهشة «سوف يجدك» فعقدت ساعديها....

- حينها سيقتلني وحدي، ولن يموت أحد مجددًا بسببي.

فامتعض بنبرة ساخرة.....

- أتعتقدين أنه إن وجدك ستموتين وحدك يا



حمقاء؟! حينها جميعًا سنكون قتلى شئنا أم أبينا، ربما أنتِ لا تحملين دماء أحد بالسابق لكن إن أمسك بك زارا فدماء الجميع ستكون بيدك وحدك.

رمته تلك النظرة غير المُصدقة لما يقول، حين وقفت رونا بينهما....

- اتركها يا ريان، السوار سوف يحميها، ربما هذا سيكون أفضل للجميع.

دُهش لما قالته، التفتت نحوها.....

- سوف أجد طريق والدك وحينها يُمكنك الذهاب إليه.

لم تفه بشيء ولم يكن ريان راضيًا عما حدث، غادر كلاهما، جلست رونا صامته، ليتنهد آصف بأسى.....

- أنتِ تخافين عليها، تعتقدين أن رحيلها بعيدًا سوف يحميها، أنتِ خائفة من الطرائد أكثر من خوفك من زارا، تريدين إبعادها عن الجميع، تخشين أن يؤذوها لغضبهم على ملكات النور.

- ربما يكون هو الحل الأفضل يا آصف وأُجنبها مصيرًا كلانا يعرف أنّه...

صمتت وابتلعت حروفها، جلس بجانبها، ضمها إلى صدره يُشفق على حالها وعلى قلبها الذي تعلق بها ويخشى عليها من كل شيء، لكنه مثلها يعرف أن تكون وحدها، هو أقرب إلى دخولها الفخ بقدميها!!!!!



•••

في المساء التالي جلس ريان وعينه مُعلقة بالسماء، يعبث بعصا في يده يرسم أشكال مُتقاطعة على الأرض، حين جلست سيا بجواره، تبسمت له فلم يقل شيئًا، لتتساءل بعدم مُبالاة....

- هل أنت ورحيل...

صمتت فالتفت نحوها دون فهم، لتلتقط عصا أخرى....

- أقصد بينكما شيء، أي شيء؟

«كلا» قاطعها بحدة ثم عاود النظر بالجهة الأخرى، فهزت رأسها...

- لا زلت غاضبًا مني؟

لم يُجب بشيء فزفرة ساخطة كانت كافية لتعرف الإجابة، اعتدلت وهي تتربع ووجهها مُقابل لوجه....

- دلين خبرتني أنك أنت أيضًا من الهجين، رغم أنك أخبرتني أن والديك من السديم فكيف يكون هذا؟

لم يُجب، فهمت للوقوف، فأمسك يدها يُبقيها، تنهد....

- أبي من تليد وأمي من دهام.

- إذًا فأنت نقي الدماء!

- ليس بحسب قوانين السديم.

- لا أفهم.



- لا يتزوج أبناء المملكة إلا من مملكتهم أو لنقل من الممالك الثلاثة المجاورة لها، لكن من المحرمات بشكل غير مُعلن طبعًا أن يتزوج أي منهم بشخص من دهام تحديدًا.

حركت رأسها بعدم فهم، فاستطرد....

- لأنهم مملكة السحر الأسود والجميع يخشاهم بشكل أو بآخر.

- وتزوجها والدك وهي منهم وهذا مُحرم؟!

- إنَّه الحُبُّ يجعلنا نفعل كل شيء وأي شيء.

عينه غارقة بعينها، لتبتلع ريقها وهي تحاول الهروب منه....

- أعتقد أن الحب هو الكلمة السحرية التي لا تجعل أي شيء شاذًا أو خارجَ محيطه، ويصبح معها كل شيء منطقي ومتوافق تمامًا مع ما حوله حتى أنه يبدو مألوفًا للعين والعقل، وإن رآه الجميع غير ذلك.

- هو كذلك بالفعل.

سحبت يدها وهي تحاول تغيير مجرى الحديث بينهما....

- البعض منكم يقول الممالك الخمس والبعض يقول بأنها ست؟!

تبسم لهروبها من قُربهما، لكنه جاراها....



- هم بالحقيقة خمس، حدث ما يُشبه زلزالا وتحولًا جغرافيًا فانفصل جزء من مملكة ريوف لا يتعدى خُمس مساحتها وكون جزيرة صغيرة، بدأ ينتقل إليه المُشردون وغير المُرحب بهم بين الممالك الأخرى لسوءٍ في خُلقهم أو مُعاملتهم مع الآخرين، وبمرور الوقت اتخذوها لنفسهم مملكة وأعلنوا استقلالها وأحقيتهم في الاعتراف بها، وبعد الكثير من الوقت والمفاوضات والاجتماعات وحتى بعض الغارات التي قاموا بها، أعلنتها ريوف مملكة وسُميت الغيمة الحمراء، واتخذت من العين شعارًا لها، وكان هذا أسوأ ما حدث لعالمنا.

«كيف!!» كان كلها مأخوذًا بما يقصه عليها، فزفر بضيق....

- دفع ملكات النور إلى الاضطرار بإعلانها مملكة سادسة، وصار لهم حق في جيش وفي تعلم السحر والدخول إلى المعابد، والتجارة وأصبح لهم قدم في كل شيء وداخل كل مملكة حتى وصلوا إلى قصر روسيل.
- وما السيئ في هذا؟
- السيئ في هذا أن أول من دخل معابدنا لتعلم السحر منهم ووصل إلى مرتبة كاهن على يد ملكات النور هو... زارا.



أومأت تفهما، ليستطرد...

- لذلك جميعنا لا يعترف بها مملكة سادسة، رغم كل محاولاته ليضعها عنوة في كل تاريخ السديم، لكن البعض يعتبرها أمرًا واقعًا ومفروضًا شئنا أم أبينا.

- وأنت؟

- السديم خمس ممالك فقط.. لا تُصدقي الشائعات يا صغيرة.

تبسمت من رفعة حاجبه ونظرته الصارمة، لتُعاود سؤاله....

- كيف يمكنك اختراق أحد؟ أعني قراءة عقله؟

دُهش لسؤالها، لكنه أجابها.....

- إن كان من البشر العاديين فلن يكون شيئًا صعبًا يكفي أن تصافحيه وأنتِ تركزين على أفكاره، حينها كل شيء سيسير بسهولة، لنقل أن الأمر أشبه بموجات دماغية تنشط عند الملامسة، تجعلك بشكل ما جزءًا متصلًا به، فيمكنك بطريقة خاطفة من قراءة ومضات من عقله تلك اللحظة، لا نقرأ الماضي ولا المستقبل فقط ما يُفكر فيه تلك اللحظة.

- وإن لم يكن من البشر الأرضيين؟

- هذا يتوقف على من هو، إن كان فردًا عاديًا من أفراد السديم فلن يُشكل فارقًا، ستحتاجين قوة



تركيز أعلى ومُصافحة طويلة، أما إذا كان يمتلك دماءً خاصة فسوف تحتاجين لمهارة أعلى في اختراق عقله، تعويذة القراءة ستكون كافية.

- تعني يحمل دماء سحرة؟

- بالضبط.. وكذلك لا يستطيع أي شخص الاختراق لا بد وأن يحمل دماء سحرة، أو تعلم السحر.

- يمكننا قراءة أي أحد؟

- أي كائن كان، لكن البعض نقرؤهم بسهولة والبعض بعناء، والبعض مثل آصف لا يمكنك اختراقه مهما حاولت.

- لماذا؟

- آصف كاهن مُتمرس ولو كان ظل في السديم كان ليصير أحد أعضاء مجلس الحكماء الأعلى الآن، ولديه من التعاويذ وكتب السحر ما يجعله سدًا منيعًا.

- آصف دخل عقلي دون ملامستي.

- الحقيقة الأمر هنا يكون معكوسًا هو من يُدخلك أنتِ إلى عقله.

رفعت حاجبيها بعدم فهم، فاعتدل ريان وتربع مُقابلها، وقد راق له دور المعلم ما دام يستطيع إثارة فضولها....

- هي تعويذة الجذب يُلقيها عليك ليجذب كامل



تركيزك وانتباهك إليه، وبعدها يُدخلك إلى عقله هو، هي طريقة صعبة ولا يُجيدها إلا البعض، هنا على الأرض لا يُجيدها إلا القليلون مثل آصف، وحتى السديم لن تجدي الكثيرين يستطيعون فعلها، تأتي بعد مُمارسة طويلة، فيبدأ عقله بإرسال موجات خاصة يلتقطها عقلك ويُترجمها إلى صوت، ويتلقى الإجابة بنفس الطريقة، لكنه لا يستطيع اختراقك وقراءة أفكارك دون ملامستك.

صمت قليلًا وهو يهز رأسه ويتصنع غروره....

- هو شيء صعب كثيرًا لن تُجيدي فعله إلا بعد كثير من التمارين أتذكر أنني لم أُجِدْ فعلها إلا بعد سنة كاملة من التدريب.

تبسمت من طريقته، شردت قليلًا، حين استردها وهو يُمسك يدها «**ماذا؟**».

- لا شيء.
- هناك شيء يدور في عقلك؟
- هل قرأته؟
- بعض الاختلاجات لا تحتاج إلى قراءة كي تُفهم.

هزت رأسها إيجابًا بأن هناك شيئًا، فتساءلت عينه، سحبت يدها من يده.

- يمكنني قراءة أفكارك دون أن ألمسك.

حرك رأسه بعدم فهم، لتسترسل وهي تمسح بين



عينيها....

- جميعكم يُؤكد أنه لابد أن تمس الشخص الآخَر كي تستطيع قراءة أفكاره.

أومأ تأكيدًا، دمعت عيناها واختلجت نبرتها بوجع....

- فماذا لو أخبرتك أنني أستطيع قراءة ما بداخل كل منكم دون أن أقترب منه.

لم يرد بشيء، لتسترسل ودموعها تُبلل وجنتها....

- إنه لشيء مؤلم أن تقرأ خوفهم منك، أن تقرأ كرههم لك، أنك أسوأ لعنة حلت يومًا على رؤوسهم، لا أستطيع منع ذلك هو يحدث فقط، فجأة أجدني داخل عقولهم وذكرياتهم، لا أرغب في ذلك أريده أن يتوقف فهو مؤلم.

أجهشت بالبكاء، لم يقل شيئًا، اقترب منها رفع ذقنها أوغل النظر بعينها، حاولت الابتسام لم تستطع، مد أنامله ومسح عنها دموعها التي تُبلل خدها، أبعد خصلاتها المُتطايرة عن وجهها، اقترب أكثر وقبلها بخدها، ثم همس بأذنها **«أُحبك»** وضعت يدها على منبت عنقه، تلمسته بتردد وقد عادت عينها للغيم بالدموع....

- حتى وأنا لعنة على الجميع؟

- أنتِ لستِ كذلك، وإن كنتِ.. فليت كل اللعنات تكون هكذا.



اقترب منها أكثر وقد تعلقت عينه بشفتيها ودون أن يُفكر لثمها قُبلة طويلة، وهو يضمها أكثر إلى صدره، ربما كانت تعلم بعشقه لها مُسبقًا حتى دون أن تقرأها، فيكفيه عيناه التي تصرخ بهيامه، لكنه من أيقن تلك اللحظة أنها أيضًا غارقةً بحبه، فقد قالت عينها وشفتاه وتعلُقها بصدره كل ما تمناه يومًا.

•••

- أحقًا سترحلين!!

تساءلت دلين بعدم تصديق، وهي تجلس بجوار سيا على الصخرة في ذاك المساء، لتهز الأخيرة رأسها إيجابًا بنظرة قلقة، لم تُزد الأُخرى حرفًا خفضت رأسها أرضًا، وقد أوغر صدرها كمدًا، لم تكن تعرف مصدره، لكنها شعرت بالظلام من حولهما يتسرب إلى داخلها، لتُربت سيا على كفها....

- على الأقل هذا يُجنبك الخوف من المستقبل.

التفتت نحوها بعدم فهم، لتنظر نحوها **«أنا أعرف»** ضيقت بين عينيها بعدم فهم، لتُمسك سيا بكفيها بين يديها **«أعرف السر»** طفا العرق على جبهة دلين، وتلعثمت....

- أن.. أنا..

- لم يعد يهم الآن.. كل هذا الكابوس سينتهي برحيلي بعيدًا، لن أكون مصدر تهديد لأي أحد.



- أنتِ لا تكرهينني؟

- أخبرني أحد أن أخطاءنا هي التي نرتكبها بأيدينا وليس التي يرتكبها الآخرون، أنا لم أختر من أكون، ولا أنتِ، لكنني أختار الآن أن أترك كل هذا خلفي، وكذلك يُمكنك الاختيار.

التفتت نحوها، تبسمت سيا وهي تُبحر النظر بعينها التائهة وتستطرد.

- الماضي لا يُقرر عنا والمستقبل لا يختار لنا، وحدها قراراتنا باللحظة الراهنة من تُحدد حقيقتنا.

التفتت للأمام أطبقت على يد دلين بقوة وهي تزيد....

- تعرفين أنكِ أفضل صديقة حظيت بها يومًا، وللإنصاف أنتِ صديقتي الوحيدة.

اغتصبت دلين شبح ابتسامة لم تستطع الاحتفاظ بها أقل من ثوانٍ، وهي تشعر بالظلام داخلها يمد خيوطه، ويُحكم سطوته عليها ويجعلها ترتجف من الأعماق، لتُزيد سيا إحكام يدها على قبضتها كي تُشعرها كونها لا زالت هنا، فتحت كف دلين ورسمت بداخله هرمًا مقلوبًا وابتسمت **«كي لا تضل روحك طريق العودة»** ابتسمت دلين بسمة دامعة وهي تُطبق راحتها عليها، فكانت دومًا ترسمه لسيا في أسوأ اللحظات كي تدل روحها المُشتتة على طريق العودة،



مسَّ قلبها أن تفعل ذلك لها الآن، زادت الدموع في عينها وهي ترسم براحة سيا هرمًا آخَر وأطبقتا كفيهما يتعانقان بشدة، ونظرتا إلى السماء وشردتا وعينهما تتبع ذات النجمة.

•••



السابع

الحدُّ الفاصل!!



صدرها يعلو ويهبط بقوة، لا تستطيع السيطرة على أنفاسها، فلا تُصدق أنها ستلتقي والدها بعد أكثر من عشرين عامًا من الفُراق، ستقابله بعد أن عاشت كل حياتها يتيمة، كاد عقلها يقف من فرط الحماس والخوف والاضطراب، فكل مشاعرها تلك اللحظة كانت مُتداخلة، تتلهف مقابلته وتخشى ألا يعرفها أو الأسوأ أن يرفضها، رفضت أن تأتي رونا معها، أصرت أن تقابله وحدها.

ترددت أناملها للحظة في دفع باب خشبي مُتهالك لفناء يكسوه العشب الأخضر، بمنطقة نائية مُترامية الأطراف بمنازلها النادرة على مسافات مُتباعدة، تقدمت وجلة وبعد أن عبرته وقبل أن تدق الباب شعرت بأحدٍ! فالتفتت لتجد ريان يقف خلفها مُضجعًا بظهره إلى جدار قريب...

- الصقر يتبع الضوء أينما كان.. أكنتِ تعتقدين حقًا أنني سأتركك تأتين إلى هنا وحدك!!

زفرت بضيق وقبل أن ترد بشيء، تقدم ودق الجرس، رمقته بتلك النظرة المغتاظة، حين دار قفل الباب ارتعشت أوصالها، وأطبقت يدها على ذراعه دون أن تنتبه، تبسم لفعلها، فُتح الباب ليجدا أمامهما رجلًا تخطى الستين من عمره واهن الجسد محنيَ الجذع قليلا يتوكأ على عصا، فاضطربت أكثر، ليسأل ريان



بتردد...

- السيد تميم؟

أومأ إيجابًا، خبره أنهما يريدان الحديث إليه، فسمح لهما بالدخول ولم تكن عينه وقعت عليها بعد إلا بشكل عابر، وهو يزفر بنفاد صبر....

- إن كنتما من شركة التأمين فلا تُضيعا وقتكما معي.

أغلق ريان الباب وتقدم خلفها، جلس الرجل إلى كرسي هزاز وهو يبحث على الطاولة أمامه عن نظارته الطبية، وجدتها له ووضعتها بيده، فشكرها بابتسامة، وهي تتأمله بوجل رجل بعيون سوداء وملامح هادئة وشعر اندثر سواده بين شيب سنواته، والذي عاود بنفاد صبر....

- لا تضيعا وقتكما معي فأنا رجل ليس لديه شيء ليُؤمن عليه، والباقي من الحياة لا يستحق أن أتعب في التفكير بشأنه، فأنا رجل مريض قد أموت بأي لحظة.

- لسنا من شركة التأمين يا سيدي.

ابتدأ ريان الحديث، ليُقطب الرجل حاجبيه بتساؤل، فرد بقلق....

- نحن هنا للحديث عن السيدة زمردة كانت ـــــ

- زوجتي.



قاطعه بنظرة دهشة ونبرة يشوبها القلق، ليتبادل وسيا النظرات لتقول بنبرة مترددة **«زمردة أُمي»** فانتصب جذعه فجأة في مجلسه وعينه عُلقت بها، ولم ينتظرها أن تُكمل كلمة أخرى، انحنى نحوها أمسك بوجهها بيدٍ مُرتعشة، قربها إليه وقد غامت عينه بالدموع وهو يتأمله **«أنتِ تمتلكين عينها»** ضمها إلى صدره حتى كاد يفتك بها بين ضلوعه، وأجهشت هي بالبكاء، شعور بالأمان لم يسبق لها أن شعرت به حاوطها مع ذراعيه، وكل ثُقل جاثم فوق صدرها سقط عنه، وأحست بروحها الغائبة ارتدت إليها، فتمسكت به ودفنت رأسها بصدره، بينما ظل ريان بمجلسه لا يتزحزح عن موضعه يرقُب هذا المشهد الذي مسَّ قلبه، وأحيا بداخله ذكريات طفولته وصباه في حضن أبيه أمه.

•••

- أنت ضعيف، عديم النفع.

سخط زارا بغضبه المُحتدم، ليحني سطام رأسه، دون أن يفه بحرف، وعين أخزم تُتابع المشهد بوله العاشق المُنتصر على غريمه في نزالٍ للعاشقين، فدخل قائد الحرس الفخ بقدميه وأوغل خُطاه بكامل إرادته! صعد زارا درجات عرشه جلس بكرسيه ولا زال كله يتأجج بالحنق والسُخط..



- يمر الوقت دون أن تفعل شيء، لم تأتيني بالفتاة ولا رونا، ولا حتى استطعت السيطرة على الممالك التي راح يُفلت زمامها من تحت يدك.

- الممالك سأتولاها قبل شروق شمس جديدة، وذهبتُ إلى حيث كانت رونا تعيش لكن أثرها انقطع به بعد قتلها نواه.

- وماذا بعد ذلك؟ لم تستطع إيجادها.

- أنا...

- أنت مُتغطرس فاشل، لا تستطيع الإمساك بفتاة وحارستها، ولا السيطرة على بضعة رعاع يعثون في مملكتي، فكيف لك أن تكون قائد حرسي وجيشي!

انتفض في مجلسه، كما انتفض غضبه تهتز له الجدران من حولهم، فابتلع سطام سخطه وحروفه، ليخرج أخزم بعد لحظة عن صمته بنبرة رائقة..

- لو سمح لي مولاي.. لقد تواصلت مع أحد الطرائد على الأرض وقد استطاع الوصول لأثر قد يُوصلنا إلى الفتاة أو رونا.

- ولماذا أنت صامت مذ دخلت؟

- لم أجرؤ على مقاطعة مولاي في ثورته.

- أين هما؟

- سأذهب بنفسي لـ...



«كلا» قاطعه بغضب، رفع أخزم عينه بذهول، ثم تدارك نفسه....

- لو يسمح لي مـ...

- كلا... أرسله إلى المكان الذي توصلت إليه ليجدهما.

أشار نحو سطام الذي اعتدل في وقفته ورفع رأسه نحو أخزم، الذي كظم سخطه بابتسامة حانقة له.....

- أمر مولاي.

- أريدك لشأن آخر.

أحنى رأسه تأكيدًا، وأشار لسطام بأن يسبقه إلى قاعة فتح البوابات بالمعبد لنقله إلى حيث المكان، وقبل أن يُغادر القاعة، هتف زارا بسخرية لاذعة.

- أرجو ألا تفشل في تلك المهمة أيضًا سيدي القائد العظيم.

خرج وكله ينتفض بغضبه المكظوم، ليُحرك أخزم رأسه بانحنائه....

- بماذا يمكنني أن أخدم مولاي؟ لا بد أنه أمر هام الذي لم تُرسلني إلى تقصي أثر ابنة زمردة لأجله!

- هو لا يقل عنها في شيء، على العكس أراه الأهم باللحظة الراهنة، فهي ليست الخطر المُحدق كما أرى هذا الأمر.

- لقد أقلقني مولاي.. لتُنزل عن كاهلك ما يؤرقه إلى



بئر خادمك المطيع أخزم.

اعتدل في مجلسه، عبث برأس الصقر بساعد كرسيه، وهو يتساءل....

- ماذا فعلت بشأن الضرائب الجديدة؟

- المعبد وكل رهبانه وكهنته أخبروا رعية مولاي بحقيقة الأمور، فهذا دورنا الذي سوف يُحاسبنا عليه رب الأرباب.

- إذًا؟

- أخبرناهم في كل شبرٍ من مملكتنا بأن تلك الضرائب لِزام واجب على كل فرد لأجل تقوية جيش مملكتنا العظيمة ضد هجمات أعدائنا المُتربصين لنا في كل مكان، ومن أجل إنشاء معابد جديدة فيجب أن نُعطي رب السماوات حقه، فهو خالقنا ويجب أن نعبده ونقدسه بما يتناسب وقدره وعزته وجلاله، وبعض الضرائب لأجل دفع مملكتنا نحو التقدم والرخاء فأعباؤها تزيد كما تزداد نفقاتها ومواردنا كما هي، فلا بد وأن يتكاتف جميع الرعية لعبور تلك الفترة العصيبة يدًا بيد إلى جانب مولانا.

أمال زارا رأسه تأكيدًا بنظرة إعجاب له، وهو ينزل عن كرسيه، وقف أمامه..

- وكيف يرى المعبد وحكماء مجلسنا الأعلى بهذا



الشأن؟

- هو خير قرار اتخذه مولانا لأجل زيادة مواردنا في الوقت الحالي، رب السماوات يُنير لمولانا طريقه، فكل قراراته لأجل تقدم مملكتنا ورخائها.

- وماذا ترى بشأن تطاول البعض ضد قراراتي؟

- جحود كبير ونكران سافر لجهود مولانا الشاقة في سبيل التقدم والرخاء.

- وصلَنَا أن البعض يقول بأن رب السماوات لن يكون راضيًا عن قراراتي؟!

- تبًّا لهم ومن يكونون ليتحدثوا باسم رب السماوات، ربنا لا يمنح العلم والحكمة إلا لفئة قليلة من عباده، هم الفئة المختارة وليس لأي أحد يا مولاي.

- وأنتم خير عباده الذي منحهم الحكمة والعلم يا كاهننا العظيم أخزم.

أمال رأسه بنظرة رضا وخجل مُصطنع ملأ وجهه، ليسترسل زارا....

- فماذا عن رأي مجلسنا وكاهننا الأمين أخزم بشأن بعض العقوبات التي يجب أن نتخذها لتأديب الخارجين عن حكمنا، الداعين إلى الفوضى والخراب؟

- ليضرب مولانا بسوط من الجحيم على أيدي المُخربين، بعض القرارات الصارمة يجب أن يحملها



الحاكم على عاتقه ويكون حدًا فاصلًا بها لأجل مصلحة مملكته، تنفيذ أحكام القتل بهؤلاء الضعفاء المُتخاذلين هو أصوب قرار اتخذه مولانا، فليس أخطر علينا وعلى أمننا وتماسكنا من هؤلاء المتخاذلين عن نُصرة عرش سيدنا ونُصرة ربهم بضعفهم، أعان ربنا مولانا ووهبه القدرة على تحمل أعباء السلطة وتسيير شؤون رعيته.

- كيف يرى حكماؤنا ورجالُ العلم المملكة تحت حكمي يا أخزم؟

- عصر نهضة وازدهار لم تحيا مملكتنا مثلهم في أي وقت مضى، فيكفي استتباب الأمن والأمان بكل أنحاء المملكة، جيشنا القوي الذي يحمينا، العلم والدين ازدهرا في عهد مولانا كما لم يحدث من قبل، التقدم والرقي الذي وصلنا إليه والرخاء عم على كل الرعية بفضل سيدي، فالجميع ممتن لحاكمهم القوي.

ليبتسم زارا من جانبه وهو يعاود ارتقاء عرشه....

- دوركم يا أصحاب العلم مَنْ مَنَّ عليهم ربُّنا بالحكمة أن يرشدوا هؤلاء العامة للنور الحقيقي وإفهامهم ما تعجز عقولهم الضعيفة عن فهمه.

- بالطبع يا مولاي هذا هو عملنا الأساسي وهدفنا، وهدف كل معبد تحت سماء مملكتنا، وهم بالطبع



يعرفون أن ربنا اختص مولانا بحكمته وعلمه لإدارة شؤون رعيته في عالمنا.

- لا أريدهم أن يعرفوا بل يؤمنوا، أريدهم أن يؤمنوا بكل ما أقوله وأفعله، الإيمان أقوى من المعرفة، المعرفة تقبل التشكيك والاختلاف والتغيير، بينما الإيمان لا يقبل إلا التسليم والخضوع والطاعة العمياء، المعرفة احتمال والإيمان يقين، ليؤمنوا بأني وحدي اليقين الثابت الراسخ في هذا العالم وأن ربَّ السماوات يمدنا بتأييده ويشملنا برعايته لأننا نسير على الدرب الصحيح، وكل ما دوني سراب وجحيم، إن آمنوا خضعوا.

هز أخزم رأسه تأكيدًا، ليرفع زارا عينه فيه....

- أعرف أنك أقدر من سيصل برعيتي لطريق الإيمان الصحيح.

- لا يجب أن يقلق مولانا فجميعنا خلفه ندفعه لتقدم أكبر، ومكانة أعلى يرتقي بها وبنا بين الممالك والعوالم.

- لقد اطمأن قلبي بما قاله كاهننا المخلص ذو الرأي الحكيم أخزم.. يمكنك الانصراف.

أشار له بالرحيل ففعل وداخله يغتبط سعادة ورضا عن نفسه وعن مشورته التي طمأنت قلب حاكمه، وأعادت إليه سروره ونزعت عنه قلقه وحيرته، وقد



أعطاه كل ما يريد من أجوبة شافية على ما يُكدر صفوه.

•••

جلس إلى الأريكة ولا زالت في حضنه، رأسُها على كتفه، مُمسك بين يديه صورة قديمة تجمعه بأمها، تجلس بحضنه على البحر، تبدو السعادة الحقيقية على وجهيهما، يُشع وجهها بابتسامة عذبة كما وجه أبيها الضاحك بالصورة، راحت تنهم الصورة بعينيها وهو يقُص عليها ذكريات لقاءهما وزواجهما....

- حتى ذلك اليوم الذي عادت فيه من الخارج وأخبرتني بأن عليها السفر للقاء أختها لأمر هام، وسوف تعود بعد يومين، شعرت أن بها شيئًا مُتغيرًا، لم تكن على سجيتها، لكني تركتها تذهب لم أشأ منعها خاصة حين أخبرتني أن أختها مريضة، رحلت ولم تعد بعدها، وعلمت مُصادفة من الطبيب أنها كانت حاملًا بطفلنا الأول وهذا كان ألمًا جديدًا، فشعرت بأن رحيلها عاد ليتجدد بداخلي أضعافًا فقد رحلت حبيبتي وزوجتي وأخذت طفلي معها.

- ألم تكرهها لذلك؟

- كلا.. لم أكرهها يومًا.. فكنت أُحب زمردة بكل ذرة فيَّ، وهي أخبرتني قبل زواجنا أنه كان لها حياة



صعبة ومريرة، وللحق هي فعلت كل شيء لتُثنيني وتبعدني عنها، لكنني كنت مُتيمًا بها، ولم أترك لها فرصة للهرب، أو هكذا كنت أعتقد حينها، ليأتي اليوم الذي فجعتني فيه برحيلها وأخذكِ معها.

هم بوضع الصورة جانبًا....

- بالتأكيد هي فعلت ذلك لسبب أجهله.. لا أعرف يا بنيّتي، لكن كل ما أعرفه أنني لم أستطع أن أكرهها يومًا، حين نُحب فإننا نفقد كل سلطة لنا على قلوبنا ونُصبح مسلوبي الإرادة أمامها، ربما نُحاول أن نتعايش مع أوضاعنا الجديدة التي تفرضها علينا الحياة والظروف، لكننا لا نستطيع أن نكره شخص أحببناه حتى لو حاولنا، القلب الذي يعرف الحب الصادق لا يمكنه أن يعرف الكره مهما ادعى العقل أنه يكره، فالنسيان ذاته رفاهية لا تمتلكها القلوب العاشقة لتجاوز المِحَن.

- لو كانت على قيد الحياة لكانت عادت إليك أنا واثقة من ذلك.

أمطرت غيوم عينيها بشدة ويدها تتعلق بلياقته، ليهز رأسه تأكيدًا ويُقبّل رأسها بحنان، كثيرًا ما حلمت به في صغرها.

زاد تعلُقها وإطباقها على لياقته! وبدأ جسدها برعشة خفيفة! فاندهش وهو يضمها أكثر، لترفع رأسها قليلًا



وهي تنقل عينها بين السوار الذي راح يضيق وبين ريان الذي انتبه لانزعاجها المُفاجئ! ليرن صوتها المفزوع بعقله **«إنهم هنا»** فغر عينه بذهول وهو ينتفض واقفًا، وقف قريبًا من النافذة، حين وقفت وهي تُمسك بيد أبيها...

- هيا يا أبي.

- إلى أين؟ أنتِ لن ترحلي.

- سوف نرحل معًا... الآن.

- إلى أين؟ ما الذي يحدث؟

وقبل أن تُزد حرفًا أطلق ريان شهقة فزعة، وأطلق معها سيفه **«إنه سطام»** ليقف والدها مذهولًا من ظهور السيف من العدم في يده! وزاد فزعها بعد ما قرأته من خوف بعقل ريان، دهشة والدها تزداد وهو ينقل عينه بينهما، ظل ريان للحظة على اضطرابه وهو يرى رجال سطام يقتربون من المنزل وهو من خلفهم، لم تفكر لحظتها سوى في الهروب، فاقترب منها ورسم الدائرة حولهم اختطفت الصورة من فوق المنضدة واختفى ثلاثتهم قبل لحظة من دخولهم إلى المنزل.

•••

فتح والدها عينه بعد لحظة ليجد نفسه داخل مستودع آصف القديم، لم يكن يستوعب ما يحدث له، عودة ابنته بعد عمر من الغياب قضاه بحثًا عنها حتى



يأس من إيجادها، فأغلق عليه بابه وانتهج الوحدة دواءً له، والآن هذا! أين كان وأين أصبح بعد لحظة!! عيناه زائغتان من الذهول والتي ما إن وقعت على رونا هتف بدهشة وحيرة «**زهرة!!**» والتي انتفضت من مجلسها حين وجدتهم أمامها....

- ألم تُغادري؟

- وجدها سطام.

«**سطام!!**» فزعت رونا والتفتت إلى آصف الذي تساءل بلهفة....

- أنت لم تستخدم السحر قريبًا منه؟

- لقد كان على بُعد خطوات منّا!

كادت تخرج عين آصف من محجرها، وقبل أن يُحرك أحدهم طرفه، أحكم السوار خناقه على معصمها بقوة تأوهت لها، وبأقل من لحظة صار سطام ورجاله داخل المخزن!

أربعتهم بالمنتصف، وآصف على أريكته، حاوطهم رجاله الذين عقدوا يداه سريعًا بسلاسل حديدية تتوهج باللون الأحمر! ليصير لونه شاحبا! ووقف سطام مُقهقهًا مُوجهًا نظراته نحو ريان....

- ألم تتعلم شيئًا من أستاذك الأبله يا أحمق.. إنه أول درس إيّاك أن تستخدم السحر بحضرة السحرة لأنهم سيقتفون أثرك بطرفة عين.



لم يُحرك أحد طرفه، ضغط ريان قبضته يكظم غضبه، كان يعلم لكن لم يكن لديه بديلًا، أمسكت سيا يد أبيها الذي لم يكن يفهم شيئًا مما يحدث سوى شيء واحد فقط! تلك النظرة المُرتعبة في عين ابنته هي ذاتها التي كانت في عين زوجته آخِر مرة رآها فيها!

رونا بدت هادئة كما آصف رغم الوهن المفاجىء الذي نضح عليه! ينظر كلٌ منهما للآخَر بنظرات لم يفهمها غيرهما! لم يقترب منه سطام أو يُعيره انتباهًا بعد تقييده! أشار لأحد رجاله جذب رونا من ذراعها وألقاها تحت قدمه، رفع رأسها بقبضته مُطبقًا على شعرها، كتمت ألمها ونظرة غل رمته بها، ليسألها بحنق....

- أين الفتاة؟

ذهلها السؤال وصدم عقلها بقوة، حركت عينها نحو آصف الذي لم يقل عنها ذهولًا، كما سيا وريان، تداركت ذهولها وهو يُزيد من إحكامه على شعرها....

- أين هي؟

- لا أعرف.

أطبق يده على رقبتها يخترق عقلها فلم ير ابنة زمردة، كل ما رآه ابنة رونا!! سحب خنجره ووضعه على رقبتها....

- لن أُكرر سؤالي أين هي؟



أطبق ريان يده على يد سيا من ناحية ووالدها من ناحية، لتُزيد رونا بنظرتها الغاضبة كما نبرتها....

- لا أعرف.. وإن كنت أعرف أتعتقد حقًا أنني قد أُخبرك!!

- سأتلذذ بتقطيعك قطعة قطعة، حتى أحصل على ما أريده، وسوف أقتل كل شخص في هذا العالم البائس وكل العوالم حتى أجدها ولو بعد ألف عام.

- لا أعرف عنها شيئًا.

ضغط بالخنجر على رقبتها فجرح النصل جلدها، وقطرت منه الدماء، حتى شعرت بأنه كاد يقطعه، تحاملت على ألمها وكتمت آهاتها، وهو يُزيد بتلذذ، لتصرخ سيا دون سابق إنذار....

- اتركها.

انصبت عليها العيون، التفت نحوها وبنظرة مُستهزئة كما نبرته لتلك النكرة الهزيلة التي لا تصل كتفه....

- ومن تلك الحشرة الأرضية؟

- لا أحد.

هتفت رونا بفزع، حاول ريان السيطرة عليها، لتنفض يدها من كلاهما، بينما تتسارع أنفاسها، وبعينها نظرة تشي بالغضب واشتعال النيران بداخلها، لم تحتمل أن تراها تُمسّ بأذى بسببها، فتظل أمها وحمايتها وعالمها الذي عاشت داخله عمرها، فهي وطنها بالمنفى، لتتلعثم



رونا بخوف مضطرب وهي تجذب انتباهه.....

- أنت تريدني أنا وقد حصلت عليّ، اقتلني ولننهِ هذا هنا والآن.

رفع سيفه بالهواء وهو يحركه بحركة دائرية خفيفة ويحرك رأسه ويُغمض عينه....

- أشتم رائحة دماء وضيعة تجري بداخلك.

- إياك أن تجرؤ وتُهين ابنتي.

صرخ والدها بوجهه، صمت سطام مذهولًا من جرأته، تقدم نحوهما خطوة، فوقف والدها أمامه....

- لا تقترب من ابنتي، وإلا قتلتك.

ضربه أحد الجنود على رأسه من الخلف فوقع أرضًا، انحنت فوقه سيا، فدفعها الحارس بعيدًا وهو يجذبه، ويُلقيه هو الآخَر بجوار رونا، فالتفت نحوها بضحكة ساخرة....

- هل وجدت لك خليلًا أرضيًا واستهجنتِ دماءك في تلك الدمية؟

رمى سيا بنظرة سريعة غير مُبالية، وتقدم نحو رونا التي غُلقت عينها بها ترجوها أن تتراجع....

- سيكون لنا حديث طويل في الديار يا رونا، وكم سأتلذذ به وبكل قطعة منك معه، وسوف نأخذ معنا خليلك هذا فقد أستمتع بتقطيعه هو الآخَر أمامك.



- لن تأخذهما إلى أي مكان.. اتركهما.. الآن.

جاء صوتها حادًا صارمًا، حرك رأسه ساخرًا وهو يتحدث إلى رونا....

- لم أكن أنوي نحر سلالتك الهجينة، فيكفيها عارًا أنها هجينة وضيعة، هذا في الحقيقة كان كافيًا لإذلالك، ولكن أنت نسيتِ أن تؤدبيها فدعيني أتولى عنك ذلك.

التفت نحو سيا والتي تقدمت خطوات باتجاهه، أمسك ريان بيدها فنفضتها وهي تصرخ به **«لن أتركهما»**، لتصرخ رونا ورجاله يحاولون إحكام السيطرة عليها، والتي طار جنونها حين تقدم نحوها....

- لا تقترب منها يا سطام.. أنت تريدني أنا.

- لا تقترب من ابنتي يا حشرة.

صرخ والدها من بين الدماء المُنهمرة على وجهه، وزادت رونا بصراخها وهي تنظر نحو سيا **«ارجعي الآن»** آمرة بنبرتها راجية بدموعها، لكنها زادت خطواتها وهي تنظر إليها....

- كنتِ مُحقة يا أمي لن يتركوني أرحل، لن يتركوا لي الخيار حتى وإن كان الهروب.

ثم رفعت عينها وهي تُشير بيديها نحوه....

- أنت هنا لأجل ابنة زمردة... أليس كذلك؟

هزت رونا رأسها نفيًا ونبضها يتهاوى بين ضلوعها،



لتسترسل.....

- سطام العظيم قطع كل تلك الرحلة لأجل آخِر الدماء، أليس من العار أن تعود دون بُغيتك! فغضب زارا سيكون الجحيم على رأسك.

رفع حاجبه بنظرة اختلطت بها الدهشة من جرأتها مع حيرته من معرفتها ما يدور بعقله تلك اللحظة إن عاد دون بُغيته!! لترفع يدها ففغر عينه وهي تقع على السوار بمعصمها كما وصفه أخزم سابقًا، فكيف لم يشعر بها أو يعرفها لحظة وقعت عينه عليها!! وكيف لم تشي أفكار رونا حين أمسك برقبتها بكونها هي الفتاة!! لتسحب هي خنجرًا وترفع قبضتها بالهواء على امتداد كتفها وضعت الخنجر براحتها أطبقت عليه كفها وسحبت سحبة مُتمهلة انسلت معها دماؤها لتصرخ رونا بفزع «كلا» ومع أول قطرة لها تُلامس الأرض تحفزت أنفه التي التقطت رائحة دمائها وامتلأت بها كما عقله، ليفغر عينه وهو يرميها بنظرة ساخطة **«أنتِ!!»** رمقته تلك النظرة المُتحدية، ليرفع سيفه في الهواء بإشارة نحوها **«آخِر الدماء... هجين وضيعة!!»** ليزداد غضبها....

- تلك الوضيعة ستقتلع قلبك إن لمست أيًا منهما.

تبسم من جانب فمه بغل سكن صدره وهو يُشير بسيفه نحو رونا...



- أنتحدث الآن عن رونا وهذا الأرضي فقط.. أم عن زمردة أيضًا!! لأنني في الحقيقة من اقتلع قلبها ليلة ولادتك المشؤومة، كما سأقتلع قلب رونا الآن، وهذا الشيء الأرضي الذي تحملين دماءه الوضيعة، فلأجل من منهم تحديدًا ستقتلعين قلبي أيتها الهجين المشؤومة على كل عالم تحطين قدمك به؟

بدأ بالضحك الساخر، أطبق والدها بغضب على قبضته، أراد لكمه فأمسك سطام برقبته وهو يُمعن النظر بعينها بتحدٍ، والتي كانت مُعلقة بعين والدها المبتسمة لها، وسحب نصل خنجره على رقبته، فانفجرت منه الدماء، وتركه يسقط أرضًا، وقد تصلبت كل ذرة فيها في موضعها مع سقوطه، أمسك برقبة رونا وبذات النظرة المُتحدية لها وضع الخنجر عليها، انتقلت عينها المُتصلبة لعين رونا، لتتسارع أنفاسها بقوة، وهبطت على ركبتيها وقد فقدت كل سيطرة على روحها الصارخة بالألم، بدأ جسدها بارتعاشات مُتلاحقة، وغامت عينها بغشاوة بيضاء! جحظت لها عين آصف! وراحت تنتفض في موضعها ومع كل انتفاضة لها بدأت تهتز الأشياء من حولهم! ما أثار الدهشة بالعيون المُتربصة بها، اعتدل سطام في وقفته متوجسا، وقد وجل لردة فعلها، راحت تتحرك الأشياء من حوله، وتتطاير في كل مكان بغير هدف، هي فقط



ترتطم بكل ما تقابله وكان لجنوده النصيب الأكبر، يتساقطون على الأرض، غطا هو وجهه وانحنى أرضًا، كما انخفض ريان يُحاول ضمها إلى صدره فلم يفلح حتى في الاقتراب منها، دفعته ما يُشبه دائرة خفية تحوطها، الجميع يتبادلون النظرات بفزع حين تلاقت عين رونا المذهولة بآصف وصدى صوته يرن بعقلها **«ما بداخلها يحتاج رونا القوية.. وحدكما من تستطيعا إحكام قيوده بداخلها»** أغمض آصف عينه يحاول جذب أفكارها دون أن يفلح، ترك سطام رونا دون وعي منه وقد تملكه الذهول، لتركض نحوها بكل قوتها، في نفس اللحظة التي انتبه فيها سطام لهما، فشهر سيفه وركض نحوهما وهوى به عليهما!! دوى انفجار قوي بضوء متوهج خاطف، لحظات سريعة واختفى الضوء وهدأ كل شيء، وعمَّ السكون المُفزع كل ركن بالمخزن والفناء، وأسكت الصحراء والصمت من حولهم!!!

•••

بعد كثير من الوقت، فتح عينه وهو يحاول استعادة وعيه بصعوبة، واستعادة ما حدث معه، اعتدل سطام بُغتة حين تذكر الانفجار، درعه قد تضرر وتأذت ذراعه، وجُرح غائر في خده الأيسر، وجد رجاله بين قتلى وجرحى، وسيفه بجواره قد تهشم، وثلاثتهم اختفوا،



حين التف للجهة الأخرى لم يكن آصف هناك، حتى جثة والدها اختفت!! لم يُصدق نفسه، وأطلق صرخة غاضبة اهتز لها ما تبقى من أركان المخزن المُهدم.

أطبق زارا يده على عنق سطام كاد يخلعها بين أنامله، لم يهتز له جفن نزل على ركبته وعين زارا تتأجج شررًا لو خرج منها لأحرقه في موضعه....

- كانت بين يديك وتركتها تهرب!!

- إنه السوار.

خرج صوته مُتقطعًا مُختنقًا، ليُفلته زارا بعد لحظة رأى بها ما حدث داخل المخزن وقد صُعق داخله، ولاه ظهره، وبداخله ينتفض غضبه العارم يضرب عقله، ليتحسس سطام رقبته وهو يتلعثم....

- إنها من الهجين.

أمال أخزم رأسه بدهشة....

- آخِر الدماء هجين!! حفيدة رهانا وسيسيليا هجين!

- بالفعل لقد شممت دماءها بنفسي وقتلت والدها الأرضي بيدي، ولا أعتقد أنها قد تنجو من ذلك الانفجار، لقد قتل عدد من رجالي وأصاب الآخرين بجروح.

- لكنه لم يقتل أبله مثلك.

زاد حنق زارا، ليتقدم أخزم خطوة....

- حتى وإن لم تمت وهذا ربما الأكيد كون السوار



يحميها، لكنني أخشى شيئًا آخر.

صمت لحظة ليلتفت نحوه زارا بنفاد صبر، ليستطرد....

- إن كانت هجينًا فإن دماءها قد لا تصلح لفك اللعنة، فهي ليست نقية كأسلافها، والسحر القوي الخالص يحتاج لدماء نقية.

تلك خيبة جديدة هوت على صدر زارا الذي أشار للجميع بمغادرة القاعة وأمر حُراسه بالخروج وإغلاق بابها من الخارج، ليبقى واقفًا في وسطها وحده، فخيبته الكبرى لم تكن خوفه من أن دماءها قد لا تصلح، بل ما رآه بعينه، والأسوأ كونها هجينًا!

ارتعد داخله حين تذكر نبوءة الهجين المشؤومة التي سوف تُسقط السديم وعرشه! نعم عرشه هو فلم يعد عرش ملكات النور بل عرش زارا الذي لن يقبل أن يقترب منه أحد، فقد دفع ثمن الحصول عليه أضعافًا مُضاعفة، فإن كانت هي فباتت لعنته مُزدوجة من لعنة رُهانا ودمائها الملعونة ونبوءة السقوط المشؤومة!! غير تلك القوة الغريبة التي تمتلكها والتي رآها بعينه، راح يُمسك بكل ما تطاله يداه ويهشمه، أغمض عينه وتمتم وهو يُحرك يديه من حوله، فغلفه ما يشبه ستارة شفافة شكلت دائرة حوله وظل يصرخ ويصرخ بداخلها حتى هوى أرضًا وقد خبت قوته وغضبه من كثرة



التعب.

•••

بعد يومين فتحت عينها لتجد نفسها مُمددة على سرير مُتهالك، على جسدها غطاء بالٍ، رأسها في حِجر رونا النائمة جالسة لم تتحرك، وعلى جانب الأريكة المُقابلة لها آصف نائم، ورحيل تغُط في سُبات عميق إلى جواره، بينما دلين نائمة على الكرسي أمام طاولة بطرف الحجرة، وتيام نائم قريب منها، لتصطدم عينها بريان يجلس على طرف السرير ضامًّا ساقيه إلى صدره يطوقهما بساعديه يبتسم لها، ولا يزال مستيقظًا لم ينم منذ ما حدث، اعتدلت بوهن وهدوء كي لا تُوقظ أمّها، أمسك يدها يُساعدها، شعرت بألم في رأسها، لتُجول بعينها وسطهم وصوت آمل بداخلها كما صوتها يهتف....

- حمدًا لله.. لقد كان كابوسًا مخيفًا.

اكفهرت ملامحه، ونحى عينيه أرضًا بأسى، وهو يُحرك رأسه نفيًا بكمد، توقف نبضها ألمًا، وهي تُلقي نظرة إلى السوار بمعصمها، وتلك الجروح والضمادات على ساعديها، وقد تحجرت دمعة في عينها لم تستطع إفلاتها ولا استرجاعها، فكل ما مرت به حقيقة، موت والدها أمامها كان حقيقيًا، ابتلعت غصة مررت حلقها، ترددت يدها بإخراج الصورة من جيبها، كانت مطوية



حيثما اتفق، فتحتها وشهقت شهقة وجع مريرة اخترقت قلب ريان، واستيقظت على إثرها رونا، وهي تتحرك بصعوبة من آثار ما حدث، وتضع ضماداتٍ على رقبتها وذراعها، ضمتها إلى صدرها وهي تُمسد على رأسها، ودموعها تتساقط حزنًا عليها.

دفن ريان وتيام جثة والدها في حديقة منزله، واختبأوا في مسكن آخَر قديم يخص آصف، وكذلك كان بمكان ناءٍ ويحوطه فناء كبير بسور حجري وبوابات حديديّة، ظلت لليوميين التاليين لا تتحدث ولا تبكي ولا تتحرك من موضعها، رونا قلقة لأجلها لا تستطيع أن تعرف ما تفكر به، علم آصف أن أحد الطرائد الذين كانوا يختبؤون في المخزن هو من وشى بهم إلى أخزم، لكنهم تتبعوا أثر ريان، لأنهم ما استطاعوا تتبع أثرها!!

لم تدع أحدًا يقترب منها، ولعدة أيام لاحقة كانت تخرج ولا يعرف أي منهم كيف يصل إليها، في اليوم الأول فزعت رونا حتى كاد قلبها يقف، وحين عادت بالمساء لم تقل شيئًا، ولم يحاول أي منهم سؤالها أو معرفة أين كانت ولا ماذا فعلت، والأسوأ أن لا أحد استطاع منعها في الأيام التالية من تكرار اختفائها، لم يعرف أحد أنها كانت تذهب إلى بيت أبيها، إلا ريان الذي لم يستطع منع نفسه من اللحاق بها، كانت تجلس



في الحديقة أمام قبره وهي تُطبق يدها على الصورة، وألف إعصار غاضب يُزلزل أركانها ويعتصرها من الداخل، فكل ما امتلكته فجأة رحل فجأة، كل شيء جميل اعتقدت أنه سيكون لها تبدد في لحظات أمام عينها، رأته كحلم جميل انقلب إلى أسوأ كوابيسها دون سابق إنذار، فما تركه وجع الفقد من آلام مُبرحة في روحها، أضعاف ما تركته السعادة في لحظات اللقاء المعدودة، حاولت رونا فهم ما حدث بالمخزن لكن رد آصف لم يروِ لها ظمأ **«لا أعرف ما الذي حدث هناك، أنا رأيت شيئًا قويًا بداخلها، لكنني لا أعرف ما هو ولا يمكنني الإجابة عن أسئلتك لأن لدي أضعافها، هذا الذي حدث في المخزن شيء يفوق الخيال لي، ولندعوا الله ألا نضطر لاختباره مجددًا».**

أصبحت صامتة تمامًا مع الجميع لا تكاد تفه بحرف لأحد، حتى دلين والتي كان يؤرقها أن تراها على تلك الحال، النظرات بينهما تقول الكثير! حتى جاء ذلك اليوم الذي كسرت فيه حاجز الصمت.

تجلس سيا إلى الأرض مستندة إلى الجدار في الفناء، تعبث بالتراب أمامها بطرف عصا، توقفت أمامها مباشرة وسألتها دون تردد....

- أنتِ لا تعتقدين أنـــ...

- كلا.



تعلقت العيون ببعضها بنظرة طالت، جلست دلين بجوارها، أمسكت يدها تُطبق عليها، وذقنها بيدها الأخرى تُوغل النظر بعينها المُصلبة عليها، حاولت سيا أن تنزع يدها، لكن دلين أحكمتها.....

- أنا أكره سطام أضعاف كرهك له لما فعله بأمي وبي... وبكِ.

- أعرف، صدقيني أعرف حتى دون أن أدخل إلى عقلك.

سحبت يدها واعتدلتا في جلستيهما، تنفستا بأسى....

- آسفه كوني لم أكن إلى جوارك في المخزن.

- أين كنتِ؟

- مع رحيل وتيام نُحضر بعض الأشياء من محل سكننا القديم، وحاول تيام كسب بعض الدعم من الآخرين.. أعلم أن هذا يبدو بلا قيمة لك، لكن لهم هو كل شيء، أنتِ أملهم الأخير للعودة إلى ديارهم.

- سطام قتل أمي يوم ولادتي وقتل أبي أمامي.. لا يبدو أن هناك أي شيء له قيمة.

مد الصمت خيوطه بينهما من جديد، ظلت تعبث بالعصا ثم توقفت حين أتاها صوت دلين بحيرته....

- الجميع قلقون مما حدث لك هناك.

- لا أعرف ما حدث هناك!! ولا أذكر الكثير بأي حال.



- ما الذي تتذكرينه؟

- حين أمسك برأس أبي اجتاحني خوف شديد لم أشعر به سابقًا، شعرت بسحبة الخنجر فوق عنقي أنا، تجمد كلي في مكانه، حاولت أن أتحرك فلم أستطع! شيء سلسل كل ذرة بي! بدأت أغيب عن الوعي رغم أن عينيّ كانتا تريان سقوط أبي والخنجر ينتقل إلى رقبة رونا، وشعرت بأن شخصًا آخَر يُسيطر عليّ، شخص غيري يتحكم بي!! والرؤية راحت تتشوش وعرفت لحظتها كيف يكون ذاك الشعور المُفزع بكون روحك تُقتلع عنوة من داخلك، شعرت كأن روحي فُصلت عن جسدي، وعقلي انفصل عن كلاهما، غامت الرؤية أكثر، ثم أظلم كل شيء فجأة.

صمتت، ربتت دلين على يدها، دون أن تقول شيئًا، لتنظر سيا نحو الفراغ....

- تلك الليلة التي تحدثت فيها عن مقتل أمك أمام ناظريك، الآن فقط شعرت بما تشعرين به، قتله أمامي وكل ما فعلته أنني تجمدت في مكاني، كنت أضعف من أن أتحرك من موضعي.

- لقد انتهى عمره لم يكن بيدك شيء لتفعليه.

- أنا أضعف من أن أفعل أي شيء لأي أحد.

- على العكس أنتِ قوية، أقوى مما تظنين، ليست



قوة السحر بل هي قوة الحياة التي تمنحها لنا بعد أن تُعيد قسوتها تشكيلنا من الداخل! تصهر أرواحنا بلا رحمة في جحيم المحِن لتُعيد تشكيل إرادتنا، لحظات الانهيار تكون مُدوية تُقيم الشروخ بداخلنا، نشعر أننا سقطنا وانقضت جدران أرواحنا، وأننا مع أول هزة ضعيفة سننتهي للأبد، وينقضي الوقت ونحن ننتظر الهزة لتأتي وتقضي علينا كي تُريحنا من كل هذه الشروخ، لكن حينها نكتشف أننا أقوياء! قوة الصمود التي جعلتنا نتجاوز محنتنا، غريزة البقاء بداخلنا تُبقينا صامدين، جروح أرواحنا وشروخنا تلتئم دون أن نداويها أو حتى نحاول، تلتئم رُغما عنّا وعنهم وعن الحياة والوجع، للحق هي تترك ندوب خلفها، تحفر آثارها على جدران أرواحنا، لكن ليس لتُذكرنا بالوجع، على العكس تتركها لتُذكرنا كم نحن أقوياء، حتى أن جراحنا اِلتأمت دون مخدر النسيان العقيم، وأنه من بين رماد ضعفنا المُحترق اشتعلت جذوة قوتنا، استنزفت ضعفنا وآلامنا وأخذت معها كل سلطة لهم وللحياة علينا وأعادت لملمة شتاتنا، نحن الأقوى وانهيارنا هو اللحظة التي تُولد بها قوتنا، أعلم أنها تكون ولادة من الخاصرة لا تتم إلا بمشرط ودماء لكن صدقيني تكون ناجحة تماما



وتُعيد صناعتنا من جديد.

صمتت لحظات ثم التقطت دلين عصا من الأرض تعبث بها في التراب....

- الهزيمة لا تأتينا من الآخرين، نحن من نهزم أنفسنا حين نتركهم يفوزون، ويعتقدون أننا الأضعف، إن كانوا يعتقدون أنهم أسقطوكِ فلتجعليه سقوطًا مدويًا، زلزالًا تهتز له الأرض من تحتهم، وتخسف بهم معه.

تركت يدها ونظرت نحو ما رسمته بعصاها، كانت ستة أهرامات مقلوبة.

- أتعرفين سيا ما هي أكثر قصة عشقتها من قصص الأرض؟

هزت رأسها نفيًا لتستطرد دلين وهي تسحب خط يمر بينهم....

- قصة شمشون الجبار، أسمعتِ بها من قبل؟

- هذا الذي هدم المعبد فوق الجميع!

رفعت دلين حاجبها بنظرة خُبث التمعت بعينها، فأوغلت سيا النظر بالخط الذي قسم كل الأهرامات من المنتصف ودلين تهم واقفة، لتهمس سيا بنبرة ساخطة....

- إن كانوا يريدونا أمواتًا... فلنأخذ الجميع معنا.

- تلك هي صديقتي قد عادت، أعتقد الآن أن على



زارا... الاختباء.

تركتها دلين خلفها ورحلت، لتُخرج هي من جيبها صورة أبيها وأمها، حركت أناملها المهتزة عليها ودمعة اعتقلتها بداخلها....

- لن أترك له شقًا ليختبئ فيه.

في المساء اضجع آصف على أريكته البالية، وتيام يجلس أمام الشاشات، فجلست سيا قريبًا من رونا على الأرض قريبًا منهما دون أن تفه حرفًا، وبعد قليل نظرت إليها نظرة طالت بينهما، رفعت ذراعها بشكل أفقي في امتداد كتفها باتجاه الجدار في آخِر القاعة، فعُلقت عين ثلاثتهم بها، فحركت قبضة يدها، وبلمح البصر طار سيف رونا والتصق بقبضتها التي أحكمتها عليه، أخرس الذهول ثلاثتهم، فتلك مهارة لم يتمتع بها أي منهم، ولا أي شخص عرفوه، وأكدت لرونا أن ما حدث في المخزن لم يكن بفعل السوار، بل هي، آصف كان محقًا هناك شيء بداخلها يجعلها مختلفة، وللحظة فكرت رونا بل ومخيفة، على الأقل لحظة فقدت السيطرة على نفسها وذاك الانفجار داخل المخزن، كان كل شيء مخيفًا إلى الحد الذي أرعب رونا وآصف وربما سطام أيضًا، هكذا فكرت، ثم انتبهت من شرودها وهي تُعطيها السيف...

- كيف أقتل سطام وزارا؟!



الثامن

حلفاء وخيانة



لم يستطع النومَ منذ ما حدث وهروبها من قبضته، ورغم القلق الذي بثه أخزم في صدره عن اختلاط دمائها، وكونها من الهجين فلا تستطيع فتح الباب الدموي، لكنه يظل متشبثًا بكونها آخِر أمل لديه للدخول إلى القاعة المحرمة، وحتى إن صح ظن أخزم فلن يُثنيه عن قتلها شيء، يكفيه أن يتأكد من كونها ستكون نهاية نسل زُهانا الذي سيجتث جذوره الملعونة بيديه، ويُنهي به كذلك نبوءة الهجين المشؤومة إلى الأبد، لكن بعد أن يحصل على تلك القوة التي لم يرَ لها مثيلًا ولا حتى في أسلافها، أعاده من شروده صوت سطام وهو ينحني أمامه....

- طلب مولاي حضوري بين يديه.

امتعض وهو يُلقي نظرة شذرًا نحوه فهو لا زال غاضبًا عليه، فرك أصابعه وبنبرة حادة.....

- امتنع بعض العاملين في مناجم سودي بالجبال عن العمل، والفوضى تعم التلال.

- لا أحد يجرؤ على عصيان مولاي.. إنهم بضعة نفر سنؤدبهم بأصغر كتيبة لدينا.

- أبله.. ستذهب على رأس جيش أجنحة الموت إليهم وتُنفذ ما أمُرك به.

أمال سطام رأسه إيجابًا، ليسترسل ولا زالت عينه مُعلقه بأصابعه....



- أنت لن تقضي على هؤلاء الممتنعين عن العمل فقط، أنت ستُعيد القطيع بأكمله للحظيرة، وكي تفعل ذلك عليك بقطع رؤوس من يحركون القطيع، إن اجتثثت الجذور اهتزت الشجرة وسقطت، تفرقت أغصانها وباتت بلا فائدة أو قوة تُذكر أمامك، والأهم باتت عبرة للجميع.

أحنى رأسه وهو يزدرد ريقه يحاول قول شيء....

- رأي مولاي في موضعه.. لكن..

- ما من لكن.. إن اهتزت يدك استضعفوك وانفلت زمام الجميع من أيدينا، أريد لتلك الفوضى أن تنتهي، لا أريد أن أسمع عن أعمال تخريب أخرى في مملكتي، استرد هيبة العرش وسلطته، أعد إلى قلوبهم الخوف، فالقوة الوحيدة التي يمكنها أن تُرسخ قبضة العرش هي الخوف، اجعلهم يخافون على حيواتهم وما تمتلكه أيديهم، هددهم بسلبهم مناصبهم وسلطانهم مهما كان شحيحًا لا يساوي شيئا، كل ما عليك فعله لاستعبادهم أن تجعلهم يخافونك ويخافون خسارة ما ليس له قيمة، لكنه كل ما يمتلكون، وبعدها الخوف وحده من يُسلسل الجميع ويجعلهم يركعون له ولي، أخزم مهد لك كل شيء، أنهِ تلك الفوضى، واسترد ثقتي بك.

أمال سطام رأسه تأكيدًا، وذهب على رأس جيشه



إلى تليد لقمع بوادر الثورة فيها، فقتل من نزل منهم لمواجهته، وأبادهم في نزهة لجيشه فتلك لم تكن معركة بأي حال، والباقي هرب إلى الجبال لم يستطع الوصول إليه، لكنه أرسل لهم رسالة صارمة واضحة كما أمره سيده! أقام في قصر الحاكم وليمة كبيرة دعا لها كل قادة القبائل والذين لم يجرؤ أي منهم على رفضها، وإلا أُعتبر هو وقبيلته من المتمردين ضد سلطة المعبد والعرش، فحضر الجميع بلا استثناء، فألقي القبضُ عليهم جميعًا وأولهم الحاكم، والذي أُعدم علانية على مرأى من الجميع بتهمة ضعفه وتخاذله عن حماية العرش، فلم يستطع السيطرة على بعض من رعاعه، ثم أعدم قادة القبائل واحدًا تلو الآخَر كون المتمردين من أبنائهم، ليبث الرعب في قلوب الجميع، ويعلمون أن تلك عاقبة تفكير بسيط في الاعتراض على قرارات زارا أو المعبد.

ووضع أضعف رجل من كل قبيلة قائدًا لها!! ليضمن أن يظل ولاؤه للعرش أبديًا إما لضعفه وقلة حيلته، أو لخوفه من أن يلقى مصير من سبقه، والأهم ولاؤه الأعمى طمعًا في أمانه وأمان عائلته، حتى وإن كان على حساب قبيلته، أو مملكته كاملة فلا يهم، وألا يستطيع ردع أحد أو إنهاء خلافات قبيلته فيظل الجميع مشغولين بمشاكلهم الخاصة ومُشتتين



بخلافاتهم القبلية، فلا يلتفتون لشيء آخَر مما يحدث حولهم، وهذا كان كافيًا لسطام ليجعل الجميع يرتعد ويركع من جديد، وقد مهد المعبد لقرارات الإعدام جيّدًا، فلم يعترض أحد، كظم البعض غضبه خوفًا، وتقبل الآخرين الأمر فهي مشيئة رب السماوات ومشيئة من استخلف عليهم! فهل للعباد أن تعترض على خليفة ربهم وقرارته التي يستمد مُباركتها من خالقهم!

•••

المكان بدا أفضل من سابقه بشكل ما، أعجب الفتاتين لأن به عدة غرف وأسرة وإن كانت مُتهالكة لكنها أفضل من نومهم في المخزن على كل حال، قلت حدة رحيل مع سيا بعد ما حدث، حتى أنها تفاجأت بها ذات يوم تجاورها هي ودلين في الركض حول الفناء، حين دُهشتا لوجودها أوغلت النظر أمامها وهي تأخذ مكانها بجوارهما **«هل تعتقدان أنكما ستحصلان على كل المرح وحدكما!!»**

بدأت رونا تُدربهن على تعلم المبارزة بالسيف، والتي أتقنتها سيا سريعًا كونها كانت ماهرة في لعبة الشيش أو المبارزة التقليدية، ونافستها رحيل بقوة فكانت ماهرة بالمبارزة حد إعجاب رونا الجلي بها، بينما كانت دلين أقلهن مهارة في استخدامه، لكنها كانت أكثرهن



مهارة في السحر فلم تستطع رحيل مجاراتها، ولا ريان، وسيا تزال لا تستطيع التحكم بغضبها، تلك تحديدًا الكلمة التي استخدمها آصف **«تحكمي بغضبك، إن أحكمتِ وثاقه تحكمتِ بعقلك وسحرك والعالم من حولك».**

علّمها ريان بعض خُدع السحر في الانتقال والمراوغة، وكيفية استدعاء سيفها، والأهم أنه وجدها فرصة جيدة ليظل قريبًا منها، خاصة بعد محاولاتها المستمرة في تجاهله! ما لم يكن يفهمه ولكنه بدأ يحاول تقبله فيعلم أن ما تمر به شاق، خاصة وأنها لا زالت تتردد على بيت والدها، ويرى دموعها تنهمر في حديقته بكل مرة.

حرص آصف على تلقينها تاريخ السديم منذ عهد حروب الظلام وحتى عبور أُمّها إلى الأرض، وأخبرها الكثير عن زارا وسطام وأخزم مثلث الشيطان وأذرعه كما تُلقبهم رونا، وكل ما يعرفه عن مهارات زارا في السحر، وقوانين السديم تحت حكم عائلتها...

- زارا ليس بقوتك، لذلك أثق تمامًا أنه يخشاكِ.

فغرت سيا عينها دهشة، ليسترسل آصف بنبرة واثقة....

- زارا تعلم السحر على يد كهنة سحر النور، وعلم نفسه السحر الأسود، لكنك ورثتِه من الذين علموه



للكهنة، أنتِ حفيدة راهبات النور والسحر، إن كان زارا تعلمه وأتقنه فهو يجري في دمائك، كل ما يمتلكه من سحر لا يساوي شيئًا مُقابل ما تمتلكينه، فقط إن تعلمتِ وأصغيتِ جيّدًا لما بداخلك.

وبداخلها هذا تُوقن أن آصف يحاول بث الشجاعة بها، يُحاول تخفيف وطأة الأمور عليها، لكنه وكذلك الجميع يعلمون أن زارا الأقوى وليس لها فرصة أمامه، حتى وإن كانوا على حق في تذكيرها بأن من يُولد بالسحر يكون له الأفضلية على من يتعلمه، لذلك لم يكتشف سطام وجودها، فالسحر لا يسري في دمائهم، ما جعل تعويذة حماية أمها نجحت في خداعهم، لكن بداخلها تعلم أن له الأفضلية عليها بخبرته وقوته والأسوأ سحره الأسود، ورغم ذلك لن تتراجع عما عقدت عزمها عليه، ليس لأن وقت التراجع قد ولى، فدومًا لدينا فرصة للهروب إن اخترنا الفرار، لكن كونها تعلم أنه لن يترك لها خيارًا غير المواجهة، فصارا مُحتجزين بدائرة مُغلقة لا سبيل لأحدهما سوى مُلاقاة الآخَر في نقطة ما داخلها.

في إحدى الأُمسيات تنهد آصف وهو يُحاول التخفيف عنها.....

- لا أعلم إن كان هذا يُغير شيئًا.. لكن لنكن منصفين، فإن ملكات النور قدمن الكثير للسديم، أنهين



الحروب التي عانين منها لستة عقود مُتتالية، وببداية حكمهن عم السلام والرخاء وارتقى عالمنا في وقت قصير، منعن عقوبة الإعدام، وصار النفي بديلًا عنها، فرصة أخرى للمُخطئين ليجدوا طريق توبتهم، شيدن المعابد لنشر العلم والمعرفة وفتحن أبوابها للجميع، وعممن تعلم سحر النور النافع في كل الممالك ليُساعد الرعية، ومنعن مُمارسة السحر الأسود ووضعن لمُمارسيه عقاب صارم يصل للنفي، فكان كل شيء يسير في طريقه الصحيح، وصار عالمنا أقوى بالعمل والعلم والمعرفة.

- وما الذي حدث بعد ذلك؟

- ما يحدث دومًا وأبدًا، تعلقت القلوب بالسلطة والعقول استعبدها العرش، وأصبح للمصالح الشخصية مكانها فوق الطاولة، وجاءت النبوءة لتكون الذريعة لاستبدادهن بعدها بكل شيء.

- كن دومًا يسعين للأفضل.

قاطعته رونا بحدة، فتحولت عين تيام نحوها يُشاكسها....

- لا تحاول يا آصف فهي امرأة وسوف تنحاز لحكمهن.

- عفوًا! لن أُنكر أنه كانت لهن أخطاؤهن، لكنها أخطاء معدودة كما أضرارها إذا قارنها بمن حكم قبلهن



ومن أتى بعدهن، وحتى تلك الأخطاء كانت بدافع الحماية، لكن الرجال.. آه يا ويلي من حكم الرجال!

أشاحت بيدها بغيظ لتبتسم سيا رُغمًا عنها وهي ترى آصف يغمز لها، ويومئ نحو تيام، الذي هتف بغيظ....

- ألا يكفي أن كل من حكمن كن من النساء، تلك عنصرية بحد ذاتها منهن ضدنا.

- وماذا فعل حكم الرجال؟ دعني أتذكر حروب الظلام أشعلها الرجال، وهذا الجحيم الذي نُعاني منه بفعل رجل، فتش عن أي حرب في العوالم مجتمعة ستجد الرجال من يشعلونها.. أليست تلك قمة العنصرية منكم، إشعال حروب تُفني مجتمعات بأكملها لمُمارسة سلطتكم وحماقتكم؟!

- أنتن هن العنصريات، من يرين الأمور من زاوية واحدة، الرجال لديهم نظرة موضوعية للأمور، أنتن عاطفيات وحمقاوات تقتلن مئات الأطفال خوفا من نبوءة قد لا تتحقق!

- حمدًا لله أننا لا نمتلك موضوعتيكم التي أشعلتم لها حروبًا ودمرتم بها ممالك ودولًا، وأبدتم بها أعراقًا ومجتمعاتٍ كاملة، ومن أجل ماذا؟ لا شيء، وماذا حققتم؟ لا شيء، كله هراء.

- غبيات!



رفعت رونا حاجبيها تُنذر بحرب قادمة وزفرة إعصار سوف يسقط على رأس تيام، لينفجر آصف وسيا في نوبة ضحك قوية، لتلك الحرب المُشتعلة بينهما، حين نظر لهما تيام بعين ساخطة ثم لم يتمالك نفسه فانفجر ضاحكًا، فضحكت رونا بسعادة حقيقية من قلبها ولكن ليس لما حدث من مناوشات بينهما، بل لأجل رؤية ابنتها تضحك مجددًا، فتلك المرة الأولى التي تضحك بها منذ مقتل أبيها، وهذا كان كافيًا لتغاضي رونا عن أي شيء آخر.

•••

في الليلة التالية كانوا يجلسون مُتحلقين يتناولون طعامهم، ترددت سيا قليلًا، ثم رفعت عينها نحو آصف باهتمام....

- هناك سؤال يُحيرني.

التفت نحوها باهتمام كما العيون، لتسترسل...

- لماذا القاعة المحرمة تحديدًا؟

رفع آصف حاجبيه بعد فهم، فطرقت الطبق بملعقتها عدة مرات مُتتالية..

- لماذا يريد زارا تلك القاعة تحديدًا؟ أنت أخبرتني أنه حول قاعة أخرى إلى غرفة للعرش وقد وضع فيها كل شيء مُماثلًا للقاعة الملعونة حتى كرسي العرش تم صنعه نسخة مُطابقة للآخر.



هز رأسه تأكيدًا، فعاودت....

- لماذا يُريدها إذًا؟ لماذا يسعى خلف فتحها بهذا الهوس والجنون؟ تلك الأموال التي أنفقها على الحملات التي شنها على العوالم للبحث خلف آخِر الدماء منذ ليلة إلكاي كانت تُشيّد ألف قصر وألف قاعة مُذهبة لأجله، لماذا تلك القاعة؟

لم يُجب بشيء، فقد صدمه سؤالها بقوة، ألقت عقله في قاع هاوية مُظلمة مُخيفة كيف لم يُفكر يومًا «لماذا!» اعتدل تيام وهو يضع طبقه....

- لأن بها اللعنة، لا يهم كم قصرًا يُشيد تظل لعنته محفورة داخل تلك الغرفة وحدها، سوف تُطارده حتى آخِر أنفاسه ولن تُحل إلا بفتحها وهذا لن يحدث إلا بإسالة آخِر دماء النور على الباب الدموي.

أمالت رونا رأسها تأكيدًا، كم أكدت همهمات الجميع، حين عاودت سيا جذب انتباه آصف فالتفت نحوها وهي تتساءل من جديد....

- ألا يمكنني التجول في أي مكان على السديم خارج روكان؟

- إن كان انتقالك إلى السديم باستدعاء كما يحدث فلا يمكنك الذهاب سوى للمكان الذي استُدعيتِ إليه.



- وإن انتقلت وحدي وبكامل إراداتي!
- يمكنك الانتقال إلى حيث تشائين.
- كيف؟
- ركزي كامل تفكيرك وطاقتك على المكان الذي تريدين الذهاب إليه، وكلما حددت المكان بمعالم مميزة رأيتها سابقًا يكون انتقالك أسهل وأكثر دقة في تحديد البقعة التي تريدين أن تتواجدي بها.
- إلى أين تودين الذهاب؟

تساءلت رونا باهتمام، فألقت نظرة نحو العيون المُهتمة...

- جميعنا يعرف أنني مهما امتلكت من قوة لن أستطيع هزيمة زارا وحدي، حتى وإن كنت لعنته الموعودة أو حتى النبوءة المشؤومة، ولا حتى وأنتم معي ولا بجميع الطرائد مُجتمعين، ليس أمام رجل مثل زارا وسطام وجيوشه من أمامه وأخزم وسحره وقوته من خلفه، يفصل بيننا عوالم وبوابات يتحكم هو فيها، فلحظة عبورنا بأجسادنا كاملة للجهة الأخرى ستكون لحظة نهايتنا.
- هذا صحيح.... بالفعل.

سرت همهماتهم، لتسترسل وهي تنظر إلى رونا، وتضع طبقها أرضًا..

- لذلك أعتقد أن طريقتك يا أمي هي الخيار الوحيد



المطروح الآن، لكن مع تعديل بسيط فيها.

ضيقت رونا بين عينيها بعدم فهم، فلا تذكر طريقة محددة تجعلها تنتقل للجهة الأخرى، لتسحب سيا نفسًا عميقًا....

- أن نبدأ بعقد التحالفات.. لكن ليس مع الطرائد، وليس على الأرض.

تبادلوا النظرات بدهشة بينما تحمست عين الفتاتين، لتُكمل....

- نصنع لنا حلفاء لكن.... على السديم ذاته.

- حلفاء على السديم؟!

- نعم يا أمي يأمنون لنا عبورنا على الجهة الأخرى، ويقفون معنا ضد زارا وجيوشه.

تبسم آصف بنظرة إعجاب لها، وهي تُزيد....

- إن كنا نريد العبور للجهة الأخرى فعلينا العبور من الداخل وليس من الخارج.

- وهل وقع اختيارك على حليف بعينه؟

جاءت نبرة تيام باهتمام، لتُجيب وهي تُشير إلى آصف....

- أنت أوحيت لي به حينما حدثتني عن تاريخ الممالك الخمس ومدى قوة كل منها وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية.

- أعتقد أنني بت أعرف من أين ستبدأين.



- لا تكن حذقًا معي يا آصف.

«تليد» تبسم آصف بثقة، لتهز رأسها بابتسامة، وتصفق رونا بإعجاب....

- تلك ابنتي.. لابد وأن تكون تليد، فهي الأقوى بين الجميع.

- لكن تليد بعد المجزرة الأخيرة التي ارتكبها زارا لن نستطيع عقد تحالف معهم، فالخوف يسيطر على الجميع الآن، ومن يمكننا عقد التحالف معه وجميع قادة القبائل صاروا أتباعًا له!!

علق تيام لتمتعض رونا بضيق لأنها تعرف أنه محق، لترد سيا بهدوء..

- على العكس، إن تليد بعد تلك المجزرة تحديدًا باتت ملك أيدينا، فقد سهّل علينا مهمة إقناعهم، فقام بالعمل الشاق وحده، فالصدور الآن مُوغلة بالحقد والكراهية ضده أضعاف ما كانت عليه بالسابق، فقد قتل قادتهم وحاكمهم وزهرة أبنائهم في مجزرة علنية، وليست خلف أبواب مُغلقة!! فهل ستجد حليفًا أفضل منهم ضده!! ومع من سنعقد التحالف؟ مع الشعب.. نحن لن نعقد تحالفات مع قادة وحكام يسكنون القصور ويتنعمون في خيرات ليست من حقهم، بل سنعقدها مع الرعية المُهانة المطحونة التي تُنتهك حقوقها، تُسرق



أحلامهم، ويُدهس رجالهم، ويُقتل أبناؤهم، وتُنتهك نساؤهم، المقهورين تحت سلطة الحكام والقادة وسطوة المصالح، الذين تركوهم للجوع والفقر والظلام والمرض، هؤلاء وحدهم من نستطيع الوثوق بهم، وسوف يضمنون لنا ليس العبور فقط بل ورأس زارا وكل كلابه المسعورة.

بابتسامة من جانبها وهي ترسم هرمًا مقلوبًا ثم تفصل رأسه عن قاعدته.

- إن أردت أن تتحالف فتحالف مع القاعدة وليس مع القمة، فالقمة هي أول من يسقط حين يضرب الزلزال، لكن القاعدة دومًا قويّة وراسخة وستصنع لك ألف قمة جديدة لتجلس إليها.

ثم التفتت نحو آصف الذي كانت تلتمع عينه إعجابًا بذكاء تلميذته....

- لكن دعني أُخيب أملك أستاذي العزيز، لأنني لن أبدأ أولى تحالفاتي مع تليد، هي قادمة.. لكن ليس الآن وليست الأولى على قائمتي.

فغر الجميع فاهه، وجحظت عين آصف....

- ماذا؟ ليس هي!!

هزت رأسها نفيًا، وهي تسترسل بابتسامة خبيثة....

- تليد هي الأهم استراتيجيًا لأن بها مناجم سودي الوافرة التي تقوم عليها النسبة الأكبر من اقتصاد



السديم، وهذا يجعل زارا يطوقها بعيونه وآذانه في كل شبر وفي كل لحظة، الجميع ساخط وغاضب هذا صحيح، لكن بها أيضًا الجبناء الخونة المنتفعون الذين سلموا أبناءهم وقادتهم لإعدامهم، ونحن نحتاج حليفًا لا تقل أهميته عن تليد بل يفوقها، لكن ليس استراتيجيًا ولا اقتصاديًا، لكنه يفوقها أمنيًا كون لا توجد عيون أو آذان لزارا فيه، حليف لم يستطع بكل قوته وجيوشه إخضاعه لسلطانه حتى الآن.

«دهام!!» جاءت نبرته مذهولة، فصفقت.....

- أحسنت يا آصف استمر قد تقرأ أفكاري يومًا، دهام هي أفضل حليف لنا يا سادة في اللحظة الراهنة.

- تريدين الذهاب إلى كهوف الظلام!!

احتدت ملامح رونا المذهولة، لتهز رأسها تأكيدًا، فيرد تيام بدهشة...

- دعيني أستوعب الأمر، أنتِ تريدين الذهاب إلى دهام! معقل السحر الأسود في السديم! مملكة كهوف الظلام التي لم يستطع أحد دخولها منذ حروب الظلام الستة! ولا ملكات النور، ولا حتى زارا بكل جبروته وسحره وجيوشه استطاع مجرد الاقتراب منها!! أنت تريدين دخولها وعقد تحالف معهم ليحاربوا لأجلك!! هل هذا ما تفكرين فيه أم



أن الأمر اختلط عليَّ؟!!!!!

- أحسنت يا تيام في توضيح أهميتها أمام الجميع، لكنك أغفلت شيئًا واحدًا صغيرًا! أن هناك من دخل إلى كهوف الظلام سابقًا وعقد معهم تحالفًا لم يخونوه حتى تلك اللحظة!

«سيسيليا!!» خبا صوت آصف كأنه يتذكر شيء لتتركز العيون حوله، فسخرت رحيل....

- أنتِ لستِ سيسيليا يا حمقاء.

- لكنني أحمل جزءًا من دمائها وحتى من اسمها، فدعينا نكتشف إلى أي مدى قد أحمل غير ذلك منها.

- هذا لن يحدث.

قاطعتهما رونا وهي تنتفض غاضبة....

- أنتِ لن تذهبي إلى هناك.. إياكِ والتفكير حتى في الأمر.

- دهام هي طريقنا الوحيد إلى الداخل يا أمي.

- لندخل عن طريق تليد، أنتِ قلتِ بنفسك أن الوقت مُلائم لعقد تحالف معهم.

- إنها أول من سقط ليلة إلكاي، أول من خان العهد، إن لم يجد زارا سبيلًا إليهم ما كان يجرؤ على فعلها، وأنتِ أكثر ما يعرف ذلك.

صرخت سيا لتحتد النظرات بينهما، هدأت من ضيقها



وتلطفت قليلًا وهي تضع يدها على كتف رونا التي يُمزقها خوفها على فتاتها.....

- آصف أكد أمامك أن لا أحد يستطيع إيذائي ما دام انتقالي غير كامل، لن يستطيع أحد هناك إيذائي وجسدي هنا تحت حمايتك.

- ستكونين داخل معقل السحر الأسود، السحر الأسود يا سيا لا أحد يعرف أي شر قد يضمرونه ولا أي قوة يمتلكونها، زارا بكل شره لم يجرؤ الاقتراب منهم.

- لن يستفيدوا شيئًا من إيذائي أمي، على العكس هم أعداء له مثلي تمامًا، ومن مصلحتهم أن نتحالف معًا ضده، وما أعرفه أنهم لم يخونوا عهدًا قط.

- وهي لن تذهب وحدها يا رونا.

التفت الجميع على صوت ريان الذي هم واقفًا....

- سأذهب معها.

- كلا... لن تذهب معي إلى أي مكان.

عقدت ساعديها، ليهز كتفيه.....

- لا تنسيْ أن أمي من دهام وأعرف الكثير عنها، وقد ذهبت إلى هناك أكثر من مرة، تحتاجين مرشدًا حتى لا تضل روحك بين العوالم، وكذلك أعرف من قد يساعدنا لإقناع حاكمهم.



- لن.. تأتي.. معي.. يا.. ريان.

- بل سيأتي.... إما أن يذهب معك وإلا لن تذهبي إلى أي مكان.

أنهت رونا الجدال، نظرت إليها سيا نظرة مُحتجة وقبل أن تفه حرفًا عقدت الأخرى ساعديها بنظرة صارمة....

- اقبلي أو ارفضي يا سيا.

نظرت نحوه نظرة مُغتاظة، وهي تهز رأسها إلى أمها موافقة، ونظراتها له تتوعده بغضب سوف يُغرقه، يعرف أنها قد تقتله لذلك، لكنه ما كان ليتركها تذهب وحدها وهو يعلم أنه لن يستطيع إثناءها عن قرارها، فما بيد قلبه وإن عجز عن منعها إلا أن يرافقها ويحميها، فهذا قدره في عشقها.

•••

بعد عدة أيام وفي مساء رائق جلس أربعتهم مُتحلقين حول النيران، ظلوا لكثير من الوقت في سكون يتبادل ثلاثتهم الصمت والنظرات التي تنتهي جميعها عند سيا، التي لم تُحرك عينها عن النار أمامها، مُلصقة ساقيها إلى صدرها ضامة جميعهم بساعديها، لتخرج رحيل عن صمتها بنبرة غاضبة....

- سطام هو ذراع الشيطان الحقيقية التي ستطولنا جميعًا في وقت ما.



- إلا إن قطعناها.

خرجت عن صمتها ولا زالت عينيها حيث هي ولم تُحرك اختلاجة بجسدها، ليتبادل ثلاثتهم النظرات المشدوهة وتتساءل رحيل بصوت مُتحمس يشوبه سعادة على غير عادتها....

- ما الذي تفكرين فيه؟

- سأقتل سطام.

فغر ثلاثتهم أعينهم بذهول يشوبه الفزع، بينما رفعت عينها تنقل نظراتها بينهم، ليعتدل ريان في جلسته....

- أنتِ لستِ بوعيك!

- كيف سنفعلها؟

زادت حماسة رحيل، لتهتف دلين وهي تنظر إليها....

- قتله ليس بالفكرة الهينة أبدًا يا رحيل.

- إنها فكرة مجنونة.. ولا محل لنقاش كيف وهي مرفوضة من الأساس؟

سخط ريان، لتلتفت نحوه رحيل بضيق....

- اصمت أنت يا ريان.

- نحن نتحدث عن قائد جيوش السديم، تعتقدون أن قتله أمر هين! هذا الرجل قتل عددًا لا يُحصى من أعتى محاربين النور، وقادة جيوش الممالك التي حاولت أن تنتفض ضد زارا سحقها بأكملها؛ وكيف



سنصل إليه؟ جميعنا يعلم أنه لا يذهب إلى مكان وحده، عند المخزن جاء بكتيبة كاملة، وبعد ما حدث هناك سيأتي ومن خلفه جيش من أقوى قتلة المعبد، جيش لا قبل لنا به يا سيا.

علقت عين ريان الغاضبة بها، لتلتفت دلين إلى رحيل....

- ومن المؤكد أن لا أحد من الطرائد سيكون لديه الشجاعة ليُحارب معنا ضده، مما يعني أننا وحدنا وأربعتنا لن يستطيع التغلب عليه وإن كان بمفرده فماذا عن جيشه! والذي لا يبتعد عنه خطوة!

ظلت عين سيا ورحيل مُعلقة ببعضها البعض كلتاهما لا تسمعان غير كرههما له وما سلبهما إياه، ليغلي صوت رحيل.....

- سطام قتل أمَّكِ وأنتِ طفلة، ووالدك ذبحه أمام عينيك، كما قتل أبويّ أمامي، وأنت يا ريان ألم يقتل أباك؟ ودلين قتل أمها.

أحنى كلاهما رأسه وكثير من ذكريات موجعة تنهش بقلبه قبل عقله، لتُكمل ولا زالت عينها في عين سيا....

- لن تجدي أحدًا على الأرض لم يُسفك له دم على يديه، إن قتلتِه أنا أول من سينحني أمامك ويُعلنك ملكة على عرش السديم.

- لن أقتله لتنحني لي، سأقتله لأنه قتل عائلتي،



وجاء دوره ليدفع ثمن جرائمه.

التفتت نحو ريان....

- لكنك مُحق سيكون من الصعب الوصول إليه، ولن يأتينا تلك المرة وحده بل سيأتي ومعه جيش فيه أقوى محاربي السديم.

تبسم ريان بشبح ارتياح، وتجهمت رحيل بضيق، لتستطرد سيا وهي تسحب عصا من الأرض وتُحرك بها النار أمامها.....

- سيأتينا بالجيش الذي أخضع الممالك بكاملها تحت سطوته، وأُطلق عليه بين العوالم جيش الظلام وأجنحة الموت، إن هزمناه أطبقنا سيطرتنا على السديم قبل أن نعبر إليه، ونضمن تحالف الجميع معنا، جيش نحن من سيفرض عليه قوانين القتال وأرض المعركة وموعدها، نحن من سننتظره، وستكون المفاجأة تلك المرة من نصيبهم.

تبسمت رحيل بعد تجهمها وفغر الآخرين عينهما دهشة، فزع ريان....

- أنت لا تفكرين حقًا بنصب فخ له ولجيش أجنحة الموت!! تعتقدين أن نستدرجه نحن إلى فخ هو أمر هين!! كدنا نموت جميعًا في المخزن.

- سطام لي بأي ثمن وبأي طريقة، حتى وإن عبرت إليه داخل السديم وحدي.



صرخت بوجه ريان، الذي أوغل النظر في الظلام الدامس في روحها قبل عينها، لتُهدئ من أنفاسها، ثم التفتت نحو النار مجددًا....

- إن أسقطناه وجيشه اهتز عرش السديم من تحت زارا، وفتحنا الباب للثورات والانتفاضات في الداخل، وضمنا تحالف دهام وتليد دون عناء، وباقي الممالك ستأتي إلينا وحدها.

لتزداد ابتسامة رحيل....

- كيف سنستدرجه؟ لابد وأنك تخططين لشيء ما؟

- أعرف كيف أجلبه إلى هنا.. ما من جائزة يسعى خلفها سواي.

- أعتقد بالفعل هذا كافٍ لجلب زارا بحد ذاته، لكن ماذا عن الجيش؟

تساءلت دلين، لتهتف رحيل بنظرة مُتحمسة....

- يمكننا أن نتكفل بأمره إن أحكمنا الفخ بذكاء.

ليزداد غضب ريان....

- نحن لن نستطيع الوقوف أمام سطام وجيش الموت مهما امتلكنا من ذكاء، هم الأقوى والأشرس والأسرع ويفوقوننا بالعدد والعتاد أضعافًا.

- إذًا لنهرب.

التفت نحو سيا ثلاثتهم بدهشة، وغُلقت عينها بعين ريان وهي تسترسل.



- لنهرب يا ريان.. لكن انتظر لحظة ودعني أفكر لثانية لأين سنهرب وزارا يركض خلفنا على امتداد العوالم؟! لقد حاولت الهروب سابقًا وأبي من دفع الثمن، حتى وإن فعلناها لن يتركنا هو، لا أريد العرش ولا أسعى خلفه لكنني لن أهرب مجددًا، لأنه لن يتركني أهرب ولا أنا سأتركه يفعل، الدائرة غُلقت على كلينا وما عاد لأحد منا سبيل للفرار.. هل فهمت؟

نقلت عينها بين ثلاثتهم....

- جميعنا نريد دماء زارا وسطام لكل ما فعلوا بنا، هم لم يتركوا لنا سبيلًا للهرب، ولا حتى بات خيار مطروح، لنجعلهم يندمون على ذلك، لنجعله يتمنى لو أنه تركنا نرحل، ألسنا الهجين لعنتهم المشؤومة! دعونا نُرِهم كيف تكون اللعنات بحق، لتكن معركة حاسمة بيننا، إما نقضي على سطام وجيش الموت ونُخلخل عرش السديم ونقض على زارا مضجعه ونرد له الضربة أضعاف، ونضمن تحالف الجميع معنا، وإما..

- نموت جميعًا.

أكملها ريان بضيق، لترفع دلين حاجبها وهي تُمعن النظر في النار....

- الهروب أيضًا موت يا ريان، ولا أرى أن الموت



بطريقة سيا سيكون سيئًا، على العكس أراها الطريقة الأفضل إن كنا في نهاية الطريقين سنجد الموت ينتظرنا، لنمت ونحن واقفون على أقدامنا أفضل من أن نمت ونحن راكعون لخوفنا ولهم.

- الاختباء موت بطيء مؤلم، لنمت ونحن ندافع عن حقنا في الحياة أفضل من أن نموت ونحن نختبئ من الحياة والموت وحتى أنفسنا، لنقف جميعًا أو لنسقط جميعًا.

أكملت سيا بنظرة ساخطة، لتهتف رحيل بنبرة واثقة....

- ربما هم أمامنا جبال صعبة العبور، لكنهم لا يتخطون كونهم جبالًا من قشٍّ، ونحن لهم عود ثقاب مُهمل على قارعة الطريق، لكن لا أحد يعرف مدى الضرر الذي قد يحدثه عود الثقاب إن اشتعل في غابة راسخة الأركان، فما بالكم بجبال القش الواهية؟!

- دعونا نُشعله إذًا.

أكملت سيا لتهتف دلين بحماس...

- يسعدني كونكما اتفقتما على شيء في النهاية.

ابتسمت لها رحيل، مدت سيا يدها أمامها فوضعت رحيل يدها فوقها دون تردد لتتبعهما دلين زفر ريان وعيون ثلاثتهم معلقة به، فهز رأسه بضيق ووضع يده



فوق أيديهن، تبادل أربعتهم النظرات المبتسمة وهم يفكون تشابك أيديهم، حين تساءل ريان...

- من سيطلب إلى الطرائد المُحاربة معنا؟

« **ليس أنا» «ولا أنا»** هتفت كلتاهما لتبتسم سيا بخبث....

- لن نطلب منهم.. بل سنُجبرهم.

- هم لا يحاربون منذ وطئت أقدامهم الأرض، إلا لحماية أبنائهم فقط، فكيف؟

- سندفعهم لذلك؟

تساءلت رحيل بعدم فهم، لتزداد ابتسامة سيا....

- ما رأيك يا دلين بإقامة حفل شواء؟

- أتقصدين!!

رفعت حاجبها بدهشة، لتُزيد سيا بخبث....

- بالضبط.. وأنتِ يا رحيل من ستتولين مهمة إحضار الآباء إلى الحفل، سيصدقونك إن وشيتِ أنتِ تحديدًا بي.

- فهمت.. أتعرفين.. لقد بدأتِ تُعجبينني.. على الرحب يا حمقاء.

غمزت رحيل بابتسامة، لتبتسم لها وهي تنقل نظراتها إلى ريان.....

- ريان سيتكفل بإحضار باقي الهجين إلى الحفل، وعليك التأكد من إحضار الجميع، والأقوياء منهم



من لديهم دماء سحرة ومهارات قتالية وتثق بهم عليك جعلهم بالمقدمة مُتأهبين لظهور سطام في أي لحظة كي يستطيعوا الصمود، حتى تصل رحيل بالباقين.

أومأ تأكيدًا، وهو يتساءل بقلق....

- يتبقى السؤال الأهم لنقل أننا نجحنا في نصب الفخ وجلب الجميع إلى أرض المعركة، نحن وجيش الموت، كيف سيتغلب ما يُقارب المئتين شخص، أو على أقصى تقدير خمسمئة إذا استطعنا جلب الجميع، نصفهم لا يعرفون كيف يحملون السلاح، على جيش قوامه خمسة آلاف مقاتل، هم في الحقيقة آلات مُدربة على القتل؟! ولسنا واثقين من كون ما حدث معكِ في المخزن سوف يتكرر مُجددًا، غير أنه ليس آمنًا حتى لنا نحن أنفسنا تكراره!

- لنترك هذا الأمر لرب السماوات، سيتكفل بكل شيء إن وثقنا به ثم بأنفسنا.

تبسمت سيا بخبث، وهي ترفع طرف عينها نحو النافذة التي يجلس آصف أمامها مُغمض العينين، يُحاول بكله اختراق حديثهم، لكن سيا احتاطت جيدًا لذلك، ونظرت إلى الدائرة التي رسمتها حولهم، ثم إليه مجددًا ورن صدى صوتها بعقله «**لا تحاول حتى، فقد**



حظيت بمعلم ماهر» فتح عينيه واعتلت وجهه ابتسامة صافية ونظر نحوها ورن صوته داخلها **«ويبدو أنكِ تغلبتِ على أستاذك العجوز بوقت قياسي، تهانيّ لكِ تلميذتي»** لتزداد ابتسامة كل منهما وهو يلتفت إلى الجهة الأخرى.

•••

في عتمة الليلة التالية، وسط عصف مُتوالٍ لأصوات الليل البارد، يقف أمام طاولته الكبيرة في منتصف قاعته الخاصة، داخل قصره شديد الحراسة، عينه مُثبتة على خريطة ممدودة أمامه لمملكة السديم، ينقل عينه بين تلك النقاط المُظللة على كل مملكة منهم! نقاط بعينها!! توقفت عينه للحظة، رفعها للأعلى قليلًا ثم سحب خنجره من طرف الطاولة حركه فوق الخريطة كأنه يرسم خطًا خفيًا عليها! أطفأ الشمعة بطرف الخنجر، ثم التفتت للجهة الأخرى، وبخطى وئيدة اتجه نحو شرفته وقف قريبًا من بابها ثم مد يده إلى الستارة بُغتة وأطبق يده على شيء بقوة وسحبه للخارج!!

ارتجفت عنقها تحت نصل خنجره وأنفاسها المذعورة كما عينها المُعلقة بعينه ليُقطب سطام حاجبه بدهشة **«دلين!!»** وبصوتها المُرتجف **«كيف حالك يا أبي؟»** أغمضت عينها تحاول أن تبتلع ريقها وقد

أمسكت بيده تحاول تخفيف قبضته عنها، ليظل للحظة على جموده ثم تلطفت أنامله بعنقها لتُمسك هي برقبتها تتحسس موضع الألم، تراجع خطوة عنها، جلس إلى حافة الأريكة....

- أين كنتِ كل تلك الفترة؟ لقد اختفيتِ من القصر بُغتة ومحيتِ كل أثر لكِ فلم أستطع إيجادك!

نظرت نحوه نظرة مترددة **«كنت على الأرض»** قطب حاجبيه واعتدل واقفًا **«ماذا!!»** ركعت أمامه وهي تحنى رأسها أرضًا وبنبرة انكسار ملأتها.

- ذهبت لأستحق احترامك وأستحق أن أكون ابنة القائد العظيم سطام.

زاد بشموخ وقفته أمامها، فأمسكت بيدها طرف عباءته وهي تحني رأسها **«لقد وصلت إليها يا أبي»** رفع حاجبه بعدم فهم، رفعت طرف عينها بعينه....

- آخِر الدماء.. ابنة زمردة.. لعنة العرش ونبوءته المشؤومة أصبحت بين يدي.

كادت عينه تخرج من محاجرها من هول ذهوله، لتستطرد بابتسامة فرحة.

- وليس هي فقط، بل ورونا والكاهن وجميعهم، أعرف أين يختبئ كل الطرائد وأبناؤهم الهجين على الأرض.

جلس إلى كرسيه، عقله يحاول استيعاب المفاجأة،



أتأتيه كل أحلامه مجددًا دون عناء وتُلقى تحت قدميه! فمنذ ذلك اليوم في المخزن وهو يحاول بكل ما أُوتي أن يقتفي أثرها أو أثر أيٍّ منهم دون جدوى، يُريد أن يسترد ثقة زارا ومكانته عنده والتي قارب أن يفقدها ويفقد معها رأسه كونها أفلتت من قبضته، رفع عينه نحوها، وأشار إليها بأن تجلس بجواره ففعلت وبسمة ودود تحتل جبينه....

- لماذا هربتِ دون أن تخبريني وجهتك؟

- خشيت ألا تسمح لي، والأهم خفت أن أفشل في إيجادها فيزداد رفضك لي فأريدك أن تفتخر بكوني ابنتك، وتعرف أنني لست فاشلة مثل أمي.

ربت على كتفها بابتسامة، ثم أطبق يده على عنقها، لتشعر بروحها تُسحب من بين ضلوعها، وهو يرى مشاهد مُتلاحقة لرونا وسيا، والكثير من الطرائد والهجين يعبرون في ذاكرتها في مشاهد مُتلاحقة، حتى استقرت في تجمعهم حول النار وحديثهم عن قتله فتركها، راحت تتلمس عنقها وتسترد أنفاسها الضائعة، ودموع الألم مُحتقنه بجفنيها، ليبتسم وهو يقف....

- أتلك الطفلة الحمقاء تُخطط لقتلي أنا! قتل قائد جيوش السديم سطام العظيم!! أحقًا تفعل!!!

انفلتت عنه ضحكة مُقهقهه ساخرة، لتتلعثم دلين.....



- هذا ما أتى بي الآن.. لتحذيرك أن تقع بفخها أبـــــ..
- هل فقدت عقلك!!
قاطعها بصيحة غاضبة. ألجمتها للحظة، أحنت رأسها....
- تلك الفتاة قوية يا أبي ولديها مهارات لم أرها في غيرها.
ازدردت ريقها....
- وأنت بنفسك شاهدت ما تستطيع فعله.
تحسس جرح وجهه الذي خلف ندبة أسفل عينه، باحتقان غاضب وهو يتهادى بخطوتين نحو الشرفة....
- إنه سوارها ليس إلا.. لماذا لم تجلبيها لي منذ البداية؟
- آصف ورونا لا يبعدونها عن ناظريهما ولا للحظة واحدة، خاصة بعد ما حدث، لكنني جئت بها إلى حفل الهجين قبل عيد مولدها، حينها لم تكن بتلك القوة لكن الأحمق نواه لم يستطع أن يظفر بها، ظهرت رونا وقتلته.
- الغبي!
امتعض بحنق، صمت لحظة واستدار نحوها....
- وما هي خطتها لقتلي؟
- استدراجك للأرض، ستُرسل لك أحد يشي بمكان وجودها، تعلم أنك تريدها بأي طريقة، ثم تأتي



أنت للفخ، وبعدها تقتلك.

- دعينا نرَ إذًا من سيقتل الآخر.

همت واقفة خلفه بوجل....

- لدي خطة لنظفر بها دون أن يعي أحد، وبنفس الوقت نأمن سحر سوارها، سوف تُرسل بعض رجالك للفخ حتى تنطلي عليها الحيلة وتصدق أنك وقعت في فخها، وكل ما أحتاجه هو حجرا سودي الأحمر وآخَر أزرق، وبهما فقط سأقضي عليها دون عناء، فحين يلتهي الجميع وتنشغل رونا ستكون بمفردها وسط المعركة.

- حينها سأظفر بها.

- لن تستطيع يا أبي.

التفت إليها بنظرة ساخطة، فابتلعت ريقها وهي تُنحي عينها بعيدًا عنه.

- أقصد لن تدعك رونا أو أيٌّ منهم تقترب منها، الجميع يحميها، أعلم ألا أحد منهم يُضاهيك لكن سيموتون جميعهم دونها، وستُولِي الفرار كما حدث يوم قتلت أباها، أو يحدث الأسوأ وتخرج قواها عن السيطرة، وتلك المرة لن تستطيع أن تجدها مهما حاولت، ولا حتى أنا، ولن نظفر بفرصة ذهبية أخرى لأنفرد بها بعيدًا عن الجميع، المعركة ستوفر لي ذلك وحين اقترب منها لن يشك أحد، على



العكس أن أكون جوارها أمر طبيعي، ورجالك يبقون الجميع منشغلين بالمعركة وحينها سأظفر بها لأجلك.

هز رأسه موافقة، لتسترسل بنظرة قلقة....

- لكن أرجوك يا أبي أتوسل إليك ألا تأتي بنفسك، تلك الفتاة ذكية وقوية وورثت عن أسلافها الكثير، وتكرهك بكل ما أوتيت في الحياة، وتريد رأسك بأي ثمن.

- تعتقدين أن أباك قد يخشى فتاة هجينة وضيعة!! دعيها تنصب الفخ الذي ستدخل إليه بقدميها.

- أرجوك أبي استمع لي ولا تأتِ، إنها تكرهك وستُجازف بكل شيء لقتلك.

أمسك يدها وهو يُمعن النظر بعينها....

- أن تخافي لأجلي لهو شيء يمس قلبي كثيرًا يا بنيتي.

ثم زاد إطباقه بغلٍ شديد حتى كاد يفتك بمعصمها، تأوهت وذرفت دمعاتها المتألمة، ليهمس بحنق في أذنها....

- لكنه يُقلل من قيمة أبيك أعظم قائدي جيوش الظلام والنور.

- آسفة يا سيدي.

أومأت تأكيدًا بدموعها، تركها لتزدرد ريقها وتمسك



بمعصمها المتألم.

- عليَّ العودة الآن قبل أن يشك أحد بغيابي.

- ألن يكتشف أي منهم كونك أتيت وخبرتني؟

- لا تقلق معي هذا.

سحبت قلادة من حول عنقها مُخبأ بداخلها جزء من حجر أحمر صغير، ليهتف بنظرة غرور....

- النابض بالأحمر.. أنتِ ابنة أبيكِ حقًا.. يُخفي أثرك وأفكارك جيدًا.

ربت على خدها....

- سوف تكون مكافأتك من مولانا زارا عظيمة، فربما يُكافئك بأن يضعك بجواره ملكة على السديم، ومني ستكون أضعاف ما تطلبينه.

زادت ابتسامتها وتهللت أساريرها بفرح غمرها، أعطاها ضعف ما جاءت من أجله، وانصرفت بعد أن أخبرته بالموعد المُرتقب للفخ الذي ينصبونه له ولجيشه الذي قرر زيادة عدده بألف مُقاتل آخَر تحسبًا ليس أكثر، سيكونون على الجهة الأخرى من البوابة ولن يعبروا إلا إذا دعت الحاجة إليهم، فلا بأس أن يحتاط للأمر، هو لا يخشاها، فما حدث لا بد أنه كان بسبب السوار، فإن أرسل رجاله دونه سيعتقدون أنه خائف من مجرد فتاة وضيعة، وتهتز قوته وسلطته بينهم وبين الجميع، ويفقد ثقة زارا للأبد وهذا ما لن



يتركه يحدث بأي ثمن.

حينما عادت التقتها سيا بالفناء، شكلها بدا مُتعبًا وعيناها لا تزالان دامعتين، وألف خاطر يضرب داخلها، لتُوقفها وهي تتساءل بحيرة من هيئتها.

- دلين هل كل شيء يسير معكِ بخير؟

- نعم نعم... أنا فقط يُجافيني النوم قليلًا.

- أتريدين أن نتمشى معًا؟ فأنا أيضًا لا أريد النوم الآن.

تلجلجت وهي تلتفت للجهة الأخرى....

- كلا فأنا مُنهكة كثيرة، أريد الذهاب إلى النوم.

- أتريدين أن نتحدث قليلًا عن القادم؟

- كلا فقط أريد النوم، لنتحدث صباحًا.

أومأت إيجابًا واتجهت دلين وهي مُطبقة على قلب قلادتها إلى الداخل، بينما جلست سيا إلى حافة صخرة قريبة من شجرة عتيقة في الفناء تُفكر في اليوم المُنتظر وصورة أبيها وأمها لا تُفارق يدها كما حُفرت في مُخيلتها.

•••



التاسع

لنسقُطْ جميعًا!!



في مساء الليلة الموعودة، أخبرت رونا بأنها ذاهبة مع دلين لتتمشى قليلًا وتُفرج عن نفسها ضغط الفترة الماضية، رحبت كثيرًا بالفكرة فهي تريدها أن تخرج من كل تلك المواجع والأفكار السيئة، وتخفف عن كاهلها أعباءً تُجهد روحها قبل عقلها، وصلتا إلى مكان بعيد وسط الصحراء، كانت الحفلة بالفعل قد بدأت، قبل أن تهبطا من السيارة، أمسكت سيا بيد دلين فجأة....

- أشكرك على كل شيء تقومين به لأجلي.

التفتت نحوها دلين، ازدرد ريقها بابتسامة قلقة....

- الشكر لكِ أنتِ يا صديقتي على كل شيء.

وقبل أن تُغادرا السيارة أوقفتها دلين **«سيا»** فالتفتت نحوها وقد ملأت ابتسامة عذبة وجهها.....

- اعلمي بأنك أفضل شيء حدث لي، برغم كل شيء وبرغم ما سوف يحدث وما سوف يكون، أنا آسفة إن لم تسرْ الأمور كما خططنا لها.. أنا حقًا آسفة.

حركت سيا كتفها بطريقتها المعتادة....

- سيكون كل شيء على ما يرام.

- أكيد.

حركت دلين كتفها بنفس الطريقة بابتسامة، فضحكت سيا من طريقتها في مُحاكاتها وهبطت من السيارة، انفلتت دمعة من عين دلين مسحتها سريعًا



وتبعتها بالنزول، لم تكن الحفلة تختلف كثيرًا عن أول حفلة التقتهم فيها، إلا أن عدد الحضور من الهجين كان أضعافًا، والمكان بالكامل خاليًا إلا من خيمتين بعيدتين بعض الشيء عن تجمعهم يقف أمامهما مجموعة من الفتية، وبعض الأشجار المُتفرقة، وهي الليلة تختلف كليًّا عن سابقتها! التف حولهما الجمع، بدأوا بالغناء والرقص وتبادل المشروبات، كل شيء يسري كما خططوا له، عينها تتابع كل شيء حين التقطتها يد ريان، الذي اختطفها إلى صدره، يرقص معها، لتنظر نحوه بتحدٍ وهي تُبعده عنها....

- هل طلبت إليّ الرقص؟ وهل قبلت أنا؟

- وهل يجب عليّ فعل ذلك؟

عقدت ذراعيها، وقد رفعت طرف حاجبها بنظرة مُستنكرة، فاقترب منها وهمس بنبرته الرخيمة....

- عفوًا يا ملكتي على جهلي بأصول التعامل مع الملكات، فلم يسبق للعبد الفقير إلى الله أن وقع بعشق الأميرات من قبل.

زاد باقترابه وهمسه....

- فأنتِ أول أميرة أُقابلها، وأول ملكة تمتلك قلبي، وأول امرأة أقع صريع عشقها، وأول كل شيء رائع أعيشه منذ ولدت في هذا العالم البائس، الذي لم أرَ فيه شيئًا جميلًا إلا ما ينعكس ظله بحدائق عينيك،



وما لا يمر بينهما فهو رُكام لا قيمة له.

تراجعت عدة خطوات، تُحاول جاهدة أن تجد أنفاسها مُولية الفرار، وتُسكت نبضها المُتراقص فرحًا، انحنى قليلًا وهو يمد يده نحوها.....

- هل تتلطف وتتعطف مولاتي، وسيدتي، ومليكة قلبي وملكته، بأن تغمر أحد رعيتها بكرمها وتقبل أن تمنحه رقصة تُحيي بها روحه!

- وهل أستطيع رفض طلب أحد رعيتي المخلصين!

تبسم كلاهما، ضمها إلى صدره، فأسكنت رأسها كتفه، وقد أغمضت عينها وتمنت لو أنها كانت لا تزال سيا الفتاة العادية البائسة، ليت كل شيء يعود إلى سابق عهده، ليت كل شيء توقف منتصف الحفل السابق حين قابلته أول مرة، تمنت لو تعود إلى تلك اللحظة وتُوقف الزمان أو تُعدل مساره ليعود كل شيء إلى حيث كان، أو يتخذ مسارًا لا تكون الدماء أرضه، والخيانة كل ما يُغطي سماءه، ومستقبله مرهونًا بأرواح الأبرياء، فحين يصير الحلم لعنة تُطاردك يتحول كل شيء إلى كابوس مُفزع يُدمر الأخضر واليابس، ويقُض جدران روحك المُتهالكة، أفاقت من تمنيها على صوته.

- أين ذهبتِ؟

- لا شيء أفكر فيما سوف يحدث الليلة.



- أريدك أن تُوقني بشيء واحد فقط.. أني أُحبك، وسوف أفعل كل شيء وأي شيء لأجلك وأجل حمايتك.

- أحبك يا ريان.

توقف في موضعه، أغمض عينه وفتحها وهو يرفع يده بتوجس....

- أنتِ قلت شيئًا الآن.. أقسم أنّي سمعتك تقولين شيئًا!

رفعت حاجبها وابتسامة تُجاهد أن تواريها...

- قلت إن كل شيء سيكون بخير.

- أنتِ لم تقولي هذا!!

- بلى... هذا ما قلته.

هزت كتفيها، فاغتاظت عينه، التفتت إلى الجهة الأخرى فلم تعد تستطيع كبح ابتسامتها أكثر، تركتها لتتجمد على شفتيها حين بدأ السوار يتحرك حول معصمها، تلاشت ابتسامة الحبِّ الرائقة واحتلتها ابتسامة الحرب الحانقة، التفتت نحوه مجددًا عادت تراقصه وهي تهمس **«لقد حضر ضيوفنا الأعزاء»** فانتصب عقله وكل ذرة فيه، رفع عينه نحو شخص ما وأمال رأسه بحركة إيجابية، ليلتفت الآخَر للجهة الأخرى ويُحرك رأسه بنفس الطريقة، والثالث والرابع حتى وصلت الفتية المتحلقين حول الخيام!! اقتربت



دلين منهم وتهمس بداخلها «**أتمنى من كل قلبي ألا تأتي يا أبي**» انتبهت على عين سيا تُشير إليها بأن الوقت قد حان، فاتخذ كلٌ منهم مكانه المتفق عليه!!! وعادت تُبحر النظر في عين ريان «مهما حدث لا تفزع، وثق بي» فمسح على شعرها «**مهما حدث لا تفقدي السيطرة**» نظراته كانت قلقة فقبلته دون سابق إنذار «**أُحبك**»

•••

ظهرت رحيل ومن خلفها رونا والكثير من الطرائد فتوقفت الموسيقا فجأة واعتدلت سيا في وقفتها، وعين رونا المُتجهة نحوها يتطاير منها الشرار، وكل ما بها ينتفض غضبًا....

- هل فقدت عقلك؟ ما الذي تفعلينه هنا؟

تراجعت خطوة للخلف ثم التفتت للجهة المقابلة....

- أتوقف عن الهرب يا أمي، لن نهرب مُجددًا.

ثم استدعت سيفها، تعجبت رونا وشعرت أن شيئًا غير صحيح يحدث، ليست مجرد حفلة مجنونة في توقيت قاتل! تلفتت حولها لتجد ريان استدعى سيفه كما فعلت رحيل والكثير من الهجين بدأوا بالتتابع فعلها على مسافات مُتقاربة، لتتابعهم عين الآباء التي لا تفهم شيئًا، تلك اللحظة التي انطلقت الكثير من السهام تجاههم، فصرخت رونا بهم أن ينحنوا فانحنى الآباء



جميعًا إلا الهجين لم يفعلوا! وقبل أن تصل السهام مكانهم بأمتار قليلة ارتطمت جميعها بسد في الهواء وسقطت! دُهشت رونا حتى كاد قلبها يقف، كيف حدث هذا، هل استطاعت خلق هذا الجدار! لكن الإجابة تقبع بأحد الخيمتين التي تجلس بداخلها ثلاث فتيات مُتحلقات يُمسكن بأيدِ بعضهن البعض، ويُتمتمن بتعويذة الحماية لخلق هذا الجدار وجعله مُتماسكًا أطول وقت ممكن، تحرك ثغر سيا عن شبح ابتسامة خبيثة وهي ترفع يدها نحو الظلام وتُشير له أن يأتي! تجهم سطام بامتعاض، ويجز على أسنانه سخطا، وهو يراها تُشير له وتتحداه علانية أمام جيشه بأكمله أن يُهاجمها **«سأقتلع قلب تلك الهجين الوضيعة، ولا أهتم إن كان زارا يرُيدها حية، فهي الليلة ميتة.. وعلى يدي»** صرخ غضبه بداخله، وأشار لجزء من جيشه أن يتقدموا نحوهم، ليظهروا من الظلام، فصرخت رونا وتيام أن يتراجع الجميع، لكن لا أحد تحرك فثبتوا بأماكنهم، والدهشة تغمر ذويهم، لماذا هم ثابتون إلى هذا الحد! كيف لم يهلعوا أو يخافوا مثل ما كان يحدث في السابق! اعتقدوا أنها تسيطر عليهم بشكل ما، لكنهم لا يعرفون أنه قبل أن يُنهي ريان عرضه على أي منهم، كان يقبل ويتحمس للمواجهة، والجميع يعلم قبل أن يأتي ما هم مقدمون عليه،



وجميعهم أتى حتى قبل الموعد المُحددا!! فقد ملوا الاختباء والهروب، لا يريدون أن يقضوا الباقي من حياتهم مثل ذويهم، مُرتعبين من كل شيء، يغيرون أسماءهم وأماكنهم ويختبؤون من حقيقتهم، لأجل ذنب لم يجترموه؛ صاح أحدهم بها....

- ماذا فعلتِ بهم؟

لتلتفت نحوهم، وهي تنظر إلى الفتية.....

- من يرغب منكم أن يتراجع فلا زالت أمامه الفرصة، اهربوا إن كنتم تريدون، لن يُجبركم أحد أن تحاربوا، لكن وأنتم تهربون انظروا إلى أبائكم جيّدًا لأن هذا هو مستقبلكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم الذي ينتظركم، أن تختبؤوا خلف جدران الخوف وأن تموتوا خلفها.

لتسري الهمهمات العالية بينهم «**لن نهرب مجددًا.. إمّا أن نموت الليلة، أو نعيش أحرارًا لا عبيدًا للخوف والاختباء وزارا.. الموت أفضل من أن يكون هذا مستقبلنا..**» وقبل أن تحاول رونا فعل أي شيء تُجبرها به على التراجع، وصلت أقدام سطام إلى جدار الحماية الذي اصطدم به جنوده، والذين لم يتوقفوا عن إطلاق السهام والرماح عليه ليسقطوه دون جدوى، تبسمت له من جانب فمها بحنق كارهة، ليزيد حنقه....

- سوف أقتلع قلبك بيدي كما فعلت بأبيكِ وأمك.



لم ترد بشيء، فكان تركيزها مُنصبًا على شيء آخر! عينها التقطت هذين الصقرين الذيْن حلقا فوقهم، يُشبهان الصقر الذي رأته عند باب الكهف سابقا، حلقا حتى حطا على غصني شجرة قريبة، أراد أحد الفتية اصطيادهما لكنها منعته! بدأ الجدار يضعُف، وينفذ من خلاله بعض الجنود، فأشارت لأحد الفتية عند الخيمة الثانية والذين كانوا انتهوا من توزيع السيوف على الآخرين، ضيق سطام بين عينيه وهي تجول بينهم حتى وقعت على دلين، فطالت النظرة بينهما، ثم احتلت جبينه تكشيرة غاضبة، وهز رأسه وقد زادت ملامحه ضيقًا ودارت نظراته بهم مجددًا **«كم سأستمتع بتقطيعكم جميعًا»** ثم حول عينه نحو سيا **«وسوف أبدأ بكِ»** أشار لجنوده فانطلقوا بكل قوتهم لتوسيع الفجوة التي انفتحت في الجدار، فالفتيات خارت قواهن وغلب عليهن الوهن واحدة تلو الأخرى، لتزداد ابتسامته المُتشفية بها، دخل جزء من رجاله، انطلق نحوهم ريان والفتية، بينما انطلق تيام نحو رونا وبدأوا بتنظيم الصفوف، بدأت الثغرة تزداد وتزداد معها وتيرة القتال، رحيل وريان يقاتلون بقوة وحماس كي يظفروا بالوصول إليه فكلاهما مات أحد أبويه أو كلاهما على يده، سقط الجدار تمامًا وارتفع الغبار بأرض المعركة، وعلا صليل السيوف يُوقظ الليل



الساكن والزمان بينهما.

تقدم سطام نحوها بخطى سريعة صارمة كما فعلت هي، أطبقت يدها بقوة على مقبض سيفها، كلٌ منهما يُقاتل من يعترض طريقه للآخر، يشق هو كل من يعترضه كالدمى، وأصابتها هي الكثير من الضربات فتركت بعض الخدوش والجروح لكن السوار يوفر لها الحماية الأكبر، ورغم نزيفها وألمها إلا أنها لم تشعر سوى بألم روحها ورغبتها العارمة بالانتقام من قاتل أبيها وأمها وخيانته لعائلتها، فكرهها له طغى على أي ألم جسدي تشعر به، وبات لا يرى أحد منهما وسط غبار المعركة الدائرة سوى الآخر، بينما ترقب دلين المشهد من موقفها فلم تتحرك قيد أُنملة من موضعها!

تلاقى كلاهما بالوسط، الغُبار يتطاير من حولهما والسيوف تصدح بدماء الجميع، ويصرخ الصمت بفزع من صياح الحناجر المُحتدمة، حين صارا مُتقابلين تعانق سيفاهما في الهواء اهتزت الأرض من أسفلهما وصدحت السماء والليل بصوت اصطدامهما، واحدة تغلي بكرهٍ لمن قتل عائلتها، بينما صدره ينضح حنقًا وغلًا منها فلن تكون نهايته على يد حشرة هجين، قتاله جسور عنيد فيعلم أن الجحيم ينتظره إن لم يظفر بها، وتُوقن أنها لن تستطيع التغلب عليه أو حتى مضاهاته، لكنها أبدًا لن تستسلم فقد جازفت بكل شيء لتصل به



إلى اللحظة الراهنة والمُرتهن عليها كل ما هو قادم! تعلم أنها تخطت نقطة الرجوع، فباتت الليلة قاتل، فكونها المقتول خيار غير مطروح! فلن تُصفى دماؤها على الباب الدموي، لن يذهب موت أبويها سُدى.

تحاول رونا الوصول إليها وسط العراك المُتأجج لكن محاربي الظلام يفوقونهم أضعافًا وأكثر صلابة وسرعة، فليس في قلبهم ذرة من خوف لهؤلاء الطرائد، فزعهم الوحيد العودة خائبين لزارا! فالموت هنا والآن أفضل مصير.

وجه لها ضربة كادت تفتك بها، انتفضت لها عين الصقرين الرابضين فوق الغصن ومعهم انتفضت عين زارا على الجهة المقابلة، كما عين أخزم، والذي من خلالهما يريان كل ما يدور داخل المعركة، لكنها أهوت الخيبة على صدريهما وهي تصدها بسيفها ويضغط هو عليه بكل قوته فنزلت لأسفل تستند على ركبتها، وهو يصيح بحنق....

- حمقاء لو اعتقدتِ أنك ستصمدين أمام قوتي!

لتجز على أسنانها بسخرية وهي تدفع سيفه بكل قوتها...

- إن كانت بالقوة فأنا هالكة لا محالة.

فجلجل بضحكة مخيفة...

- من الجيد أنكِ تعرفين مصيرك.



انزلقت أرضًا واندفعت من بين قدميه، وهي تلتف من خلفه....

- لنحمد الله أنها ليست كذلك.

رفع حاجبه بدهشة وهو يلتف بضربة قوية من سيفه تلافتها بوثبة للخلف.

- القوة وحدها من سيحدد مصير تلك المعركة.. وهي لي.

لفت جسدها وسيفها في الهواء وهي تسدد له ضربة قوية خدشت ذراعه.

- من سيفوز الليلة هو من سيجازف بكل شيء يا سطام، فإلى أي مدى يمكنك المجازفة ضدي؟؟

أمال رأسه بعدم فهم، وسيفاهما يتعانقان مجددًا بقوة، فهتف بحقد وهو يدفع سيفه يرفع به سيفها عن رقبته....

- ضدكِ.. لا شيء.. أنتِ نكرة سأقتلك دون عناء.

ضج صوتها ببُغض وهو يدفعها بقوة عدة خطوات للخلف...

- إجابة خاطئة.. من لا يُجازف بشيء لا يحصد أي شيء! أما أنا سوف أُجازف بكل شيء، وأعدك أن أفوز بكل شيء وأولهم رأسك.

أغمضت عينها وانتقلت من أمامه للخلف، التفت ليجدها في ثانية أصبحت بجوار ابنته، أثار فعلها



اغتباطه وعبر فمه شبح لابتسامة المنتصر وصدره يتراقص طربًا وقد وقعت في فخه، فسوف يظفر بها وينول كل ما يريده داخل السديم وخارجه!!

لتنزل سيا على ركبة واحدة وهي تنظر حولها وقد امتلأت الأرض أمامها بجنود الظلام، ولا زال الفتية صامدون وذانك الصقران القريبان عينهما لا تُفارقها فتعرف أن زارا قابع هناك في مكان ما، أعطتها دلين قنينة صغيرة، طالت النظرة بينهما وانبلج جانبها عن بسمة تحدي....

- لا يهم من أين أتينا أو أي طريق قطعنا، أو ماذا كتب لنا القدر في طياته، الماضي لا يُقرر عنا والمستقبل لا يختار لنا، وحدها قراراتنا باللحظة الراهنة من تُحدد حقيقتنا، من تحفر طرقنا في الحياة، وتقرر من نحن وكيف نكون.

أومأت دلين بنبرة مؤكدة....

- وحدها قرارتنا الراهنة من تحدد طرقنا وتكتب مستقبلنا.

غمزت سيا بعينها **«أعتمد عليكِ»** أطبقت دلين على يدها، ثم نظرت نحو سطام والذي لم يُحول عينه عنهما، أفرغت القنينة كاملة في جوفها، ونزعت عنها سوارها، لتشهق رونا المُعلقة عينها بهما بفزع، لتشعر سيا فجأة بعينيها تزوغان وعقلها يفقد سيطرته عليها،



وجسدها يتهاوى منها أرضًا وروحها تُغادر أطرافها، وعينها الغائمة تنظر لدلين التي تساقطت دمعة على خدها، فدوت صرخة رونا، التي انتفض لها الجميع والتفتوا على إثرها نحوها، وقد تجمدت أوصالهم فزعًا، وسقطت رونا على قدميها وخفق نبضها ذعرًا!

وقفت دلين خلف جسدها المُمدد وأحكمت قبضتها على سيفها ويدها الأخرى تُطبق على السوار ورسخت قدميها أرضًا، وهي تنظر نحو والدها وتومئ له تأكيدًا، وصوتها يصدح داخل عقله....

- نحتاج رجالًا أكثر لنستطيع العبور بجسدها فالطرائد لن يتركونا بسهولة.

فصخب بنصره المحتوم، وتهلل زارا على الجهة المقابلة، وأمر بفتح البوابات، وازداد الجنود جذوة وتَجَبُرًا في القتال فقد سقطت الهجين، يقاتلون أشد ضراوة وقد باتوا على بعد خطوة من النصر المحسوم لصالحهم! فقط يحصلون على جسدها!

•••

توقف ريان في موضعه لا يكاد يُصدق أنها سقطت أمامه! صرخ فيهم تيام بالتراجع، وهو يجر رونا جرًا فلم تكن تعي ما حولها حتى كادت تغيب عن الوعي، وكلها مُعلق بجثة ابنة عمرها أمامها، انطلق صوت رحيل من بينهم...



- لم نخض تلك المعركة لأجل سيا.. نحن نخوضها لأجلنا، نحن الهجين جئنا إلى هنا إمّا للفوز وإمّا للموت، ولم نظفر بأي منهما كي نتراجع الآن، سيا كانت مُحقة إن كنا لعنتهم فلنكن كذلك بحق، دعونا نرِهم كيف ستُدمر اللعنات حياتهم.

فثبت الآخرين في أماكنهم وعادوا للاستماتة في القتال، انطلق بضعة جنود نحو جثتها الملقاة أرضًا ليظفروا بها، ليرتطموا بقوة ويقعون أرضًا! تحسسوا الدماء الجارية على جبهاهم، تقدم أحدهم نحوها مرة أخرى، واصطدم بالهواء ووقع! وقف الهواء حائلًا بينهم وبين جثتها!! ومن جديد ارتفع أحدهم في الهواء وهوى بسيفه بكل قوته على الحاجز الخفي فالتمعت به موجات مضيئة حول ما يشبه دائرة تلتف حولهما، ودفعته بقوة ورمته على بعد متر وأكثر مقتولًا!! ليتجمد الجميع في موضعه، ثبتت دلين سيفها أرضًا وجلست خلف جثتها، غُلقت عين سطام برجاله الذين يحاولون اختراق الدائرة دون جدوى وقد قتلت كل من حاول تحطيمها بسيفه!! لتنتقل عينه نحو ابنته المتربعة أرضًا مُغمضة العين يتمايل جسدها وشفتاها تتحركان بهمهمات خفية، وتصدح داخل عقله....

- اجعل جيشك بأكمله يعبر إلى هنا أحتاج الحماية يا أبي، سيقتلونني الهجين لخيانتي.



ففعل وعبر جيش أجنحة الموت بأكمله إلى الأرض ومعهم ألف مُقاتل آخرون من أقوى قتلة المعبد، اتجه نحوها يملؤه شغف نصره، وقلب زارا يكاد يقف ابتهاجًا على الجهة المقابلة، حين وضع قدمه داخل الدائرة دفعته بعيدًا! بعد لحظة فتحت عينها أشار لها بإزالة دائرة الحماية، فارتسمت بسمة خبيثة على جانب فمها...

- لم تُخبرني يا أبي من الواشي الذي أرسلته لك سيا ليُخبرك عن الفخ؟

حرك رأسه بدهشة! وفغر عينه حين انتبه أنه لم يأتِه الواشي الذي تحدثت عنه! ابنته هي من أخبره عن الفخ!! لتُوغل النظر به ببغض احتوى بصوتها....

- أعتقد أنه أتى يا سيدي القائد لكنك لم تنتبه لمن الفخ، ومن وشى بمن.

ودوت صيحتها داخل ريان ورحيل ورونا **«احموا ملكتكم»** أطبقت يدها على يد سيا! وزادت بهمهماتها لتزداد الدائرة قوة، وبكل كره غلى داخله أطلق صرخة غضب مدوية **«خائنة.. سوف أقتلك»** ارتفع بوثبة قوية وهوى بسيفه فوق الدائرة ليتلقى ضربته سيف رونا التي اعترضت طريقه ودفعته بقدمها في صدره، هي لا تفهم ما يحدث ولا ما الذي تحاولان فعله! لكنها تعرف أنها لن تتركهما يفشلنا لأن ابنتها سوف تكون



الثمن!

تكالب الجنود على الدائرة ووقفت رحيل وريان وتيام مُتحلقين حولها، حائلًا بينهم وبينها بكل ما استطاعوا، لتبدأ دلين بالتعرق وتشعر بدائرة الحماية تضعف من قوة ضغط الجنود عليها، تحاول بكل قوتها الصمود، وعين الصقرين تتبعاها وقد عاد الأمل يدب في قلب زارا فأي ما كانتا تخططان له فإن وقعت دائرة الحماية سينتهي كل شيء، وهذا ما حاول أخزم المساعدة به حين أطلق صقره للدوران فوقهم!! بدأ الصقر يُهاجم الدائرة بضراوة بمخالبه الحادة، لتشعر دلين فجأة بتيار قوي يسري من حولها! وتفقد سيطرتها في التحكم بالدائرة التي راحت تتلاشى! ودائرة أكبر تغلفهما وتُرخي ستارها حولهما، دائرة أقوى لا تتحكم هي بها!! فتحت عينها مفزوعة وعُلقت بالصقر المُحلق فوقها، وكاد قلبها يقف حين جاء صوته من خلفها....

- لا تخافي لن يستطيع الدخول.

التفتت لتجد آصف يجلس خلفها يُغمض عينه ويقبض يده على كتابه الأسود، وهمس بعقلها....

- لقد اكتفى العجوز من المشاهدة، وسحرك الصغير لن يصمد كثيرًا أمام سيوفهم وسحر أخزم.

فتح عينه ونظر لها....

- اذهبي واربحي لنا بعض الوقت.



فانتفضت من مكانها وعبرت من الدائرة بيُسر، رفع رأسه نحو الصقر المُحلق فوقه **«أرني أقصى ما لديك»** استشاط أخزم سخطًا وقد تربع أرضًا يحاول بكل قوته اختراقها ليصده آصف بقوة أكبر، ويُحلق الصقر الآخَر فوق الدائرة، وقد أطلق زارا غشاوته السوداء على عينه، يُحاولان فتح ثغرة في الدائرة، كلاهما يضربها بكل قوته، فالتمع ضوء خافت يُشبه النبضات الكهربية في أجزاء مُتفرقة منها، ليُطبق آصف على كتابه بقوة وقد غامت عينه أكثر **«دعونا نرَ لمن الغلبة، القوة أم الحيلة!»** انتفضت السماء وعلا صوتها، واهتاجت فيها الرياح، وأهاجت غُبار المعركة فكاد يلامس زُرقة السماء من شدة فورته، تشتتت الصقور واختلت رؤيتها، تُجاهد لتبقى صامدة بالسماء وسط عصفها المُتزايد، والذي شعر بها كل من كان داخل المعركة، فهدأت وتيرتها وتباعد الفريقان قليلًا، يحاول كل منهم أن يحمي عينه من الرمال ويثبت بموضعه.

ضج آصف بصوت لم يسمعه أحد سواها **«الآن يا سيا»** ففتحت عينها فجأة وهي تشهق بقوة، وفمها يفيض بالماء! رفعت جذعها العلوي وهي تنحني على جانبها الأيمن، ليرتد من حلقها الكثير من الماء الذي كادت تختنق به، لحظة وانتفضت واقفة..

•••



العاشر

قمة العقل أن تتبع جنونك!!



همت واقفة تستند على سيفها، عينها تجول حولها في أرض مُظلمة يتوسط سماءها قمر قارب على اكتماله، قاحلة باردة الهواء، ساكن ليلها، لتهتف بفرح **«لقد نجحت.. لقد عبرت»** انحنت تسترد أنفاسها وتُحاول أن تتحسس جسدها فوجدت كل شيء في موضعه، زادت ابتسامتها لتتذكر شيئًا بُغتة، سحبت قلادة تلتف حول عنقها لتقع عينها على ساعة رملية بها، مصنوعة من زجاج أحمر، ورمالها زرقاء، بدأت تتساقط من جانب إلى الآخر! رن صوت آصف بداخلها.....

- حين تبدأ الساعة بالعمل ستعرفين أنك بالمكان الصحيح، يجب أن تعودي قبل أن تصل آخِر حبة رمل للجهة الأخرى، وتذكري جيّدًا حين تودين العودة عليكِ اتباع الأهرامات المقلوبة، وإن فشل الأمر اكسري القلادة والنابض بالأزرق داخلها سيتكفل بإعادتك وحدك، وإن نجحتِ فكري في العودة إلى الأرض، في كل الأحوال اتبعي الأهرامات.

لتهتف بسرور مذهولة....

- تبًا لك يا آصف إنها تعمل، لقد نجحت أيها العجوز، لقد عبرت إلى...

وقبل أن تُكمل شعرت بجسم بارد يُلامس ظهرها،



تجمدت الابتسامة على وجهها، وتركت القلادة بهدوء ليأتيها صوت أجش....

- هل تسمح لي الجميلة برؤية كلتي يديها في الهواء؟

فرفعتهما وكان السيف في اليمنى، ليُعاود بسخرية....

- هلا تركتِ هذا الثُقل عن يدك الرقيقة؟ فتلك الأشياء الحادة المقيتة لا تناسب الجميلات.

ترددت للحظة، لتشعر بوخزة قوية من سيفه المستقر بظهرها، فتركته يتهاوى بجوار قدمها، ولمحت يدًا تسحبه فعلمت أن من خلفها ليس واحدًا فقط، ليعاود ذات الصوت....

- هل الجميلة جديدة هنا أم ضلت الطريق؟

- ربما كلا الأمرين!

- : هل تسمح الجميلة بالتفاتة نحوي؟

استدارت نحوه برويّة لتجد أمامها خمسة من الرجال الأقوياء فارعي الطول، والذي فغر قائدهم، من يوجه سيفه إليها عينه بذهول، ظلت للحظات عينه وكله مشدوه من المفاجأة....

- أنتِ! أنا أعرفك.. أنتِ هي الفتاة من حفل الهجين التي لم يخترقها السيف.

لتُشير بيدها نحوه...



- وأنا أيضًا أعرفك.. نواه الخائن.. من خان عهد ملكته.

نظرت نحو الآخرين **«أريد مقابلة قائدكم»** ليظل هو مشدوهًا قليلًا بينما سخر أحدهم....

- ونخبره من الذي يريد مقابلته؟

تقدمت خطوة نحو نواه وهي تُمعن النظر في عينه....

- أخبره أن وريثة عرش السديم، آخِر دماء النور، من ستقتلع قلب زارا وكل من خان عهد أسلافها حيًّا، عبرت إلى عالم الروشم عالم الأطياف المسجونة بالضياع لتُقدم له شيئًا يتوق إليه.

تصلب جميعهم في مكانه، بينما اهتز السيف بيد نواه وزاد ذهوله أضعافًا حتى كادت تُغادره عينه، والتي تعلقت بالقلادة حول عنقها، ساعة رملية مصنوعة من النابض بالأحمر ورمالها من الأزرق، ليتلعثم وعينه مُعلقة بها....

- أنتِ لم تموتي!

تبسمت بسخرية من جانبها....

- أنا لا.. أنت نعم، رونا فصلت رأسك الخائن عن جسدك الخبيث أمام الجميع.

تلك النظرة بينهما كانت تحمل الكثير وتُنذر بالأكثر، ليُشير إليها الآخرون بأن تتبعهم، ففعلت دون كلمة



أخرى، بينما ظل على وقفته للحظة يطبق على كفه بحنق كظمه داخله، أتلك التي كانت بين يديه حفيدة رُهانا ملكته التي خانها!! سحب نفسًا عميقًا ثم تبعهم.

•••

أطبق آصف يده على قلادة رملية مُماثلة حول عنقه، والأخرى تُطبق على يدها **«هيا يا صغيرة إن وقتك ينفد»** تبًّا لعقله الأحمق الذي وافق على مساعدتها، يعلم أن قمة الجنون أن يوافق على إرسالها إلى عالم الروشم، ستقتله رونا لفعله ولكن هل كان له سبيل آخر! فكم هي عنيدة ولم تقبل الرفض أو حتى النصح، وأخبرته أنها لن تتراجع وستفعلها بدون مساعدته، وهذا سيكون أسوأ، فربما لديها فرصة الآن وإن كانت واهية ضئيلة، إلا أنها تُعد أفضل من لا شيء!

عاود التمتمة من جديد وهو يرسم عدة أهرامات مقلوبة حول جسدها ثم واحدًا داخل رحاها **«لا تضلي طريق العودة»**، بينما حاول الصقران المُحلقان فوقه استعادة السيطرة والضرب من جديد وسط الرياح دون تمييز.

التفتت رونا على صوت يشبه الرعد بالسماء لترى الصقرين يضربان الدائرة، وآصف في منتصفها يده مُطبقة على كتابه الأسود، يُجاهد لإبقائها صامدة، هتفت بغل مكظوم **«أخزم!»** انطلقت نحو أكبر صخرة



قريبة لها، وثبت للأعلى ارتكزت فوقها، استدعت قوسها، سحبت نفسًا عميقًا وأطلقت، لتُصيب الأول في جناحه، ففقد السيطرة والرياح ألقت به أرضًا قريبًا من الدائرة، أطلق أخزم صرخة غاضبة كونه فقد السيطرة عليه لكنه ظل يرى ما يحدث، وسحبت الآخر وصوبت عليه، في ذات اللحظة التي بدأت الأرض تهتز من تحتها! لكنها أطلقت فأصابته وسقط قريبًا من صاحبه، دوت صرخة زارا اهتزت لها جدران قصر روسيل، راحت تزداد الهزات حتى شعر بها الجميع! توقف الكل يحاول الحفاظ على ثباته!! ليزداد اهتزاز الأرض الذي تحول لما يشبه الزلزال!! وبدأت تنشق من تحتهم!! تبسمت دلين من جانبها وهي تنظر نحو آصف **«لقد فعلتها المجنونة»** فصرخت بدوي صوتها القوي **«ليركض الجميع إلى الدائرة»**.

قطب سطام حاجبيه بذهول **«ما الذي يحدث؟»** وقبل أن يُحرك ساكنًا ظهرت من العدم أمامهم كأن الأرض انشقت عنها ومن خلفها آلاف من الأطياف لم تستطع عينه حصرهم، ذهوله أخرسه ورجاله يصرخون من حوله **«إنهم الروشم»** تبسمت له بسمة شيطانية أوقفت نبضه لم يعتقد أن تُخاطر إلى الحد الذي تنتقل به إلى عالم اللاموتى عالم الأطياف!

ارتاعت عين أخزم على الجهة الأخرى وهو يرى



الأرض تنشق عن طيفها وأطياف آلاف الروشم من خلفها، ليتراجع زارا في مجلسه وقد تباعدت أنفاسه كيف لهذا أن يحدث ومن أين لها بتلك القوة وهذا السحر!!

ازداد ذهول سطام حين وجد نواه يقف خلف كتفها، وقفوا حائلًا بينهم وبين البوابات التي عبروا منها، فصار الطرائد خلفهم والروشم أمامهم، صرخ في رجاله بعدما حاول استرداد أنفاسه والسيطرة على خوفه **«اقضوا عليهم، وليتراجع الجميع إلى البوابات»** ورغم يقينه أن لا قبل لهم بقتل أطياف هي بالفعل ميتة! لكن لا بد له من العبور إلى البوابات من خلالهم.

تراجع الطرائد للخلف يطوقونهم ويمنعونهم الهروب، حارب جنوده بكل قوتهم لكن قوتهم تلك كانت هباءً منثورًا، فسيوفهم لا تخترق الأجساد بل تخترق السراب، توقف يُفتش عن طوق نجاة، فاصطدمت عينه بجثتها داخل الدائرة، فصرخ صرخة دوت بين رجاله، وهو يُشير نحو جسدها المُمد داخل الدائرة **«اقضوا على جسدها»** وركض نحو الدائرة فإن نال منه ظلت حبيسة العالم الآخَر وارتدت الأطياف إلى حيث أتت خائبة على عاقبيها، يحاولون بكل قوتهم اختراق الدائرة والتي راحت تضعف أمام قوة السيوف وتهالك قوى آصف الذي حارب بضراوة أمام أخزم وزارا، ليهتف



نواه في أطيافه **«احموا الدائرة، فهي أملنا الوحيد!»**

تلك اللحظة التي أشار إليها آصف فنظرت إلى قلادتها والتي كادت رمالها تنفد، ركضت بكل قوتها نحو جسدها، كما ركض سطام بنفس الاتجاه، ارتفع بالسماء وهوى بسيفه ليتلقاه سيف رحيل التي جاهدت بكل قوتها لتثبت أمامه، كان الأقوى أصابها بذراعها بجرح بالغ أسقطها أرضًا، دفعت بقدميها وظهرها عدة خطوات للخلف وهي ترميه تلك النظرة الغاضبة، رفع سيفه وقبل أن يهوي عليها وجد دلين تقف حائلًا بينهما، تطاير الشرار بعينه أضعافًا لمرآها أمامه لخيانتها له، دفعها بضربة قوية انحنت بجسدها لتتفاداها ويهتاج أكثر **«الخائنة عديمة النفع مثل أمك سأُرسلكِ إليها»** حين أتى على ذكر أمها تضاعف غضبها، فسددت له ضربة قوية أصابت كتفه، فزاد جنونه وعصفها بسيل من الضربات بسيفه تفادتها بشق الأنفس، جاهدت بكل قوتها لتثبت أمامه، ورغم جرحه ظل مُتجبرًا ببأسه في القتال، ودفع بسيفه بكل قوته فنزلت على ركبتها وكلا النصلين يقتربان من رقبتها وهي تجز على أسنانها **«لو تعلم كم أكرهك»** لامس طرف النصل عنقها وأدمت كفيها وهي تدفعه، انحنى نحوها **«لو تعلمين مدى خيبتي حين ابتُليت بكِ»** زاد سُخطها وزاد بدفع سيفه حتى كاد يُلامس رقبتها،



لتجد سيفًا آخَر يدفع عنها! فالتفتت لتجد نواه يدافع عنها وعن الدائرة بكل ما يستطيع، تلك الدائرة التي راحت تتلاشى وآصف تزوغ عينه من الوهن، فصرخت بها رونا لتُسرع، فانزلقت سيا باتجاه الأهرامات المقلوبة لتصطدم بجسدها.

ارتدت فجأة من سُباتها وعاد جسدها ينتفض وهي تشهق بقوة وجزع، اعتدلت وهي تلهث من الخوف والألم، ليستردها صوت اصطدام سيفين فوق رأسها أحدهما هوى به أحد الجنود والآخَر لريان يصد به عن رأسها التي كادت تطير، طعنه ريان في صدره، سحبها من يدها لتجد آصف خارت قواه وكاد جسده الواهن يسقط أرضًا فأمسكت به وتيام وريان سحب رحيل التي كانت تنزف، نقلهم إلى مكان أبعد قليلًا عن المعركة المحتدمة.

استدعت سيفها وقفت وسط المعركة عينها تُفتش عنه، لتجده وقد بدأت تخور قواه من ضرباته الضائعة في الهواء، بينما ضربات نواه له عتية صائبة مؤلمة، تلك اللحظة التي توقف فيها الجميع في موضعه، اختطفتهم الدهشة من الحرب الطاحنة للحظات، ران بها صمت مُخيف حين راحت تُغلق بوابات العبور فجأة!! عيون الجنود فزعة، تعالت صرخات خوفهم، وهم يرون أبواب نجاتهم تُغلق أمامهم، توقف سطام

ينظر نحوها بذهول وهي تُغلق!!!

على الجهة الأخرى يصرخ أخزم في قائد الحرس أمامه....

- أغلقوا البوابات الآن يا حمقى ما الذي تنتظرونه؟

ليهتف الآخَر بحيرة....

- لكن يا سيدي جيشنا على الجهة الأخرى وقائدنا سطام...

لم يدعه يُكمل وهو يعاود صراخه، أحكم يده على تلابيبه....

- هي أوامر قائدكم ومولاكم زارا، أغلقوا البوابات، أتريد عبور جيش من الموتى إلى المملكة لنفنى جميعًا في لحظات! أم أنك قادر على مواجهة الموتى أيها الجندي؟

فأغلقوا البوابات دون لحظة تفكير أخرى.

خارت قوى جيشه من اليأس وقد أُغلق آخِر أمل لهم في النجاة، التمعت عينها نحوه بنظرة تشفٍ، وهي ترى اليأس والخيانة قد حفرت خناجرهما في وجهه، فخانه مولاه وجنوده على الجهة الأخرى وتركوه للموتى والموت؛ حين وجدها تقف أمامه ارتدت إليه قوته من فورة غله ودلين خلف كتفها، التي تقدمت خطوة....

- لم يعد لك طريق آخَر استسلم الآن فقد غدر بك زارا.



رفع سيفه بسخطه الصارخ....

- الاستسلام للضعفاء، أما أنا فسطام العظيم، لا أستسلم وسآخذكما معي قربانًا للموت.

تلاقت عينها وسيا ثم أغمضتا عينهما للحظة، تبسم بضيق وهو يراهما تنقسمان أمامه إلى أطياف كثيرة....

- خدعة خائبة، سوف أقتلع قلب صاحبتها كما اقتلعت قلب أمها.

ثم ضحك بسخرية حانقة....

- لقد نسيت أني اقتلعت قلب كلتاهما.

زادت نظراتهما الساخطة، ذُهل الجميع وتوقفت السيوف في مواضعها، ووقف الجميع ينظرون لتلك الدائرة من عشرات الفتيات هن نسخة مُكررة من كلتاهما حاصروه، وكلهن تهاجمنه وهو يُطيح سيفه بهن جميعًا، وكلما هوى على واحدة تبددت إلى دخان وسراب، ليصرخ بغل ماج بصدره....

- خدعة حمقاء من ساحرتين وضيعتين، لن تنجيكما من مصيركما المحتوم على يديّ، حتى مع أقوى السحرة لن تصمد سوى دقائق، ومع نكرتين ضالتين مثلكما لن تصمد سوى لحظات بائسة، بعدد ما تبقى من حياتكما التي سوف أُنهيها الآن، وأقتلع رأسيكما بيدي العاريتين حتى وإن كان هذا آخِر ما أفعله.



ليأتيه فحيح صوت سيا من خلف كتفه.....

- ومن قال إننا نحتاج غير لحظات!

توقف جسده كما عينيه! أطبق راحته بقوة على قبضة سيفه!! هدأ الكون فجأة تبخرت جميعهن من أمامه وتحولن إلى دخان تداخلت ملامحه في الهواء بعينه حتى تبدد، لا زالت أنفاس سيا تطن في أذنه وهي تُحكم يدها اليُسرى على كتفه من الخلف، تصلبت حُدقتيه دون حراك! زاغت أنفاسه، تراجعت عنه خطوة وهي تلف باليُمنى مقبض خنجرها المستقر بظهره بقوة تأوه لها، وهو يرفع رأسه للأعلى بصرخة توقف على إثرها الليل وفزع السكون، وأحكم الخوف قبضته بالصدور المُنهكة تعبًا ورهبة، ليُنزل رأسه وقد استقرت عينه بعين دلين، ليصرخ بتأوهة أخرى! وعينه تهبط للأسفل ليدها المُطبقة على خنجر اخترق قلبه، رفع عينه بعين ابنته وهي تضغط خنجرها به وتلفه أكثر ليزداد تأوهه....

- لم تكن يومًا أبي، بل أنت أسوأ خطأ ارتكبته أمي في حياتها.

سقط على ركبتيه بينهما، وكلا الخنجرين مستقران بين ظهره وقلبه، وبدمعة كارهة نزلت على خد ابنته....

- أقسمت على قتلك كما قتلت أمي أمام عيني.

التفتت نحوه سيا أحكمت قبضتها على رقبته نفذت



إلى عقله علها تظفر بشيء عن زارا، لكنها لم تر سوى ظلام وسواد دامس، أفلتت عنقه ورفعت سيفها وبعد نظرة بينها وبين دلين....

- لأجل أبي وأمي وكل من أُريقت دماؤهم على يدك.

وهوت على عنقه ليسقط رأسه ويتبعها جسده، ارتد زارا في مجلسه وكادت نبضاته تتوقف كما شهق أخزم بفزع.

اعتدلت في وقفتها بالمنتصف وسيفها يُقطر بدمائه، ودلين من خلفها، وعيناهما مُعلقتان بجنود الظلام الذين ارتجفت السيوف بأيديهم فأنزلوها أرضًا، وقد دبَّ الفزع في قلوبهم فتلك الهجين استدعت جيشًا من الأموات ليُقاتلهم والآن قتلت أعظم قادتهم، وأُغلقت أبواب نجاتهم، رمقتهم نظرة من الجحيم وهي تُشير نحو جثته....

- قُتل قائدكم وتخلى عنكم مولاكم، تعتقدون ماذا سيكون مصيركم الآن؟

تناقلوا النظرات بارتياب وقلق يُوغر الصدور، لينزل الأقرب إليها أمامها على ركبته وهو يستند إلى سيفه، فتبعه كل من تبقى منهم، ليتبادل الطرائد النظرات المشدوهة وهم يرون ما يتخطى أربعة آلاف مُحارب ينحنون أمامها، رفعت عينها نحو عين الصقرين القريبين منها بنظرة ذات مغزى لزارا، الذي احتدم



صدره تغضُبًا وسُخطًا، وهو يرى أقوى محاربيه يركعون أمام ألد أعدائه وخصومه، أشارت له بيدها...

- أبقِ عرشي نظيفًا فسوف أسترده قريبًا.

ثم رفعت طرف حاجبها وبنبرة سخرية حانقة....

- تبًّا.. لقد نسيت.. فقدمك لم تطأ حتى عتبة بابه.

جز على أسنانه حنقًا ثم انقطعت عن عينه الرؤية، فقد غُطت عينا الصقرين بغمامات صغيرة، تقدم نحوها قائد الروشم....

- لقد نفذنا نصيبنا من الاتفاق والآن جاء دورك يا أميرة.

أومأت تأكيدًا وسط تعجب الجميع فأي اتفاق عقدت مع الأطياف الضالة!!! اقتربت منها رونا تتساءل بحيرة....

- أي اتفاق يا سيا؟

- أن يحاربوا معي ضد زارا ورجاله.

- والمقابل؟ ماذا يكون جانبك من الاتفاق؟

- أن أعطيهم حريتهم.

- أي حرية، هم أموات؟!

التفتت نحو تيام الذي تعجب بشدة، لتبتسم....

- حتى الأموات يريدون الحرية، أرواحهم المحبوسة والضالة بين العوالم تحتاج إلى عتقها، حتى الموتى يحتاجون إلى وطن.. وطنهم.



هتفت دلين وهي تقف أمام قائدهم «بقي جزء صغير» أمال رأسه بعدم فهم، لتستطرد....

- أن يتعهد الروشم للملكة بالولاء والطاعة، فوحدها الأحق بعرش السديم، فلا عهد لكم مع غيرها ولا طاعة لأحد سواها بعد رب السماوات.

- وليكن العهد قائمًا بيننا بما لا يُخالف حدود الله، فلا يجور أحدنا على الآخَر أو يعيث فسادًا في عالمه، ولا عهد لكم مع غيري.

أكملت سيا بنظرة قد فهم ما تصبو إليه، فتخشى أن يحولوا ولاءهم بعد ما تمنحهم ما يريدون، لتعاود دلين....

- واللعنة على من يُنكس العهد، ويخون عهد الله وعهد ملكته.

نظر نحو رجاله ثم نزل على ركبته أمامها، فتبعه رجاله ويهتف وهم من خلفه بقبولهم العهد معها، لتسحب سيا القلادة من حول عنقها، فقبضت بقوة على الساعة الرملية بيدها حتى تهشمت، واخترقت شظاياها كفها فعادت تنزف من جديد، لتتركها تسقط أرضًا مُخضبة بدمائها، لتتوهج بالضوء الأحمر والأزرق بشدة وتزداد الرياح من حولهم وتُفتح بوابة كبيرة ظهر من خلفها ما ذُهل له الجميع، لتهمس رونا بدهشة **«غابة روكان!!»** أشارت دلين نحو قائدهم....



- ملكات النور لا يُخلفن وعودهن.

صاح الروشم متهللين فرحين **«الديار»** وبدأوا بالعبور، وهو يقترب من البوابة عُلقت عين نواه بعين رونا الجامدة تبسم لها وعبر بعدما عبر الجميع، قائدهم آخِر من غادر وقبل أن يعبر....

- سأنتظر ملكتي على الجهة الأخرى فلا تتأخري.

أومأت له تأكيدًا، واختفت البوابة والرياح وتبدد الضوء، غادر تيام ومن خلفه جنود الظلام.

وقبل أن يتحرك أحد آخَر من موضعه سقط السيف من يدها! وسقطت سيا خلفه فاقدة الوعي وقد خُضبت ملابسها بالدماء! فأسندت دلين جسدها، وهرع نحوها ريان ورونا، يتفقدها ليجد جرحًا غائرًا في جنبها الأيسر، فقد طالتها إحدى ضربات سطام الغاضبة!!!

•••



الأخير

المُستحيل

هو الوجه الآخَر للمُمكن!!



تنام مُمددة على سريرها البالي، تجلس رونا تُمسد على شعرها، ودلين تُمسك بيدها ترسم به أهراماتٍ مقلوبة وعيناها لا تستطيعان حجب الدموع، ورحيل تجلس بالقرب من آصف وقد بدأ كلاهما يسترد عافيته، مُسندةً رأسها إلى كتفه تُحاول كتم شهقاتها، ريان يجلس على الكرسي المُقابل لها لا تُغادر عينه، وقلبه لا يزال ينتفض خوفًا من كل ما لاقاه تلك الليلة من لحظات فَقْدٍ مريعةٍ خاضها لأجلها، بينما تيام يُربت على كتفه وهو يُغير له الضمادات على جروحه، اعتدلت دلين وأسندت ظهرها إلى الجدار ولا زالت ممسكة بكفها وتُمرر أناملها فوق السوار الذي أعادته إلى معصمها.....

- لا تضلي طريق العودة يا صديقتي فنحن في انتظارك.

•••

بعد عدة أيام لاحقة قضتها نائمة!! فتحت عينها بُغتة، أخذت بعض الوقت تُحاول استعادة وعيها وقوتها، لا تزال واهنة من كل ما مرت به، خاصة رحلة ذهابها وعودتها من عالم الأموات، تنبهت حواسها فجأة ويدها تمر على مفارش سريرها الوثير الحريرية! ضغطته بيدها كم كان مريح! **«تلك ليست أسرة آصف؟»** أجاب عقلها، انتبهت واعتدلت بمجلسها، عينها



تُمعن النظر من حولها للجدران والسقف المليء بالزخارف، والأرض المُغطاة بالسجاد الفاخر، هذا المكان لا تعرفه! لم تره من قبل لا في الأرض ولا في السديم! اعتدلت واقفة تتحسس جرحها، لا شيء هناك! جانبها مُعافى تمامًا ولا أثر لخدش واحد بجسدها! تلمست السوار بمعصمها، بُهتت كثيرًا بدهشتها وهي تتلفت حول نفسها داخل تلك القاعة الفخمة المُبهرة بجمالها وبيذخ مُفرط.

استردها صوت يُناديها، أرهفت سمعها، إنه هو.. الصوت الأول! من كان يستدعيها للسديم مذ أول مرة!! تشعر به قادمًا من ركن قصي، مُعتقل بصدر موغل الخوف به، اقترب الصوت لبقعة ظلماء، ظلت في موضعها لم تقترب، لكنه اقترب وعاود نداءاته، وبكل مرة تتضح نبرته ويتضح صداه وتتضح معالم صاحبه، الذي تبدد الظلام من حوله لتتجمد بموضعها حين وقعت عينها عليه انحنى أمامها....

- مولاتي.. ملكة عالم السديم وسيدة عرشه.

«أخزم!!» كادت تخرج عينيها ذهولًا وهي تهمس بكل حرفٍ باسمه، انتابتها رعشة غريبة بباطنها، كم هالها مظهره بلباس الكهنة! تلك الهيبة الغريبة التي تُطل من عينيه، طريقته بالانحناء لها وصوته الرخيم، رمت سوارها نظرة ارتياب كيف لم يُنبهها لوجوده!!



انتبهت لصوته وهي تحاول لملمة دهشتها وتتساءل.....

- الصوت!! هذا الصو_____

- من فتح لك بوابة العبور حتى قبل الموعد، واستدعى مولاتي لدخول مملكتها.

قاطعها بثقة وابتسامة هادئة كادت تكون مريحة لها، ابتسامة رجل دين يعرف الطريق الصحيح إلى اللّٰه!!

هزت رأسها....

- لا أعرف هل يجب عليَّ شكرك أم ...

صمتت، أمال رأسه بابتسامة مُتفهمة لمقصدها وكل ما لاقته من مخاطر بسبب دخولها السديم، لتعتدل في وقفتها....

- لماذا؟

- لماذا ماذا تحديدًا يا مولاتي؟

- ذاك أول لماذا؟ لماذا تُناديني مولاتي؟ أليس ولاؤك وولاء معبدك لسيدك زارا؟

هز رأسه نفيًا وهو يُزد خطوة نحوها، فأوقفته بإشارة من يدها، وتحفز جسدها المُفاجئ، فتبسم من جانبه لقلقها، وظل في مكانه.....

- لأنك الملكة الشرعية لمملكتنا، أنتِ ابنة الأميرة زمردة، وحفيدة الملكة رُهانا، أنتِ آخِر الدماء، وابنة ملكات النور، أنتِ هي مولاتي.



- لكن ولاؤك لزارا.

- وهل كان يستطيع أحد الوقوف في وجه استبداده وجبروته! نحن أبناء المعبد رجال العلم والدين، لا طاقة لنا بالحروب والمجازر، فلا نستطيع الدفاع عن أنفسنا أو معابدنا ضد ظلمه، لذلك رضخنا رغمًا عنّا بقوة الحديد والنار وسحره الأسود يا مولاتي.

- أولًا توقف عن مناداتي بهذا اللقب، ثانيًا هل يجب عليّ تصديقك؟

- هل كل ما قدمته لكِ من مساعدة للعبور إلى هنا ومعرفة حقيقة من تكونين، وحقيقة عرشك المسلوب غير كافين لجعلك تُصدقين! أعتقد أن ما قدمته من خدمات لمولاتي يُؤكد ولائي لها، ومحاولتي المستميتة لمحاربة ظلم زارا الجائر.

أوغلت النظر بعينه، صدقه ظاهر إلى حد مُخيف، إلى حد أخافها من الداخل! شعرت لوهلة بشيء غريب! أمعنت النظر بسوارها، لتجد حجر أحمر منه يتوهج بضوء خافت!! زفرت ببسمة سُخط وقد التمع بعقلها مالذي يحدث!! فرفعت رأسها نحوه، وعقدت ساعديها فوق صدرها بابتسامة هادئة واثقة....

- وهل من شيء يمكنني تقديمه لرد الجميل سيدي الكاهن الأعظم، على كل ما قدمته لي من خدمات؟

- مولاتي لن تُقدم لي أنا العبد الفقير أخزم، هي



سوف تُقدم لربها الذي منحها القوة والسحر وأيّدها بنصره ووفقها في مسعاها حتى الآن، وحتى تجلس إلى عرشها بمشيئته وقوته.

- صحيح.. وماذا تعتقد أنه عليّ أن أُقدم قربانًا لربي شكرًا على ما حباني به من رعايته وعطفه؟

- في الحقيقة هو شيء خطير، أخشى أن تشتعل الحرب هنا على السديم وتطاله يد التخريب! فالمُتجبر زارا لن يُسلم بسهولة ومولاتي بالطبع كذلك، وحينها سيكون الجحيم على رؤوس الجميع، وأخشى عليه كثيرًا.

- من هو؟

- إنه ليس شخصًا يا مولاتي.

أمالت رأسها بعدم فهم، وهي تزفر لتكراره مولاتي، ليقترب خطوة واحدة، وقد علا الكمد ملامحه....

- إنه كتاب.

- كتاب!!

أمال رأسه تأكيدًا، لتتساءل بعدم فهم....

- وما علاقتي أنا بهذا الكتاب؟ أنت كاهن العلم ولديك كل مكتبات السديم تحت يدك، خذ منها ما شئت، لا أعتقد أن زارا سيُبالي لهذا الكتاب أو غيره.

- وحدك من يستطيع إحضاره.



رفعت حاجبها باستغراب، ولا زالت عاقدة ساعديها! ليُجيبها....

- وحدك من يستطيع الدخول إلى القاعة المُحرمة، وقد بتّ على بعد خطوة منها، أريد منك إحضار الكتاب لي حتى أحفظه ولا يقع بالأيدي الخطأ.

ضيقت بين عينيها، وتبسمت من جانبها وهي تُنزل ساعديها....

- وما هي فائدة كتاب القدر تحديدًا؟ وهل للقدر كتاب؟

فغر عينه بدهشة، لتزداد ابتسامتها الخبيثة، وهي تُشير إلى صدره....

- أنت لم تعتقد أن حيلتك ستنطلي عليّ! أحقا اعتقدت أن النابض بالأحمر المُختبئ داخل قلادتك يمكنه التحكم بعقلي!!

زاد ذهوله وهو يُطبق يده على قلب قلادته وسره الثمين داخلها....

- تبًّا.. أحقا اعتقدت أن كون حيلتك تنجح مع زارا وسحرة المملكة ولا تجعله يشك بشيء تقوله ستنجح معي!! حسنًا للحق هي بالكاد كادت.

اعتدلت بوقفتها وبنظرة تهديد كما نبرتها....

- لا تُفكر أن تتلاعب معي يا أخزم، كوني أعرف كل خُدعك، وكل ما يدور برأسك دون أن أقترب منك



لا شيء مما يُمكنني فعله، وأنت رأيت بعينك بعض منه، ودعني أُخبرك أن كل ما رأيت هذا لا شيء بجانب ما لم ترَ، فأنت لم تطرق الباب بعد

احتدت نبرتها ونظراتها أكثر كما وعيدها....

- فلا تُحاول التقليل من شأني لأن هذا سوف يجرح قلبي، وأنت لا تريد فعل ذلك! أم أنك تريد؟

- بالطبع لا مولاتي.. ومن يجرؤ؟

اتكأت إلى حافة كرسي قريب....

- دعني أتذكر عن ماذا كنا نتحدث؟ ها قد تذكرت أنت تريدني أن أُحضر لك كتاب القدر هذا ردًا لجميلك، والذي بالحقيقة أنت تريده لأجل الله.

- بالطبع أفعل كل هذا لأجل رب الأرباب وحده.

هتف بثقة يحاول السيطرة على كل سحره وأفكاره أمامها، وهي تحاول اختراقه بكل ما تستطيع، لكنه قوي وكل ما يصلها منه ومضات، لذلك ألقت له بحيلة كونها اخترقته بالفعل كي يعتقد أنه بات كتابًا مفتوحًا لها..

- وبالطبع أنت هي الأيدي الصحيحة التي تُريد مشيئة الله أن تقع بيده الكتاب!!

- إن الله...

وقبل أن يُزيد حرفًا......

- أعلم أعلم... إنه الله الذي تفعلون كل شيء



لأجله... وباسمه.

- الله...

- الله الله.. لماذا لا تتركون الله خارجًا فلا تضعونه وسط أكاذيبكم وترهاتكم.

قاطعته بنفاد صبر، ملأت تقاسيمه بسمة هادئة.....

- الله هو خالقنا الذي اختص علماءه وحكماءه ليرفعوا رايته ويوصلوا رسالته لرعيته البسطاء، ليست أكاذيب، تلك رسالتنا أن نُنفذ تعاليمه ونُقيم عدله.

ضحكت حتى دمعت عيناها، غزته دهشته، تمالكت نفسها.....

- أحقًا نتكلم عن عدله!! تسفكون دماء الأبرياء والضعفاء أهذا عدل الله!! تقتلون الأطفال وتأتون على الأخضر واليابس أتلك رسالته!! يا لكم من وقحة وسفلة تقتلون وتسرقون وتعيثون في الحياة فسادًا وتتاجرون باسم الله سرًا وعلانية، وتتجرؤون وتقولون رسالته!!!

- مولاتي إن دين رب الـــــ.

- عن أي دين نتحدث!! أنتم لا تعرفون سوى دين واحد، دين الولاء والطاعة والخضوع لكم ولإرادتكم، السوط الذي تلوحون به في وجه كل من يُخالفكم، كل من خرج عن سلطتكم استحللتم



دمه، دينكم السوط الذي ينحني أمامه الجميع ويخشعون في أي زمان وأي مكان وأي عالم.

قاطعته بسخط راح يركض بنبرتها وملامحها....

- لا تعرفون عن الله سوى اسمه الذي يركع أمامكم لأجله الجميع خوفًا.

اقتربت منه خطوات وهمست بنبرة ساخطة مسموعة ونظرة حانقة....

- إن كنت منك لتركت الله خارجًا، وتمنيت ألا يكون حاضرًا وأنت تُتاجر باسمه، لكن اطمئن دماء الأبرياء التي أزهقتها دون وجه حق ستخبره.

ازدرد ريقه وزاغت عينه وطفا العرق على جبهته، فقد بدأ يفقد سيطرته على اللعبة، وهذا لم يحدث معه من قبل، إنها أقوى بكثير مما اعتقد ومما يبدو عليها، تراجعت خطوة وهي تفرد ذراعيها على امتدادها داخل القاعة....

- لذا دعنا نترك الله خارج تلك الغرفة، لأنه لن يرضى عما ستؤول إليه الأمور بيننا، ولنعد لمولاك وربك الحقيقي.. مصلحتك، فأنت لم تنحنِ لي إلا لأنك تعلم أن نهاية زارا على يدي باتت أمرًا محتومًا، فما الذي تريده يا أخزم؟

ليسحب نفسا عميق وهو يلف في المكان الذي يقف فيه بخطوتين دائرتين، أيقن أن خيوط اللعبة انفلتت



من بين يديها وسوف يخسر كل شيء، وأضحى كل ما خطط وتعب من أجله في مهب الريح، فقرر أن يُلقي بآخِر أوراقه فوق الطاولة، فربما لديها سحر قوي لكن لا زال لديه ما يُبقيها داخل قبضته!!....

- أنت مُحقة لنترك الله خارجًا، ربما أنت لن تفعليها لأجله، لكنك سوف تحضرين لي الكتاب.

- أحقًا تعتقد أنني سأفعل؟

- هذا تحديدًا ما ستفعلينه، ستدخلين إلى القاعة المحرمة وتُحضرين لي الكتاب بكامل إرادتك.

- تبدو واثقًا كثيرًا مما تريده.

رمته بنظرة ساخرة، والتفتت للجهة الأخرى....

- لم أُنهِ كلامي بعد.

- لكنني انتهيت.

- لقد بدأنا للتو يا أميرة، ربما أنتِ لن تأتي به لأجل الله.

زفرت بنفاد صبر، صمت وتوقف في موضعه....

- لكنك بالتأكيد ستفعلينها لأجلها.

التفتت نحوه على مهل وقد ضيقت بين عينيها باستفهام، ليُشير إلى البقعة المظلمة بجوارهما فوجهت عينها نحوها ليتسرب الضوء الخافت إليها رويدًا رويدًا، توقفت حُدقتاها في محجريهما، غمرها الذهول وتباعدت أنفاسها المشدوهة قبل نبضها، وعينيها تتبع



تلك اليد المُثبتة إلى الجدار لتجدها ماثلة أمامها!!

مُثبتة إلى الجدار من أطرافها الأربعة بسلاسل حديديه تتوهج بلون أحمر، تُشبه تلك التي صفدوا بها آصف عند المخزن! شعرها الأسود الطويل منثور على كتفيها ووجهها! يملؤها الوهن والضعف لا تستطيع رفع رأسها من التعب، جاهدت كثيرًا حتى رفعتها للأعلى وبدمعة تسربت من عينيها البندقية على جفنيها تُحرك شفتيها بشيء لا يُغادرهما!!

ظلت سيا مبهوتة بموضعها تحاول استيعاب ما تراه عينها! فعاود هو..

- ألم تتساءلي قط عن كيفية فتح المعبر لك قبل موعده! فمن أين لي بكل تلك القوة لاستدعائك إلى السديم؟ بالحقيقة أنا ليس لدي تلك القوة! لم يكن من الصعب عليّ الوصول إلى تعويذة استدعاء، لكن السوار ظل عائقًا بيني وبين الوصول إلى مكانك، وتعويذة الحماية حولك كانت أقوى مما تخيلت، لذلك كان ينقصني المفتاح، مفتاح قوي يمكنه إيجادك أينما كُنتِ واستدعاءك إلى هنا وفتح معبر لكِ على الجهتين دون أن يشعر أحد، والأهم دون أن يشعر سوارك.

عين سيا مُعلقة بها على الجدار لا تشعر بشيء من حولها، أنفاسها تتباعد من هول صدمتها، ليستردها

صوته مجددًا....

- وليس من مفتاح أقوى منها للوصول إليكِ، لديها كل القوة لفتح البوابات، صحيح أن تعويذة الحماية والسوار لم يمكناني من نقلك كليًّا، لكنني استطعت استدعاء روحك.. وهذا لم يكن سيئًا بالنهاية.. أرأيتِ يا سيا أنتِ تدينين لي بالكثير، أكثر مما تعتقدين بكثير.

ظلت عينهما مُثبتتين ببعضهما، عين واهنة خائرة يُغالبها العجز، وعين ذاهلة تُغالب دموعها ودهشتها، حين أشار أخزم بيده كمن نسي شيئًا..

- عفوًا لقد نسيت أني حجبت صوتها، فلم أشأ أن تقطع حديثنا الشيق.

فأشار نحو المُعلقة بيده ليخرج صوتها خائرًا....

- سيا صغيرتي.

- زُمردة... أمي!!!

•••

يُتبع